تفسير القرآن العظيم، تأليف ابن كثير، اسماعيل ابن عمر - ٧٧٤هـ. كتب فى القرن العاشر الهجرى تقديرا.

مج ٥ (١٦٧ق) ٢٧س ٢٦×١٨سم

نسخه حسنه، خطها نسخ حسن، ناقصه الآخر، طبع.

الأعلام ١ : ٣١٨ الظاهرية (علوم القرآن).

٢٠٤

١ ـ التفسير، القرآن الكريم وعلومه.

أ ـ المؤلف. ب ـ تاريخ النسخ. ج ـ تفسير ابن كثير.

المجلد الخامس من تفسير القرآن العظيم

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ
شيخ الاسلام ابي الفدا عماد الدين اسمعيل
بن الخطيب العالم زين الدين
عمر بن كثير البصروي
الشافعي
رحمه الله

لله عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم رب الطف ويسر واعن برحمتك يا كريم

تفسير سورة سبحان وهي مكية

قال البخاري حدثنا آدم ابن ابي اياس ثنا شعبة عن ابي اسحق سمعت عبد الرحمن ابن يزيد
سمعت ابن مسعود قال في بني اسرائيل والكهف ومريم انهن من العتاق الاول وهن
من تلادي ❊ وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن ثنا حماد بن زيد عن مروان ابي لبابة سمعت
عايشة تقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد ان يفطر ويفطر
حتى نقول ما يريد ان يصوم وكان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر ❊

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير

يمجد تعالى نفسه ويعظم شانه لقدرته على ما لا يقدر عليه احد سواه فلا اله غيره الذي
اسرى بعبده يعني محمدا صلوات الله وسلامه عليه ليلا اي في جنح الليل من المسجد الحرام
وهو مسجد مكة الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس الذي بايليا معدن الانبياء من
لدن ابرهيم الخليل ولهذا اجمعوا له هنالك كلهم فامهم في محلتهم ودارهم فدل على انه
هو الامام الاعظم والرئيس المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين ❊ وقوله
[illegible] لنريه اي محمدا من اياتنا اي العظام كما قال تعالى
[illegible] ايات [illegible] وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة في الاحاديث
[illegible] صلوات الله عليه ❊ وقوله انه هو السميع [illegible] البصير اي السميع لاقوال عباده
[illegible] هم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فيعطي كلا [illegible] يستحقه في الدنيا والاخرة ❊

ذكر الاحاديث الواردة في الاسراء

رواية انس بن مالك ❊ قال الامام ابو عبد الله البخاري حدثنا عبد العزيز
ابن عبد الله حدثني [illegible] ابن بلال عن شريك بن عبد الله يعني ابن ابي نمر انه قال سمعت انس
بن مالك يقول ليلة [illegible] برسول [illegible] من مسجد الكعبة انه جاءه ثلثة نفر قبل ان
يوحى اليه وهو نايم في المسجد الحرام قال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال احدهم خذوا خيرهم
فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى النايم قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه
وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم
جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ما زمزم بيده
حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا به صدره

ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل
السما من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد صلى الله عليه وسلم قال وقد بعث قال نعم
قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل السما لا يعلم اهل السما بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم ووجد
في السما الدنيا ادم فقال له جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه ادم وقال مرحبا واهلا
يا بني نعم الابن انت فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل
قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد
فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك
ربك ثم عرج الى السما الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الاولى من هذا قال جبريل
قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا واهلا ثم عرج
به الى السما الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى السما الرابعة فقالوا
له مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا له مثل
ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سما فيها انبيا قد سماهم فوعيت منهم ادريس
في الثانية وهرون في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابرهيم في السادسة وموسى
في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم اظن ان يرفع علي احد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا
الله عز وجل حتى جا سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه فيما يوحي خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى
فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة
قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار
تعالى فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات
ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى
عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا
فتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك
كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند
الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعفا اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابدانهم فخفف عنا فقال
الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام
الكتاب فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى

فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله راودت
بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك ايضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه قال فاهبط بسم الله
فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي
صلى الله عليه وسلم عن اسمعيل بن ابي اويس عن اخيه ابي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال
ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان به فقال وزاد ونقص وقدم
واخر وهو كما قال مسلم رحمه الله فان شريك بن عبد الله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث
وساء حفظه ولم يضبطه كما سياتي بيانه في الاحاديث الاخر ومنهم من يجعل هذا مناما
توطئة لما وقع بعد ذلك والله اعلم ٥ وقال الحافظ ابو بكر البيهقي وفي حديث
شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل يعني
قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وقول عائشة
وابن مسعود وابي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل اصح وهذا الذي
قاله البيهقي رحمه الله هو الحق في هذه المسئلة فان اباذر قال يا رسول الله هل رايت ربك
قال نور اني اراه وفي رواية رايت نورا اخرجه مسلم وقوله ثم دنا فتدلى
انما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة ام المؤمنين وعن
ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم رضي الله عنهم ولا نعرف لهم مخالفا من الصحابة في
تفسير هذه الآية بهذا ٥ وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة
انا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي
حتى اتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال
جبريل اصبت الفطرة قال ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قال ومن
معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف
واذا

قوله قد والله استحييت ...

حاشية الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ...

البراق دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل

واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بادريس فرحب ودعا لي بخير ثم يقول الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء
الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابرهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من الله يستطيع يصفها خلق
من حسنها قال فاوحى الي ما اوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى
انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قال قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة
قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت اي رب خفف على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى
موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى
ربك فسله التخفيف لامتك قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا
خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
ربك فسله التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رجعت الى ربي حتى استحييت ٥ ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن
سلمة بهذا السياق وهو اصح من سياق شريك قال البيهقي وفي هذا السياق
دليل على ان المعراج كان ليلة اسري به عليه السلام من مكة الى بيت المقدس
وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وقال الامام احمد حدثنا
عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما

... كان ليلة اسرى به ...

على الله صر

ربك قط الكرم منه قال فانفض عرقا ۝ ورواه الترمذي عن اسحق بن منصور عن عبد الرزاق
وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه ۝ وقال احمد ايضا حدثنا ابو المغيرة ثنا
صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم
واخرجه ابو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه انس فالله اعلم
وقال ايضا احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن سليمان التيمي عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي عليه السلام قائما يصلي في قبره ۝ ورواه مسلم — على موسى
من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن انس
قال النسائي وهذا اصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن انس ۝
وقال ابو يعلى حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا معتمر عن ابيه قال سمعت
انسا ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال انس
ذكر انه حمل على البراق فاوثق الدابة او قال الفرس قال ابو بكر صفها لي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذه كذه فقال اشهد انك رسول الله فكان ابو بكر رضي
الله عنه قد راها ۝ وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب
ابن بقية ثنا خالد عن التيمي عن انس قال اخبرني بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به مر على موسى وهو يصلي في قبره ۝ وقال
الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو البزار في مسنده ثنا سلمة بن شبيب ثنا سعيد بن منصور
ثنا الحرث بن عبيد عن ابي عمران الجوني عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا نائم اذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها كوكري الطير فقعد
في احدهما وقعدت في الاخرى فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وانا اقلب
طرفي ولو شئت ان امس السما لمسست فالتفت الى جبريل عليه السلام كانه حلس
لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من ابواب السما فرايت النور الاعظم
واذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت واوحى الي ما شا ان يوحي ۝ ثم قال وهذا
الحديث لا نعلم رواه الا انس ولا نعلم رواه عن ابي عمران الا الحرث بن عبيد وكان
رجلا مشهورا من اهل البصرة ۝ ورواه الحافظ البيهقي في الدلايل عن ابي بكر القاضي
عن ابي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن ابي الحنين عن سعيد بن منصور

فذكره

فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني اوقال
دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحرث بن عبيد ورواه حماد بن سلمة
عن ابي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملاء
من اصحابه فجاءه جبريل فنكت في ظهره فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكري الطير
فقعد في احدهما وقعد جبريل في الاخر فنشات بنا حتى بلغت الافق فلو بسطت يدي
الى السماء لنلتها فدلي بسبب وهبط النور فوقع جبريل مغشيا عليه كانه حلس فعرفت
فضل خشيته على خشيتي فاوحى الي نبيا ملكا او نبيا عبدا والى الجنة ما انت فاوما الي
جبريل وهو مضطجع ان تواضع قال قلت لا بل نبيا عبدا ۝ قلت وهذا
ان صح يقتضي انها واقعة غير ليلة الاسرا فانه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود الى السماء
فهي كاينة غير ما نحن فيه والله اعلم ۝ وقال البزار ايضا حدثنا عمرو بن عيسى — بلغ
ثنا ابو بحر ثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل
وهذا غريب ۝ وقال ابو جعفر بن جرير حدثنا يونس ثنا عبد الله بن وهب حدثني — لعله ابن
يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن ابيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن ابي وقاص عن انس
ابن مالك قال لما جا جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكانها امرت ذنبها
فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو بعجوز على جانب الطريق فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد قال فسار ما شا الله
ان يسير فاذا شي يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال فسار ما شا الله ان يسير
قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل
اردد السلام يا محمد فرد السلام ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الاولى ثم الثالثة كذلك حتى
انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الما والخمر واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة ولو شربت الما لغرقت وغرقت امتك ولو شربت
الخمر لغويت ولغوت امتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم السلام فامهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبريل اما العجوز التي رايت على جانب الطريق
فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز واما الذي اراد ان تميل اليه فذاك عدو
الله ابليس اراد ان تميل اليه واما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلايل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض الفاظه
نكارة وغرابة ۝ طريق اخرى عن انس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جدا وهي من

فقال له جبريل سر يا محمد

آخر السلام عليك

سنن النسائي المجتبى ولم اثبتها في الكبير قال اخبرنا عمرو بن هاشم نا مخلد هو ابن الحسين
عن سعيد بن عبد العزيز نا يزيد بن ابي مالك نا انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل
عليه السلام فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطيبة
واليها المهاجر ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت صليت بطور سينا حيث كلم الله
موسى ثم قال انزل فصل فصليت فقال اتدري اين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى
عليه السلام ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبيا فقدمني جبريل حتى اممتهم ثم صعد بي الى
السماء الدنيا فاذا فيها ادم عليه السلام ثم صعد بي السما الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى
عليهما السلام ثم صعد بي الى السما الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم صعد بي الى السماء الرابعة
فاذا فيها هرون عليه السلام ثم صعد بي السما الخامسة واذا فيها ادريس عليه السلام ثم صعد بي
الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام ثم صعد بي فوق سبع سماوات واتيت سدرة
المنتهى فغشيني ضبابة فخررت ساجدا فقيل لي اني يوم خلقت السما والارض فرضت عليك
وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك قلت خمسين صلاة قال فانك لا تستطيع ان سقط
تقوم بها لا انت ولا امتك فارجع الى ربك فسله التخفيف فرجعت الى ربي فخفف عني عشرا ثم اتيت
موسى فامرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشرا ثم ردت الى خمس صلوات قال فارجع
الى ربك فسله التخفيف فانه فرض على بني اسرائيل صلاتين فما قاموا بها فرجعت الى ربي
عز وجل فسالته التخفيف فقال اني يوم خلقت السماوات والارض فرضت عليك وعلى امتك
خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها من الله عز وجل صري
فرجعت الى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت انها من الله صري يقول اي حتم
فلم ارجع ه طريق اخرى وقال ابن ابي حاتم حدثني ابي نا هشام بن عمار نا خالد
ابن يزيد بن ابي مالك قال لما كان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس
اتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي
طرفها فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم اتى الى الحجر
الذي ثمة فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال
جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين فقال نعم قال فانطلق الى اولئك
النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة قال فاتيتهن فسلمت عليهن فرددن
علي السلام فقلت من انتن فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا

واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير
ثم اذن مؤذن واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل عليه
السلام فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال جبريل يا محمد اتدري من صلى خلفك قال
قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل قال ثم اخذ بيدي جبريل فصعد بي
السماء فلما انتهينا الى الباب استفتح فقالوا من انت قال انا جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك
قال فلما استوى على ظهرها اذا فيها ادم فقال لي جبريل يا محمد الا تسلم على ابيك ادم قال قلت
بلى فاتيته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحبا بابني والنبي الصالح قال ثم عرج بي الى السماء
الثانية فاستفتح قالوا من انت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث
قال نعم قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك قال محمد فاذا فيها عيسى وابن خالته يحيى
عليهما السلام قال ثم عرج بي الى السما الثالثة فاستفتح قالوا من انت قال جبريل قالوا
ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا بك وبمن معك فاذا
فيها يوسف عليه السلام ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من انت قال جبريل
قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا بك وبمن معك
فاذا فيها ادريس عليه السلام قال فعرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا
من انت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا
بك وبمن معك فاذا فيها هرون ثم عرج بي الى السما السادسة فاستفتح فقالوا من
قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا
بك وبمن معك واذا فيها موسى عليه السلام ثم عرج بي الى السما السابعة فاستفتح
قالوا من انت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم ففتحوا
وقال مرحبا بك وبمن معك واذا فيها ابراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد الا تسلم
على ابيك ابراهيم فقلت بلى فاتيته فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بابني
والنبي الصالح ثم انطلق به على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ
والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رايت فقلت يا جبريل ان هذا الطير لناعم
قال يا محمد اكله انعم منه ثم قال يا محمد اتدري اي نهر هذا قال قلت لا قال هذا الكوثر
الذي اعطاك الله اياه فاذا فيه انية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت
والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من انيته فاغترفت من ذلك الماء

فشربت فاذا احلا من العسل واشد رايحه من المسك ثم انطلق بي حتى انتهى الى الشجره
فغشيتني سحابه فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجدا لله عز وجل فقال الله لي
يا محمد اني يوم خلقت السماوات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت
وامتك قال ثم انجلت عني السحابه واخذ بيدي جبريل فانصرف سريعا فاتيت على ابراهيم
فلم يقل لي شيا ثم اتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد فقلت فرض ربي علي وعلى امتي
خمسين صلاة قال فلن تستطيعها انت ولا امتك فارجع الى ربك فسله ان يخفف عنكم
فرجعت سريعا حتى انتهيت الى الشجره فغشيتني السحابه ورفضني جبريل وخررت ساجدا
وقلت رب انك فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولن استطيعها انا ولا امتي فخفف عنا
قال قد وضعت عنكم عشرا قال ثم انجلت عني السحابه واخذ بيدي جبريل وانصرف سريعا
حتى اتيت على ابراهيم فلم يقل شيا ثم اتيت على موسى فقال لي يا محمد ما صنعت فقلت وضع
ربي عني عشرا قال فاربعون صلاة لن تستطيعها انت ولا امتك فارجع الى ربك فسله
ان يخفف عنكم فذكر الحديث كذلك الى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم امرني
موسى ان ارجع فيسال التخفيف فقلت اني قد استحييت منه تعالى قال ثم انحدر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما لي لم ات اهل سما الا رحبوا بي وضحكوا الي غير
رجل واحد فسلمت عليه ورد علي السلام ورحب بي ولم يضحك الي قال يا محمد ذاك مالك
خازن جهنم لم يضحك منذ خلقت ولو ضحك الى احد ضحك اليك قال ثم ركبت منصرفا
فبينا هو في بعض طريقه مر بعير لقريش يحمل طعاما منها جمل عليه غرارتان غرارة سودا
وغرارة بيضا فلما حاذا العير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انه
مضى فاصبح فاخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله اتوا ابا بكر فقالوا يا ابا بكر هل لك في صاحبك
يخبر انه اتى في ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع في ليلته فقال ابو بكر رضي الله عنه ان كان
قاله فقد صدق وانا لنصدقه فيما هو ابعد من هذا نصدقه على خبر السما فقال المشركون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما علامة ما تقول قال مررت بعير لقريش وهي في مكان كذا
وكذا فنفرت الابل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سودا وغرارة بيضا
فصرع فانكسر فلما قدمت العير سالوهم فاخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن ذلك سمي ابا بكر الصديق وسالوه فقالوا هل كان فيمن حضر معك
عيسى وموسى قالوا نعم قالوا فصفهم قال نعم اما موسى فرجل آدم كانه من رجال ازدعمان
واما عيسى فرجل ربعة سبط يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان ه منا انباف

فيه غرايب عجيبه ه رواية انس عن مالك بن صعصعة ه قال الامام
احمد حدثنا عفان ثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن انس بن مالك ان مالك بن صعصعه
حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به قال بينما انا في الحطيم وربما قال قتاده
في الحجر مضطجعا اذ اتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثه قال فاتاني فقد
وسمعت قتاده يقول فشق ما بين هذه الى هذه وقال قتاده فقلت للجارود وهو الي
جنبي ما يعني قال من ثغرة نحره الى شعرته وقد سمعته يقول من قصته الى شعرته قال
فاستخرج قلبي قال فاتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي
ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض قال فقال الجارود هو البراق
يا ابا حمزة قال نعم يقع خطوه عند اقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام
حتى اتى بي السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
او قد ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجي جا قال ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم
عليه السلام قال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم صعد حتى اتى السما الثانيه فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل فقال ومن
معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به ولنعم المجي جا قال ففتح
فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما قال
فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد الى السما الثالثه
فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال
نعم قال مرحبا به ولنعم المجي جا قال ففتح فلما خلصت اذا يوسف عليه السلام قال فسلمت
عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الرابعه
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال
نعم قال مرحبا به ولنعم المجي جا قال ففتح فلما خلصت فاذا ادريس عليه السلام قال هذا
ادريس قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد
حتى اتى السما الخامسه فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجي جا فلما خلصت فاذا هرون عليه
السلام قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم صعد حتى اتى السما السادسه فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ولنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا

انا بموسى قال هذا موسى عليه السلام فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح قال فلما تجاوزت بكا قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل
الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي قال ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به ولنعم المجي جا قال ففتح فلما خلصت فاذا ابراهيم عليه السلام فقال هذا ابراهيم
فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال ثم رفعت
الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى
قال واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما
الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال ثم رفع لي البيت المعمور
قال قتادة وحدثنا الحسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون فيه ثم رجع الى حديث انس
قال ثم اتيت باناء خمر واناء من لبن واناء من عسل قال فاخذت اللبن قال هذه الفطرة
انت عليها وامتك قال ثم فرضت الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فقال ما فرض ربك على امتك قال قلت خمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع
لخمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى
ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشرا قال فرجعت الى موسى فقال
بما امرت قلت باربعين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع اربعين صلاة كل يوم واني
قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف
لامتك قال فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بثلاثين صلاة قال ان امتك لا
تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم واني قد خبرت الناس وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع
الى ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت فوضع عني عشرا اخر فرجعت الى موسى فقال
بما امرت قلت بعشرين صلاة كل يوم كل يوم قال ان امتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم واني
قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف
قال فرجعت فوضع عني عشرا اخر فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بعشر
صلوات كل يوم فقال ان امتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم واني قد خبرت الناس
قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع ربك فسله التخفيف لامتك قال فرجعت
فامرت بخمس صلوات كل يوم ثم رجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات

كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت فقلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك
لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد
المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك قال فقلت قد سالت ربي حتى استحييت
ولكن ارضى واسلم فنفذت فناداني مناد قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي ه
واخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه رواية انس عن ابي ذر ه
قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن انس
ابن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بما زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة
وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جيت الى السما
قال جبريل لخازن السما افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد
قال ارسل اليه قال نعم قال فلما فتح علونا السما الدنيا واذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى
يساره اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكا فقال مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال ادم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم
بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك
واذا نظر عن شماله بكا ثم عرج بي الى السما الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما
قال له الاول ففتح قال انس فذكر انه وجد في السماوات ادم وادريس وموسى وعيسى
وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما
السادسة قال انس فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح فقلت من هذا قال ادريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال عيسى ثم مررت بابراهيم
فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال الزهري فاخبرني
ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي
حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى
فقال ما فرض الله على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فان امتك لا
تطيق ذلك فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى
فقال ارجع الى ربك قلت قد استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي الى سدرة المنتهى فغشيها

الوان لا ادري ما هي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك ٥ هذا لفظ البخاري
في كتاب الصلاة، ورواه في ذكر بني اسرائيل وفي الحج وفي احاديث الانبياء من طرق اخر
عن يونس به ٥ ورواه مسلم في صحيحه في الايمان منه عن حرملة عن ابن وهب عن يونس
به نحوه ٥ وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق
قال قلت لابي ذر لو رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالته قال وما كنت تساله قال كنت اساله
هل رايت ربك فقال اني قد سالته فقال قد رايته نورا انى اراه ٥ هكذا وقع في رواية الامام
احمد واخرجه مسلم في صحيحه عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع عن يزيد بن ابراهيم
عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رايت ربك قال نور انى اراه ٥ وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام ثنا ابي عن قتادة
عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابي ذر لو رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالته فقال عن
اي شيء كنت تساله قال كنت اساله هل رايت ربك قال ابو ذر قد سالت فقال رايت نورا ٥

رواية انس عن ابي بن كعب الانصاري

قال عبد الله بن الامام احمد حدثني محمد بن اسحق بن محمد المسيبي ثنا انس بن عياض
عن يونس بن يزيد قال قال ابن شهاب قال انس بن مالك كان ابي بن كعب يحدث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره
اسودة فاذا نظر قبل يمينه تبسم واذا نظر قبل يساره بكى قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
قال قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين
هم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى
قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا
ففتح له قال انس فذكر انه وجد في السماوات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم
يثبت لي كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة
قال انس فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح قلت من هذا يا جبريل قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم قال ثم مررت بابراهيم
فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب واخبرني

ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك
حتى امر على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على امتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة
فقال لي موسى راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها
فرجعت الى موسى فاخبرته فقال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي
فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت الى موسى فقال راجع الى ربك
فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي حتى اتى سدرة المنتهى قال فغشيها الوان
ما ادري ما هي قال ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك ٥ هكذا رواه
عبد الله بن احمد في مسند ابيه وليس هو في شيء من الكتب الستة وقد تقدم في الصحيحين
من طريق يونس عن الزهري عن انس عن ابي ذر مثل هذا السياق سوا فالله اعلم ٥

رواية بريدة بن الحصيب الاسلمي

قال ابو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن ابراهيم واللفظ
له قالا ثنا ابو تميلة ثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما كان ليلة اسري به قال فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع
اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ٥ ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة الا ابو تميلة
ولا نعلم هذا الحديث يروى الا عن بريدة ٥ وقد رواه الترمذي في التفسير
من جامعه عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي وقال غريب ٥

رواية جابر بن عبد الله ٥

قال الامام احمد حدثنا يعقوب ثنا ابي عن صالح عن ابن شهاب قال قال
ابو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كذبني
قريش حين اسري بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت
اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه ٥ اخرجاه في الصحيحين من طرق عن الزهري به
وقال البيهقي اخبرنا احمد بن الحسن القاضي ثنا ابو العباس الاصم ثنا العباس بن محمد
الدوري ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت ابن المسيب
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس لقي فيه ابراهيم وموسى
وعيسى وانه اتي بقدحين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر اليهما ثم اخذ قدح اللبن فقال له جبريل

منذ بيت الفطرة لو اخذت الخمر لغوت امتك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فاخبر
انه اسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه قال ابن شهاب قال ابو سلمة بن عبد الرحمن
فتجهز او كلمة نحوها ناس من قريش الى ابي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم انه جاء بيت المقدس
ثم رجع الى مكة في ليلة واحدة فقال ابو بكر او قال ذلك قالوا نعم قال فاشهد لئن كان قال
ذلك لقد صدق قالوا افتصدقه بان يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع الى مكة قبل ان يصبح
قال نعم اني اصدقه بابعد من ذلك اصدقه بخبر السماء قال ابو سلمة فبها سمي ابو بكر الصديق ٥
قال ابو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لما كذبتني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس
فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه ٥

رواية حذيفة ابن اليمان

قال الامام احمد حدثنا ابو النضر ثنا شيبان عن عاصم عن زر بن حبيش قال اتيت على حذيفة
ابن اليمان وهو يحدث اسري بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول فانطلقنا حتى اتينا على بيت المقدس
فلم يدخلا قال قلت بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا اصلع
فاني اعرف وجهك ولا ادري ما اسمك قال قلت انا زر ابن حبيش قال فما علمك بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلتئذ قال قلت القرآن يخبرني بذلك قال من تكلم بالقرآن
فلج اقرا قال فقلت سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال يا اصلع
هل تجد صلى فيه قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتئذ لو صلى
فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زايلا البراق
حتى فتحت لهما ابواب السماء فرايا الجنة والنار ووعد الآخرة اجمع ثم عادا عودهما على بدئهما
قال ثم ضحك حتى رايت نواجذه قال ويحدثون انه ربطه لا يفر منه وانما سخره له عالم
الغيب والشهادة قلت ابا عبد الله اي دابة البراق قال دابة طويل ابيض هكذا خطوه
مد البصر ورواه ابو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي
في التفسير من حديث عاصم وهو ابن ابي النجود وقال الترمذي حسن صحيح ٥
وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي وما اثبته غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة بالبيت المقدس مما سبق وما سيأتي مقدم على قوله
والله اعلم ٥ رواية ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ٥
قال الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ

حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا ابو بكر يحيى بن ابي طالب اخبرنا عبد الوهاب بن عطا
انا ابو محمد راشد الحماني عن ابي هارون عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال له اصحابه يا رسول الله اخبرنا عن ليلة اسري بك فيها قال الله عز
وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير قال فاخبرهم قال بينا انا نائم عشيا
في المسجد الحرام اذ اتاني آت فايقظني فاستيقظت فلم ار شيئا واذا انا بكهيئة خيال
فاتبعه بصري حتى خرجت من المسجد الحرام فاذا انا بدابة ادنى شبهة بدوابكم هذه
بغالكم غير انه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء عليهم السلام تركبه
قبلي يقع حافره عند منتهى بصره فركبته فبينما انا اسير اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني
اسالك يا محمد انظرني اسالك يا محمد انظرني اسالك فلم اجبه ولم اقم عليه فبينما انا اسير اذ
دعاني داع عن يساري يا محمد انظر فلم اجبه ولم اقم عليه فبينما انا اسير اذ انا بامرأة حاسرة
عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها
ولم اقم عليها حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء
توثقها بها ثم اتاني جبريل عليه السلام باناءين احدهما خمر والاخر لبن فشربت
اللبن وتركت الخمر فقال جبريل اصبت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت
امتك فقلت الله اكبر الله اكبر فقال جبريل ما رايت في وجهك هذا قال فقلت
بينما انا اسير اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني اسالك فلم اجبه ولم اقم عليه قال ذاك
داعي اليهود اما انك لو اجبته او وقفت عليه لتهودت امتك قلت بينما انا اسير اذ
دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليه ولم اقم عليها
قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها او اقمت عليها لاختارت امتك الدنيا
على الآخرة قال ثم دخلت انا وجبريل بيت
المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين

ثم اتيت بيت بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح الانبياء فلم ير
الخلايق احسن من المعراج اما رايت الميت حين سبق
بصره طامحا الى السماء فانما يسبق بصره طامحا الى السماء عجبته بالمعراج قال
فصعدت انا وجبريل فاذا انا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا
وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنده مائة الف ملك قال وقال الله عز
وجل وما يعلم جنود ربك الا هو وقال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه
قال نعم فاذا انا بادم كهيئته يوم خلقه الله تعالى على صورته لم يتغير
منه شيء فاذا هو تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول
روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح
ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها
في سجين فقلت ذيلاه يا جبريل من هذا قال هذا ابوك
ادم عليه السلام فسلم علي ورحب بي فقال مرحبا بالابن
الصالح الى ثم مضيت هنيهة فاذا انا باخونة عليها لحم مشرح
ليس يقربها احد واذا انا باخونة اخرى عليها لحم
قد اروح وانتن عندها اناس ياكلون منها
قلت يا جبريل من هؤلاء من امتك قال هؤلاء
من امتك يتركون الحلال وياكلون

الحرام

الحرام قال ثم مضيت هنيهة فاذا انا باقوام بطونهم امثال
البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة
قال وهم على سابلة ال فرعون قال فتجيء السابلة
فتطاؤهم قال فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل قال فقلت
من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء من امتك الذين ياكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
قال ثم مضيت هنيهة فاذا انا باقوام مشافرهم كمشافر
الابل قال فيفتح على افواههم ويلقمون من ذلك الحجر
ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل
قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من امتك الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا قال ثم مضيت هنيهة فاذا انا بنساء يعلقن
بثديهن فسمعتهن يضججن الى الله عز وجل قلت يا جبريل
من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من امتك قال ثم
مضيت هنيهة فاذا انا باقوام يقطع من جنوبهم اللحم
فيلقمون فيقال له كل كما كنت تاكل من لحم اخيك

قلت يا جبريل من هولاء قال هولا الهمازون من امتك اللمازون قال ثم
صعدنا الى السماء الثانية فاذا انا برجل احسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك
يوسف عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدنا الى
السماء الثالثة فاذا انا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت
عليهما وسلما علي ثم صعدنا الى السما الرابعة فاذا انا بادريس عليه السلام قد
رفعه الله عز وجل مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي قال ثم صعدنا الى السماء الخامسة
فاذا انا بهارون عليه السلام ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب
سرته من طولها قلت يا جبريل من هذا قال هذا المحبب في قومه هنا هارون
بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت
الى السماء السادسة فاذا انا بموسى بن عمران عليه السلام رجل آدم كثير
الشعر لو كان عليه قميصان نفذ شعره دون القميص واذا هو
يقول بزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على
الله مني قال قلت يا جبريل من هذا قال اخوك موسى بن عمران
ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء
السابعة فاذا انا بابينا ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ساند ظهره
الى البيت المعمور كاحسن الرجال قلت يا جبريل من هذا
قال ابوك ابراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت
عليه وسلم علي واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب
كانهم القراطيس

وشطر عليهم ثياب رمد

وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض
وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمد وهم على خير فصليت انا ومن معي في البيت
المعمور ثم خرجت انا ومن معي قال والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك لا
يعودون فيه الى يوم القيامة قال ثم دفعت الى السدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي لعله
هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر
والاخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر ثم الى
دفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة
واذا بانهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى واذا رمانها كانه الدلاء عظما واذا انا بطيرها كانها بختيكم هذه
فقال عندها صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعد لعباده الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال عرضت على النار فاذا فيها غضب
الله ورجزه ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم غلقت دوني ثم اني رفعت
الى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين او ادنى قال ونزل على كل
ورقة منه ملك من الملائكة قال وفرضت علي خمسون وقال لك بكل حسنة عشر اذا
هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فاذا عملتها كتبت لك عشرا واذا هممت بالسيئة
فلم تعملها لم نكتب عليك شيء فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم دفعت الى موسى
فقال بما امرك ربك قلت بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فان
امتك لا يطيقون ذلك ومتى لا تطيقه تكفر فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فانها اضعف الامم فوضع عني عشرا وجعلها اربعين فما زلت اختلف بين موسى
وربي كلما اتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت اليه فقال لي بما امرت فقلت امرت
بعشر صلوات قال ارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فرجعت الى ربي فقلت اي
رب خفف عن امتي فانها اضعف الامم فوضع عني خمسا وجعلها خمسا فنادى ملك عندها
تمت فريضتي وخففت عن عبادي واعطيتهم بكل حسنة عشر امثالها ثم رجعت الى
موسى فقال بم امرت فقلت بخمس صلوات قال ارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك
فقلت رجعت الى ربي حتى استحييته ثم اصبح بمكة يخبرهم العجايب اني
اتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي السما ورايت كذا وكذا فقال ابو جهل يعني لبني هشام
الا تعجبون بما يقول محمد يزعم انه اتى البارحة بيت المقدس ثم اصبح فينا واحدنا

يضرب مطيته مصعده شهرًا ومقبله شهرًا في هذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال
فأخبرهم بعير لقريش لما كانت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا وأنها نفرت
فلما رجعت رأيتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا
فقال أبو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل من المشركين أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف
بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت
المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه
من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع إلى أصحابه فقال صدق محمد فيما
قال أو نحو من هذا الكلام وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد
الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هرون العبدي وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق
عن معمر عن أبي هرون العبدي به ورواه أيضًا من حديث محمد بن إسحق حدثني روح
القسم عن أبي هرون به بنحو سياقه المتقدم ٥ ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة
عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري
فذكره بسياق طويل حسن أنيق وأجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة
ثم ذكره البيهقي أيضًا من رواية نوح بن قيس الحداني وهشيم ومعمر عن أبي
هرون العبدي واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الأئمة وإنما سقناه
بتمامه لما في سياقه من الشواهد لغيره ولما رواه البيهقي أنا الإمام أبو عثمان إسمعيل
ابن عبد الرحمن أنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزاز نا أبو حامد بن بلال نا أبو الأزهر
نا يزيد بن أبي حكيم قال رأيت في النوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول
الله رجل من أمتك يقال له سفين الثوري لا بأس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا بأس حدثنا عن أبي هرون عن أبي سعيد الخدري عنك ليلة أسري بك أنك
قلت رأيت في السماء فحدثته بالحديث فقال لي نعم فقلت له يا رسول الله إن ناسًا
من أمتك يحدثون عنك في المسرى بعجائب فقال لي ذاك حديث القصاص ٥

رواية شداد بن أوس ٥

قال الإمام أبو إسمعيل محمد بن إسمعيل الترمذي حدثنا إسحق بن إبراهيم
ابن العلاء بن الضحاك الزبيدي نا عمرو بن الحرث عن عبد الله بن سالم الأشعري
عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي نا الوليد بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير نا شداد بن
أوس قال قلنا يا رسول الله كيف أسري بك قال صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتمًا

قال

قال فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض وقال بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب
علي فدارها بأذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضًا ذات
نخل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت بيثرب
صليت بطيبة فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضًا فقال انزل فنزلت
ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت
تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصور قال انزل فنزلت فقال
صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت ببيت لحم حيث ولد
عيسى المسيح بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأتى قبلة المسجد فربط
فيه دابته ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء
الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل
أرسل إلي بهما جميعًا فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى
قرعت به جبيني وبين يدي شيخ متكئ على مثراة له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه
ليهدى ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي
قلت يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان
كذا وكذا قد أضلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد
ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت
الليلة فقد التمستك في مكانك فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله
إنه مسيرة شهر فصفه لي قال ففتح لي صراط كأني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته
عنه قال أبو بكر أشهد أنك رسول الله فقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى
بيت المقدس الليلة قال فقال إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا
قد أضلوا بعيرًا لهم فجمعه فلان وأن مسيرهم ينزلون بكذا ثم كذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم
جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس
ينظرون حتى كان قريب من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البيهقي من طرق عن أبي إسمعيل الترمذي به ثم
قال بعد تمامه هذا إسناد صحيح وروي ذلك مفرقًا في أحاديث غيره ونحن
نذكر إن شاء الله من ذلك ما حضرنا ثم ساق أحاديث في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث
وقد روي هذا الحديث أعني الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء

الصلاة في السماء وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس منكران

منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن
نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم ٥

رواية عبد الله بن عباس ٥

قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال
ثنا ابن عباس قال ليلة أسري بنبي الله صلى الله عليه وسلم دخل الجنة فسمع في جانبها وجسا
فقال يا جبريل ما هذا قال هذا بلال المؤذن فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم حين جاء
إلى الناس قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا قال فلقيه موسى عليه السلام فرحب به
وقال مرحبا بالنبي الأمي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما
فقال من هذا يا جبريل قال هذا موسى قال فمضى فلقيه شيخ جليل مهيب فرحب
به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر
في النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم
الناس ورأى رجلا أحمر أزرق جدا قال من هذا يا جبريل قال هذا عاقر الناقة
قال فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون
معه فلما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن
وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القدح أصبت الفطرة
إسناد صحيح ولم يخرجوه ٥ طريق أخرى وقال الإمام أحمد حدثنا
حسن ثنا ثابت أبو زيد ثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس
نحن لا نصدق محمدا بما يقول فارتدوا كفارا فضرب الله رقابهم مع أبي جهل وقال أبو جهل
يحرفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمرا وزبدا فتزقموا ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس (لعله يخوفنا)
برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال رأيته
فيلمانيا أقمر هجانا إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة
ورأيت عيسى أبيض جعد الرأس حديد البصر مبطن الخلق ورأيت موسى أسحم آدم كثير
الشعر شديد الخلق ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى إرب منه إلا نظرت إليه مني حتى
كأنه صاحبكم قال جبريل سلم على مالك فسلمت عليه ٥ طريق أخرى
وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو بكر الشافعي أنا إسحاق بن الحسن ثنا الحسين بن محمد
ثنا شيبان عن قتادة عن أبي العالية ثنا ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال قال رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة
ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس وأري مالكا خازن جهنم
والدجال في آيات أراهن الله إياه قال فلا تكن في مرية من لقائه فكان قتادة يفسرها أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم قد لقي موسى وجعلناه هدى لبني إسرائيل قال جعل الله هدى لبني إسرائيل ورواه
مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان وأخرجاه من حديث شعبة عن
قتادة مختصرا ٥ طريق أخرى قال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت ما
هذه الرائحة قالوا ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط مشطها من يدها فقالت بسم الله فقالت
ابنة فرعون أبي قالت ربي وربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبي قالت نعم ربي وربك ورب
أبيك الله قال فدعاها فقال ألك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله قال فأمر ببقرة
من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها قالت إن لي إليك حاجة قال ما هي قالت تجمع عظامي وعظام
ولدي في موضع قال ذاك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فألقوا واحدا واحدا حتى بلغ
رضيعا فيهم فقال قعي يا أمه ولا تقاعسي فإنك على الحق قال وتكلم أربعة وهم صغار (الذين تكلموا وهم صغار)
هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام ٥ رواه النسائي
من حديث أبي زيد ثابت بن يزيد عن هلال وهو ابن خباب وهو إسناد صحيح ٥
طريق أخرى وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وروح المعنى
قالا ثنا عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان
ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبي فقعد معتزلا حزينا
فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شيء فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما هو قال إني أسري بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس (نعم صح)
قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا
قومه إليه قال أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم قال هيا معشر بني كعب بن لؤي قال فانتفضت إليه المجالس وجاؤوا حتى
جلسوا إليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أسري بي
الليلة قالوا إلى أين قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال فمن بين
مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم قالوا وتستطيع أن تنعت المسجد
وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاشية يقول عوف

فقد نعت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه
حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعته وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه
قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب. أخرجه النسائي من حديث ابن أبي جميلة وهو
الأعرابي به. رواية عبد الله ابن مسعود
قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب
ثنا السري بن خزيمة ثنا يوسف بن بهلول ثنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي
عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يصعد به حتى
يقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها حتى يقبض منها إذ يغشى السدرة ما يغشى قال غشيها
فراش من ذهب وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة
وغفر لمن لا يشرك بالله المقحمات يعني الكبائر. ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن
نمير وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن نمير به ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه طرف من حديث المعراج وقد رواه أنس بن مالك عن مالك
بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه من طرق مرسلا
دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم. قلت وقد روي
عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور
حدثنا مروان بن معاوية عن قنان بن عبد الله النهمي ثنا أبو ظبيان الجنبي قال كنا جلوسا عند
أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد
لأبي عبيدة حدثنا عن أبيك ليلة أسري بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن
أبيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما
يسأل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل
فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط
استوت يداه مع رجليه حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة وهو
يقول ويرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفعنا إليه فسلمنا فرد السلام فقال
من هذا معك يا جبريل قال هذا أحمد قال مرحبا بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه
ونصح لأمته قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران
قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف

له حدته قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج تحتها شيخ وعياله
قال فقال لي جبريل اعمد إلى أبيك إبراهيم فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم
من هذا معك يا جبريل قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحبا بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة
ربه ونصح لأمته يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت
أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل قال ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى
فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت
المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل
ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب
محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا. إسناد غريب ولم يخرجوه وفيه
من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في
الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمه بهم أولا ليسلم عليهم سلام معرفة وفيه أنه اجتمع
بالأنبياء قبل دخوله المسجد الأقصى والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات ثم نزل إلى بيت
المقدس ثانيا وهم معه وصلى بهم فيه ثم ركب البراق وكر راجعا إلى مكة والله أعلم. طريق
أخرى قال الإمام أحمد حدثنا هشيم أنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى
فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم
إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل
وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج قال ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب
الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال
فاقتله قال فيهلكهم الله عز وجل ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك
يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم لا يأتون على شيء
إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلي فيشكونهم فأدعو الله
عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم أو نتنهم قال فينزل الله المطر فيجترف
أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة
كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا. وأخرجه ابن ماجه عن بندار
عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب

رواية عبد الرحمن بن قرط أخي عبد الله بن قرط الثمالي

قال سعيد بن منصور نا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم
عن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى من بين زمزم والمقام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا
به حتى بلغ السماوات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السماوات العلى مع تسبيح كثير
سبحت السماوات العلى من ذي المهابة مشفقات من ذي العلو بما علا سبحان العلي الاعلى
سبحانه وتعالى ويذكر هذا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة تسبح له السماوات
السبع الآية ٥

رواية عمر بن الخطاب ٥

قال الامام احمد حدثنا اسود بن عامر نا حماد بن سلمة عن ابي سنان عن
عبيد بن آدم وابي مريم وابي شعيب ان عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس
قال ابو سلمة فحدثني ابو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب
اين ترى ان اصلي فقال ان اخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك
فقال عمر رضي الله عنه ضاهيت اليهودية ولكن اصلي حيث صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتقدم الى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في ردائه وكنس
الناس الكناسة فلم يعظم الصخرة تعظيما يصلي وراءها وهي بين يديه كما اشار به كعب
الاحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالاسلام فهدي
الى الحق ولهذا لما اشار بذلك قال له امير المؤمنين ضاهيت اليهودية ولا اهانها اهانة
النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من اجل انها قبلة اليهود ولكن اماط الاذى عنها
وكنس عنها الكناسة بردائه وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن ابي مرثد الغنوي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها ٥ [illegible]

رواية ابي هريرة وهي مطولة جدا وفيها غرابة ٥

قال الامام ابو جعفر بن جرير في تفسير سورة سبحان حدثني علي
بن سهل نا حجاج نا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية الرياحي عن ابي هريرة
او غيره شك ابو جعفر في قول الله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال
جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل فقال جبريل لميكائيل ائتني بطست من ماء
زمزم كيما اطهر قلبه واشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف
اليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم فشرح صدره ونزع ما كان فيه من غل وملأ

حلما

حلما وعلما وايمانا ويقينا واسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم اتاه بفرس فحمل عليه كل
خطوة منه منتهى بصره او اقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل عليه السلام قال فاتى
على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبع مائة ضعف
وما انفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت
كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل
رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما
يسرح الابل والنعم وياكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ما هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله شيئا وما الله بظلام للعبيد ثم
اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم آخر نيء في قدر خبيث فجعلوا ياكلون
من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هؤلاء يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك
تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمراة تقوم
من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح قال ثم اتى على خشبة
على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته قال ما هذا يا جبريل قال هذا
التلاوة ولا تقعدوا — مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
قال ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا
يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك يكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها
وهو يريد ان يحمل عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد
كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال قال ما هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء خطباء الفتنة ثم اتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع
من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة
ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا
فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وريح المسك وما هذا الصوت قال هذا صوت الجنة
تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي
ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني
وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي
وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سالني اعطيته

ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته اني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد وقد افلح المومنون
وتبارك الله احسن الخالقين قالت رضيت قال ثم اتي علي واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا
منتنه فقال ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت قال هذا صوت جهنم تقول يا رب
ايتني بما وعدتني فلقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي
وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فاتني ما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركه وكافر
وكافره وكل خبيث وخبيثه وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال ثم سار
حتي اتي بيت المقدس فنزل فربط فرسه الي الصخرة ثم دخل فصلي مع الملايكه فلما قضيت الصلاه
قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد صلي الله عليه وسلم قالوا او قد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله
من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا قال ثم لقي ارواح الانبيا فاثنوا علي ربهم
فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا
يوتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسي عليه السلام اثني علي ربه
فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك ال فرعون ونجاه بني اسرايل علي يدي
وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام اثني علي ربه فقال
الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن
والطير واعطاني الحكمه وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام اثني علي ربه فقال
الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شيت من محاريب وتماثيل وجفان
كالجوابي وقدور راسيات وعلمني منطق الطير واتاني من كل شي فضلا وسخر لي جنود
الشياطين والانس والطير وفضلني علي كثير من عباده المومنين واتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد
من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسي بن مريم عليه السلام
اثني علي ربه عز وجل فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل ادم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمه والتوراه والانجيل وجعلني اخلق من الطين هيه
الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابري الاكمه والابرص واحيي الموتي باذنه
ورفعني وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل ثم ان محمدا صلي
الله عليه وسلم اثني علي ربه عز وجل فقال كلكم اثني علي ربه واني مثن علي ربي فقال الحمد لله
الذي ارسلني رحمه للعالمين وكافه للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان
لكل شي وجعل امتي خير امه اخرجت للناس وجعل امتي امه وسطا وجعل امتي هم
الاولين والاخرين وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا

وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام بهاذا فضلكم محمد صلي الله عليه وسلم قال ابو جعفر
الرازي خاتم بالنبوه فاتح بالشفاعه يوم القيامه ثم اتي بانيه ثلاثه مغطاه افواهها فاتي
باناء منها فيه ما فقيل اشرب فشرب منه يسيرا ثم دفع اليه انا اخر فيه لبن فقيل له اشرب
فشرب منه حتي روي ثم دفع اليه انا اخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده قد رويت
فقال له جبريل اما انها ستحرم علي امتك ولو شربت منها لم يتبعك من امتك الا قليل
قال ثم صعد به الي السما فاستفتح فقيل من هذا يا جبريل فقال محمد قالوا وقد ارسل
قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا فدخل فاذا هو
برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شي كما ينقص من خلق الناس علي يمينه باب يخرج منه
ريح طيبه وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثه اذا نظر الي الباب الذي عن يمينه ضحك
واستبشر واذا نظر الي الباب الذي عن يساره بكا وحزن فقلت يا جبريل من هذا
الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شي وما هذان البابان قال هذا ابوك
ادم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنه اذا نظر الي من يدخله من ذريته ضحك واستبشر
والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر الي من يدخله من ذريته بكي وحزن ثم صعد
به جبريل الي السما الثانيه فاستفتح قيل من هذا معك قال محمد رسول الله قالوا
اوقد ارسل محمد قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا
قال فاذا هو بشابين فقال يا جبريل من هذان الشابان قال هذا عيسي بن مريم
ويحيي بن زكريا ابنا الخاله عليهما السلام قال فصعد به الي السما الثالثه فاستفتح فقالوا من
هذا قال جبريل قالوا من معك قال محمد قالوا او قد ارسل قال نعم قالوا حياه الله من اخ
ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا قال فدخل فاذا هو برجل قد فضل
علي الناس في الحسن كما فضل القمر ليله البدر علي ساير الكواكب قال من هذا يا جبريل
الذي فضل علي الناس قال هذا اخوك يوسف عليه السلام قال ثم صعد به الي السما
الرابعه فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال او قد ارسل
قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي جا قال فدخل
فاذا هو برجل قال من هذا يا جبريل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم
صعد به الي السما الخامسه فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال
محمد قالوا او قد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفه فنعم الاخ ونعم الخليفه ونعم المجي
جا ثم دخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هولا الذين

بلغ مطالعه [illegible]

١٥

الذين حوله قال بعدها يرون الحجب وهولاء بنو اسرائيل ثم صعد به الى السماء السادسة
فاستفتح قيل له من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا او قد ارسل قال نعم
قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فاذا هو برجل جالس
فجاوزه فبكا الرجل فقال يا جبريل من هذا قال موسى قال فما له يبكي قال يزعم بنو اسرائيل
اني اكرم بني آدم على الله عز وجل وهذا رجل من آدم قد خلفني في دنيا وانا في اخرى فلو انه
بنفسه لم ابالي ولكن مع كل نبي امته قال ثم صعد به الى السماء السابعة فاستفتح فقيل
له من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب
الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فقام
هولاء الذين في الوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا
نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص الوانهم فصارت مثل الوان اصحابهم فجاوا فجلسوا الى
اصحابهم فقال يا جبريل من هذا الاشمط ثم من هولاء البيض الوجوه ومن هولاء الذين في
الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا فجاوا وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم
اول من شمط على الارض واما هولاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما
هولاء الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم
واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا
قال ثم انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك
فاذا هي شجرة يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين
عاما لا يقطعها والورقة منها مغطية للامة كلها قال فغشيها نور الخلاق عز وجل
وغشيتها الملائكة امثال الغربان حين تقع على الشجرة من حب الرب تعالى قال فكلمه تعالى
عند ذلك فقال له سل فقال اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان
ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص ويحيي
الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال
له ربه عز وجل وقد اتخذتك خليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك

الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت
لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك هم الاولين وهم الآخرين وجعلت امتك
خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول
النبيين خلقا وآخرهم بعثا واول من يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر
واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما فقال النبي صلى الله عليه وسلم فضلني ربي بست اعطاني
(لعله) فواتح الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث وارسلني الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وقذف في قلوب
عدوي الرعب من مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض كلها طهورا
ومسجدا وفرض عليه خمسين صلاة فلما رجع الى موسى قال بما امرت يا محمد قال بخمسين صلاة
قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك اضعف الامم فقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال
فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه فساله التخفيف فوضع عنه عشرا ثم رجع الى موسى فقال
بكم امرت قال باربعين قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك اضعف الامم وقد لقيت
من بني اسرائيل شدة فرجع الى ربه فساله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع الى موسى فقال بكم
امرت قال امرت بثلاثين فقال له موسى ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك اضعف
الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فساله التخفيف فوضع عنه عشرا
فرجع الى موسى فقال بكم امرت قال امرت بعشرين قال ارجع الى ربك فسله التخفيف
فان امتك اضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فساله التخفيف
فوضع عنه عشرا ثم رجع الى موسى فقال بكم امرت قال بعشر قال ارجع الى ربك
فسله التخفيف فان امتك اضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فرجع على
حياء الى ربه فساله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع الى موسى فقال بكم امرت قال امرت
بخمس فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك اضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل
شدة قال قد رجعت الى ربي حتى استحييت فما انا راجع اليه فقيل انه اما انك كما
صبرت نفسك على خمس صلوات فانهن يجزين عنك خمسين صلاة فان كل حسنة
بعشر امثالها قال فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كل الرضى قال وكان موسى عليه السلام من اشدهم
عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه ه ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن

ابي النضر هاشم بن القسم عن ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية او غيره شك ابو جعفر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه ٥ وقد رواه الحافظ ابو يعلى البيهقي عن ابي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة ثنا علي بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه وذكر البيهقي ان الحاكم ابا عبد الله رواه عن اسمعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني عن جده عن ابرهيم بن حمزة الزبيري عن حاتم بن اسمعيل حدثني عيسى بن ماهان يعني ابا جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال ابن ابي حاتم ذكر ابو زرعة ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا يونس بن بكير ثنا عيسى بن عبد الله التميمي يعني ابا جعفر الرازي عن الربيع بن انس البكري عن ابي العالية او غيره شك عيسى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فذكر الحديث بطوله كنحو مما سقناه ٥ قلت ابو جعفر الرازي قال فيه الحافظ ابو زرعة الرازي يهم في الحديث كثيرا وقد ضعفه غيره ايضا ووثقه بعضهم والاظهر انه سيئ الحفظ ففيما تفرد به نظر وهذا الحديث في بعض الفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه ان يكون مجموعا من احاديث شتى او منام وقصة اخرى غير الاسرا والله اعلم ٥ وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق انا معمر عن الزهري اخبرني سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حين اسري به لقيت موسى فنعته فاذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الراس كانه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربعة احمر كانما خرج من ديماس يعني حمام قال ورايت ابرهيم وانا اشبه ولده به قال واتيت باناءين في احدهما لبن وفي الاخر خمر فقيل لي خذ ايهما شئت فاخذت اللبن فشربت فقيل لي هديت الفطرة او اصبت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر لغوت امتك ٥ واخرجاه من وجه آخر عن الزهري به بنحوه ٥ وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن حجين بن المثنى عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالوني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني عن شيء الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبياء واذا موسى قائم يصلي واذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا

عيسى بن مريم قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابرهيم قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فالتفت اليه فبداني بالسلام ٥ وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي الصلت عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذا رعد وبرق وصواعق قال واتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم من هولاء يا جبريل قال هولاء اكلة الربا فلما نزلت الى السماء الدنيا نظرت اسفل مني فاذا انا برهج ودخان واصوات فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحرفون على اعين بني ادم لا يتفكروا في ملكوت السماوات والارض ولولا ذلك لراوا العجايب ٥ ورواه الامام احمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به ٥

رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ٥

قال الحافظ البيهقي اخبرنا ابو عبد الله يعني الحاكم انا عثمان ابن يزيد بن يعقوب الدقاق بهمدان ثنا ابرهيم بن الحسين الهمداني ثنا ابو محمد هو اسمعيل بن موسى الفزاري ثنا عمر بن سعد النصري من بني نصر بن قعين حدثني عبد العزيز وليث بن ابي سليم وسليمان الاعمش وعطاء بن السايب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي بن ابي طالب وعن عبد الله بن عباس ومحمد بن عباس ومحمد بن اسحق بن يسار عمن حدثه عن ابن عباس وعن سليم بن مسلم العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجويبر عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام هانئ راقدا وقد صلى العشاء الاخرة قال ابو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثا طويلا فذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله ان صحت الرواية قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث ابي هرون العبدي في اثبات الاسرا والمعراج كفاية وبالله التوفيق قلت وقد ارسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وايمة المفسرين رحمهم الله اجمعين ٥

رواية عائشة ام المومنين ٥

قال البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرني مكرم بن احمد القاضي ثنا ابرهيم ابن الهيثم البلدي ثنا محمد بن كثير الصنعاني ثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن

عائشة رضي الله عنها قالت لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك
فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك الى ابي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم انه اسري
به الليلة الى بيت المقدس فقال او قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا
فتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد
من ذلك اصدقه بخبر السماء في غدوه او روحه فلذلك سمي ابو بكر الصديق ٥

رواية ام هانى بنت ابي طالب ٥

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح باذان عن ام هانى بنت
ابي طالب في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت تقول ما اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الاخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر
اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هانى لقد صليت معكم
العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة
معكم الان كما ترين ٥ الكلبي متروك متروك بمرة ساقط ٥ وروى الحافظ ابو القاسم
الطبراني من حديث عبد الاعلى بن ابي المساور عن عكرمة عن ام هانى قالت بات رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة ان يكون
عرض له بعض قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام اتاني فاخذ
بيدي فاخرجني فاذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى
انتهى بي الى بيت المقدس فاراني ابراهيم يشبه خلقه خلقي ويشبه خلقي خلقه واراني موسى
آدم طويلا سبط الشعر شبهته برجال ازد شنوءة واراني عيسى بن مريم ربعة ابيض يضرب
الى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي واراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن
بن عبد العزى قال وانا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما رأيت فاخذت بثوبه
فقلت اني اذكرك الله انك تاتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك
قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج اليهم فاتاهم وهم جلوس فاخبرهم ما اخبرني فقام جبير
بن مطعم فقال يا محمد لو كان لك شان كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وانت بين ظهرانينا
فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت بابل لنا في مكان كذا وكذا قال نعم والله وجدتهم كذا
وكذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها قالوا فاخبرنا عدتها وما فيها من
الرعاة قال كنت عن عدتها مشغولا فقام فاتي بالابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم اتى قريشا
فقال لهم سالتموني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسالتموني

عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاء ابن ابي قحافة وفلان وفلان وهي مصبحتكم
بالغداة على الثنية قال فقعدوا الى الثنية ينظرون اصدقهم ما قال فاستقبلوا الابل
فسالوهم هل ضل لكم بعير قالوا نعم قالوا الاخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كانت
عندكم قصعة قال ابو بكر انا والله وضعتها فما شربها احد ولا اهراقوه في الارض فصدقه
ابو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق ٥ **فصل** فاذا حصل
الوقوف على مجموع هذه الاحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها لحصل مضمون ما اتفقت
عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس وانه مرة واحدة
وان اختلفت عبارات الرواة في ادايه او زاد بعضهم فيه او نقص منه فان الخطا
جائز على من عدى الانبيا عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الاخرى
مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب
ولم يتحصل على مطلب وقد صرح بعضهم من المتاخرين بانه عليه السلام اسري به من مكة
الى بيت المقدس فقط ومرة من مكة الى السماء فقط ومرة الى بيت المقدس ومنه
الى السماء وفرح بهذا المسلك وانه قد ظفر بشي يتخلص به من الاشكالات وهذا بعيد
جدا ولم ينقل هذا عن احد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي به امته ولنقله
الناس على التعدد والتكرر قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الاسرا
قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدي بستة عشر شهرا والحق انه عليه السلام
اسري به يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس راكبا البراق فلما انتهى الى باب
المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم اتي
بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه الى السماء الدنيا ثم الى بقية السماوات
السبع فتلقاه من كل سما مقربوها وسلم عليه الانبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم
ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وابراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزليهما
صلى الله عليه وسلم وعليهما وعلى سائر الانبياء حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام
اي اقلام القدر بما هو كاين وراي سدرة المنتهى وغشيها من امر الله تعالى عظمة عظيمة
من فراش من ذهب والوان متعددة وغشيتها الملايكة وراي هنالك جبريل على صورته
له ستمائة جناح وراي رفرفا اخضر قد سد الافق وراي البيت المعمور الذي ابراهيم الخليل
باني الكعبة الارضية مسند ظهره اليه لانه الكعبة السماوية وكل يوم يدخله سبعون الفا من
الملايكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة وراي الجنة والنار وفرض الله عليه

مالك الصلوات خمسين ثم خففها الى خمس رحمة منه ولطفا بعباده وفي هذا اعتنا عظيم بشرف
الصلاة وعظمها ثم هبط الى البيت المقدس وهبطت معه الانبيا فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل انها
الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم انه امهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات انه ببيت
المقدس ولكن في بعضها انه كان اول دخوله اليه والظاهر انه بعد رجوعه لانه لما مر بهم في
منازلهم جعل يسال عنهم جبريل واحدا واحدا وهو يخبره بهم وهذا هو اللايق لانه كان اولا
مطلوب الى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى امته ما يشا الله تعالى ثم لما فرغ من الذي
اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الامامه
وذلك عن اشارة جبريل عليه السلام له في ذلك ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق
وعاد الى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى اعلم ٥ واما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل
او اللبن والخمر او اللبن والما او الجميع فقد ورد انه في البيت المقدس وجاء انه في السما
ويحتمل ان يكون هاهنا وهاهنا لانه كالضيافة للقادم والله اعلم ٥ ثم اختلف
الناس هل كان الاسرا ببدنه وروحه او بروحه فقط على قولين فالاكثرون من العلما على انه
اسري ببدنه وروحه يقظة لا مناما ولا ينكرون ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم راى قبل
مناما ذلك ثم راه بعد يقظة لانه عليه السلام كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح
والدليل على هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فالتسبيح انما يكون عند
الامور العظام ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شي ولم يكن مستعظما ولما بادرت كفار
قريش الى تكذيبه ولما ارتد جماعة ممن كان قد اسلم وايضا فان العبد عبارة عن مجموع
الروح والجسد وقد قال اسرى بعبده ليلا وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس قال ابن عباس هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم
رواه البخاري وقال تعالى ما زاغ البصر وما طغى والبصر من آلات الذات لا الروح
وايضا فانه حمل على البراق وهو دابة بيضا براقة لها لمعان وانما يكون هذا للبدن
لا للروح لانها لا تحتاج في حركتها الى مركب تركب عليه والله اعلم ٥ وقال اخرون
بل اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد ابن اسحق بن يسار في
السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس ان معوية بن ابي سفين كان
اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله صادقة
وحدثني بعض آل ابي بكر ان عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن اسري بروحه قال ابن اسحق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن ان هذه الآية

نزلت وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ولقول الله في الخبر عن ابراهيم اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ثم مضى على ذلك فعرفت ان الوحي ياتي للانبيا من الله
ايقاظا ومناما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنام عيناي وقلبي يقظان فالله
اعلم اي ذلك كان قد جاه وعاين فيه من امر الله ما عاين على اي حالاته كان نايما او
يقظانا كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن اسحق وقد تعقبه ابو جعفر بن جرير
في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بان هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الادلة
على رده بعض ما تقدم والله اعلم ٥ فائده حسنة جليلة روى الحافظ ابو نعيم
الاصبهاني في كتاب دلايل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني مالك بن ابي الرجال
عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
دحية بن خليفة الى قيصر فذكر وروده عليه وقدومه اليه وفي السياق دلالة عظيمة
على وفور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجي بابي سفين صخر بن حرب واصحابه
فسالهم عن تلك المسايل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سياتي بيانه وجعل ابو سفين
يجهد ان يحقر امره ويصغره عنده قال في هذا السياق عن ابي سفين والله ما منعني ان
اقول عليه قولا اسقطه من عينه الا اني اكره ان اكذب عنده كذبة ياخذها علي ولا يصدقني
بشي قال حتى ذكرت قوله ليلة اسري به قال فقلت ايها الملك الا اخبرك خبرا تعرف
انه قد كذب قال وما هو قال قلت انه يزعم لنا انه خرج من ارضنا ارض الحرم في ليلة
فجا مسجدكم هذا مسجد ايليا ورجع الينا تلك الليلة قبل الصباح قال وبطريق ايليا
عند راس قيصر قال بطريق ايليا قد علمت تلك الليلة قال فنظر اليه قيصر وقال ما علمك بهذا
قال اني كنت لا انام ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كان تلك الليلة اغلقت الابواب كلها
غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني كلهم فغلبنا فلم نستطع ان
نحركه كانما نزاول به جبلا فدعوت اليه النجاجرة فنظروا اليه فقالوا ان هذا باب سقط
عليه النجاف والبنيان ولا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فننظر من اين اتي قال فرجعت وتركت
البابين مفتوحين فلما اصبحت غدوت عليهما فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب واذا
فيه اثر مربط الدابة قال فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا على نبي وقد
صلى الليلة في مسجدنا وذكر تمام الحديث ٥ فايدة قال الحافظ ابو الخطاب
عمر بن دحيه في كتابه التنوير في مولد السراج المنير وقد ذكر حديث الاسرا
من طريق انس وتكلم عليه فاجاد وافاد ثم قال وقد تواترت الروايات في حديث الاسرا

عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وابي سعيد
وابن عباس وشداد بن اوس وابي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وابي حبة وابي ليلى الانصاري
وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وابي ايوب وابي امامة وسمرة بن جندب
وابي الحمراء وصهيب الرومي وام هانئ وعائشة واسما ابنتي ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
اجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد وان لم يكن رواية
بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة
الملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ٥

قوله تعالى وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من
حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ٥

لما ذكر تعالى انه اسرى بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه عطف بذكر
موسى عبده وكليمه ايضا فانه تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسرا وآتينا موسى
الكتاب يعني التوراة وجعلناه اي الكتاب هدى اي هاديا لبني اسرائيل الا تتخذوا اي لئلا
تتخذوا من دوني وكيلا اي وليا ولا نصيرا ولا معبودا دوني لان الله تعالى انزل في كل كتاب
انزله على كل نبي ارسله ان يعبدوه وحده لا شريك له ثم قال ذرية من حملنا مع نوح تقديره يا
ذرية من حملنا مع نوح فيه تهييج وتنبيه على المنة اي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح
في السفينة تشبهوا بابيكم انه كان عبدا شكورا فاذكروا انتم نعمتي عليكم بارسالي اليكم محمدا
صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الاثر عن السلف ان نوحا عليه السلام كان
يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشانه كله فلهذا سمي عبدا شكورا ٥ قال
الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن ابي حصين عن عبد الله
بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال انما سمي نوح عبدا شكورا لانه كان اذا اكل او شرب
حمد الله ٥ وقال الامام احمد حدثنا ابو اسامة ثنا زكريا بن ابي زائدة عن سعيد
بن ابي بردة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد
ان ياكل الاكلة او يشرب الشربة فيحمد الله عليها وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي
من طريق ابي اسامة به ٥ وقال مالك عن زيد بن اسلم كان يحمد الله على كل حال
وقد ذكر البخاري هاهنا حديث ابي زرعة عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا

وانا سيد الناس يوم القيامة بطوله وفيه فياتون نوحا فيقولون يا نوح انك انت اول الرسل
الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك وذكر الحديث بكماله ٥

وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين
ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا
اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا
ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها
فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما
دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم
ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ٥

يقول تعالى انه قضى الى بني اسرائيل في الكتاب اي تقدم اليهم واخبرهم في الكتاب الذي
انزله عليهم انهم سيفسدون في الارض مرتين ويعلون علوا كبيرا اي يتجبرون ويطغون ويفجرون
على الناس كما قال تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
اي تقدمنا اليه واخبرناه بذلك واعلمناه به ٥ وقوله فاذا جاء وعد اولاهما
اي اولى الافسادتين بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد اي قوة وعدد
وعدة وسلطة شديدة فجاسوا خلال الديار اي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم
اي بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون احدا وكان وعدا مفعولا
وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم
فعن ابن عباس وقتادة انه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم اولا ثم اديلوا عليه
بعد ذلك وقتل داود جالوت ولهذا قال ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ٥ وعن سعيد بن جبير انه ملك الموصل سنحاريب
وجنوده وعنه ايضا وغيره انه بختنصر ملك بابل ٥ وقد ذكر ابن ابي حاتم
قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال الى حال الى ان ملك البلاد وانه كان فقيرا
مقعدا ضعيفا يستعطي الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال الى ما آل وانه سار الى بلاد
بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني اسرائيل ٥ وقد روى ابن جرير في
هذا المكان حديثا اسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا
محالة لا يستريب في ذلك ادنى من عنده معرفة بالحديث والعجب كل العجب

كيف راج عليه مع امامته وجلالة قدره وقد صرح شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي
بانه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب وقد وردت في هذا آثار
كثيرة اسرائيلية لم ار تطويل الكتاب بذكرها لان منها ما هو موضوع من وضع بعض
زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل ان يكون صحيحا ونحن في غنية عنها ولله الحمد وفيما قص
الله تعالى علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله
اليهم وقد اخبر تعالى انهم لما بغوا وطغوا سلط عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك
خلال بيوتهم واذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فانهم كانوا قد تمردوا
وقتلوا خلقا من الانبياء والعلماء ۝ وقد روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى
انا ابن وهب اخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب
ظهر بخت نصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم اتى دمشق فوجد بها دما يغلي
على كبا فسالهم ما هذا الدم قالوا ادركنا اباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على
ذلك الدم سبعين الفا من المسلمين وغيرهم فسكن ۝ وهذا صحيح الى سعيد بن المسيب
وهذا هو المشهور وانه قتل اشرافهم وعلماءهم حتى لم يبق من يحفظ التوراة واخذ معه خلقا
منهم اسرى من ابناء الانبياء وغيرهم وجرت امور وكوائن يطول ذكرها ولو وجدنا ما هو
صحيح او ما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله اعلم ۝ ثم قال ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها اي عليها كما قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
فاذا جاء وعد الآخرة اي المرة الآخرة اي اذا افسدتم المرة الثانية وجاء اعداؤكم ليسوءوا وجوهكم
اي يهينوكم ويقهروكم وليدخلوا المسجد اي بيت المقدس كما دخلوه اول مرة اي
في التي جاسوا فيها خلال الديار وليتبروا اي يدمروا ويخربوا ما علوا اي ما ظهروا عليه
تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم اي فيصرفهم عنكم وان عدتم عدنا اي متى عدتم الى
الافساد عدنا الى الادالة عليكم في الدنيا مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال
ولهذا قال وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه
قال ابن عباس حصيرا اي سجنا وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره وقال
الحسن فراش ومهاد وقال قتادة قد عاد بنو اسرائيل فسلط الله عليهم هذا
الحي محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه ياخذون منهم الجزية عن يد وهم صاغرون ۝

ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون

بالآخرة

بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ۝

يمدح تعالى كتابه العزيز الذي انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن
بانه يهدي لاقوم الطرق واوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات
على مقتضاه ان لهم اجرا كبيرا اي يوم القيامة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اي ويبشر
الذين لا يؤمنون بالآخرة ان لهم عذابا اليما اي يوم القيامة كما قال فبشرهم بعذاب اليم ۝

ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا

يخبر تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الاحيان على نفسه او ولده او ماله
بالشر اي بالموت او الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه
كما قال تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وكذا فسره
ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم في الحديث لا تدعوا على انفسكم ولا على
اموالكم ان توافقوا من الله ساعة يستجيب فيها وانما يحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه
ولهذا قال تعالى وكان الانسان عجولا وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا
قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل ان تصل الروح الى رجليه وذلك
انه جاءته النفخة من قبل راسه فلما وصلت الى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك
ربك يا آدم فلما وصلت الى عينيه فتحهما فلما سرت الى اعضائه وجسده جعل ينظر اليه ويعجبه
فهم بالنهوض قبل ان تصل الى رجليه فلم يستطع وقال رب العجل قبل الليل ۝

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد
السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ۝

يمتن تعالى على خلقه باياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل
وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والاعمال والاسفار وليعلموا عدد الايام والجمع
والشهور والاعوام ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات
والاجارات وغير ذلك ولهذا قال لتبتغوا فضلا من ربكم في معايشكم واسفاركم
ونحو ذلك ولتعلموا عدد السنين والحساب فانه لو كان الزمان كله نسقا واحدا واسلوبا
متساويا لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقال تعالى تبارك

الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال وله اختلاف الليل والنهار وقال يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار
وقال تعالى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز
العليم وقال تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم ٥ ثم انه تعالى جعل لليل اية اي علامة يعرف بها وهي الظلام
وظهور القمر فيه وللنهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين ضيا القمر وبرهان
الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعقلون
كما قال تعالى يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج الاية ٥ قال ابن جريج
عن عبد الله بن ابي كثير في قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة قال ظلمة الليل وسدف
النهار وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس اية النهار والقمر اية الليل فمحونا اية الليل
قال السواد الذي في القمر كذلك خلقه الله تعالى ٥ وقال ابن جريج قال ابن عباس
كان القمر يضي كما يضي الشمس والقمر اية الليل والشمس اية النهار فمحونا اية الليل
السواد الذي في القمر ٥ وقد روى ابو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة ان
ابن الكوا سال امير المومنين علي بن ابي طالب فقال يا امير المومنين ما هذه اللطخة التي في القمر
فقال ويحك اما تقرا القران فمحونا اية الليل فهذه محوه ٥ وقال قتادة في قوله
فمحونا اية الليل كنا نحدث ان محو اية الليل سواد القمر الذي فيه وجعلنا اية النهار مبصرة اي
منيرة وخلق الشمس انور من القمر واعظم وقال ابن ابي نجيح عن ابن عباس وجعلنا
الليل والنهار ايتين قال ليلا ونهارا كذا خلقهما الله عز وجل ٥

وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيامه
كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
عليك حسيبا ٥

يقول تعالى بعد ذكره الزمان ما يقع فيه من اعمال بني ادم وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه وطايره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد
وغيره واحد من خير او شر يلزم به ويجازى عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ

من

من قول الا لديه رقيب عتيد وقال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ٥ وقال انما تجزون ما كنتم تعملون وقال
من يعمل سوا يجز به والمقصود ان عمل ابن ادم محفوظ عليه قليله وكثيره ٥ ويكتب عليه
ليلا ونهارا صباحا ومسا ٥ وقال الامام احمد حدثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة
عن ابي الزبير عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لطاير كل انسان
في عنقه قال ابن لهيعة يعني الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب
جدا والله اعلم ٥ وقوله ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا اي نجمع له عمله
في كتاب يعطاه يوم القيامه اما بيمينه ان كان سعيدا او بشماله ان كان شقيا منشورا
اي مفتوحا يقراه هو وغيره فيه جميع عمله من اول عمره الى اخره ينبا الانسان يوميذ
بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره ولهذا قال تعالى
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي انك تعلم انك لم تظلم ولم يكتب عليك
غير ما عملت لانك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى احد شيا كان منه وكل احد
يقرا كتابه من كاتب وامي ٥ وقوله الزمناه طايره في عنقه انما ذكر العنق
لانه عضو لا نظير له من الجسد ومن الزم بشي فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامه

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة
وكل انسان الزمناه طايره في عنقه كذا رواه ابن جرير وقد رواه الامام عبد بن حميد في مسنده
متصلا فقال حدثنا الحسن بن موسى ثنا ابن لهيعة عن ابي الزبير عن جابر قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل طير عبد في عنقه ٥ وقال الامام احمد حدثنا
علي بن اسحق ثنا عبد الله ثنا ابن لهيعة حدثني يزيد ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر
يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يوم الا وهو يختم عليه فاذا مرض المومن
قالت الملايكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله اختموا له على مثل عمله حتى
يبرا او يموت ٥ اسناده جيد قوي ولم يخرجوه ٥ وقال معمر عن قتادة الزمناه
طايره في عنقه قال عمله ونخرج له يوم القيامه قال نخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال معمر
وتلا الحسن البصري عن اليمين وعن الشمال قعيد يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان
كريمان احدهما عن يمينك والاخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك
واما الذي عن شمالك فيحفظ سياتك فاملل ما شيت اقلل او اكثر حتى اذا مت

طوبت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك
هذا من حسن كلام الحسن رحمه الله ٥

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا ٥

يخبر تعالى ان من اهتدى واتبع الحق واقتفى آثار النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ومن ضل اي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما يجني على نفسه وانما يعود وبال ذلك عليه ثم قال ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يحمل احد ذنب احد ولا يجني جان الا على نفسه كما قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم فان الدعاة عليهم اثم ضلالهم في انفسهم واثم آخر بسبب ما اضلوا من اضلوا من غير ان ينقص من اوزار اولئك ولا يحملوا عنهم شيئا وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اخبار عن عدله تعالى وانه لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول اليه كما قال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وكذا قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقال تعالى وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الله تعالى لا يدخل احدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت مقحمة في صحيح البخاري عند قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين حدثنا عبيد الله بن سعد ثنا يعقوب ثنا ابي عن صالح بن كيسان عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اختصمت الجنة والنار فذكر الحديث الى ان قال واما الجنة فلا يظلم الله من خلقه احدا وانه ينشي للنار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا وذكر تمام الحديث ٥ فهذا انما جاء في الجنة لانها دار فضل واما النار فانها دار عدل لا يدخلها احد الا بعد الاعذار اليه وقيام الحجة

عليه وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوي بدليل ما اخرجاه في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فذكر الحديث الى ان قال فاما النار فلا تمتلي حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهنالك تمتلي ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشي لها خلقا ٥ بقي هاهنا مسالة قد اختلف الايمة فيها قديما وحديثا وهي مسالة الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباوهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون والاصم والشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة وقد وردت في شانهم احاديث انا اذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الايمة في ذلك والله المستعان فالحديث الاول عن الاسود بن سريع قال الامام احمد حدثنا علي بن عبد الله ثنا معاذ بن هشام حدثني ابي عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة يحتجون يوم القيامة رجل اصم لا يسمع شيئا ورجل احمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فاما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اسمع شيئا واما الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر واما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما اعقل شيئا واما الذي مات في الفترة فيقول رب ما اتاني لك رسول فياخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن ابي رافع عن ابي هريرة مثل هذا الحديث غير انه قال في آخره فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها وكذا رواه اسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث حنبل بن اسحق عن علي بن عبد الله بن المديني به وقال هذا اسناد صحيح وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي رافع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم يدلي على الله بحجة فذكر نحوه ٥ ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن ابي هريرة فذكره موقوفا ثم قال ابو هريرة اقرؤوا ان شيتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة موقوفا ٥ الحديث الثاني عن انس بن مالك قال ابو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن ابان قال قلنا لانس يا ابا حمزة ما تقول في اطفال المشركين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم سيات فيعذبوا بها فيكونوا من اهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك اهل الجنة هم خدم اهل الجنة ٥ الحديث الثالث عن انس

ايضا قال الحافظ ابو يعلى حدثنا ابو خيثمة ثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى باربعة يوم القيامه بالمولود والمعتوه ومن
مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار
ابرز ويقول لهم اني كنت ابعث الى عبادي رسلا من انفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا
هذه قال فيقول من كتب عليه الشقا يا رب انا ندخلها ومنها كنا نفرق قال ومن كتبت عليه
السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا قال فيقول الله تعالى انتم لرسلي اشد تكذيبا ومعصية
فيدخل هولا الجنة وهولا النار وهكذا رواه الحافظ البزار عن يوسف بن موسى عن جرير
ابن عبد الحميد باسناده مثله ٥ الحديث ـــــ الرابع عن البرا ابن عازب
قال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده ايضا حدثنا قاسم بن ابي شيبة ثنا عبد الله
يعني ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن امية عن البرا رضي الله عنه قال سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اطفال المسلمين قال هم مع ابايهم وسيل عن اولاد المشركين فقال هم مع ابايهم
فقيل يا رسول الله ما يعملون قال الله اعلم ٥ ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن امية عن رجل
عن البرا عن عايشه فذكره ٥ الحديث ـــــ الخامس عن ثوبان قال الحافظ
ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن سعيد
الجوهري ثنا ريحان بن سعيد ثنا عباد بن منصور عن ايوب عن ابي قلابه عن ابي اسما عن
ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم عظم شان المسالة قال اذا كان يوم القيامه جا اهل الجاهلية
يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم ياتنا لك امر
ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارايتكم ان امرتكم بامر
تطيعوني فيقولون نعم فيامرهم ان يعمدوا الى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى اذا دنوا منها
وجدوا لها تغيظا وزفيرا فرجعوا الى ربهم فيقولون ربنا اخرجنا او اجرنا منها فيقول لهم
الم تزعموا اني ان امرتكم بامر تطيعوني فياخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا اليها
فادخلوها فينطلقون حتى اذا راوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان
ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم
بردا وسلاما ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف الا من هذا الوجه لم يروه
عن ايوب الا عباد ولا عن عباد الا ريحان بن سعيد قلت ـــــ وقد ذكره ابن حبان في ثقاته
وقال يحيى بن معين والنسائي لا باس به ولم يضعفه ابو داود وقال ابو حاتم شيخ لا باس
به ولم يضعفه ابو داود وقال ابو حاتم شيخ لا باس به يكتب حديثه ولا يحتج به ٥
الحديث

الحديث ـــــ السادس عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري قال
الامام محمد بن يحيى الذهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهالك في الفترة والمعتوه والمولود يقول الهالك
في الفترة لم ياتني كتاب ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول
المولود رب لم ادرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله
سعيدا لو ادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل فيقول اياي
عصيتم فكيف لو رسلي اتتكم وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله
ابن موسى عن فضيل ابن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث ابي سعيد الا من طريقه
عن عطية عنه وقال في اخره فيقول الله اياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب
الحديث ـــــ السابع عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وارضاه ٥ قال هشام
ابن عمار ومحمد بن المبارك الصوري ثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن ابي ادريس الخولاني
عن معاذ بن جبل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى يوم القيامه بالممسوخ عقلا وبالهالك
في الفترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوخ عقلا يا رب لو اتيتني عقلا ما كان من اتيته
عقلا باسعد بعقله مني وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب
عز وجل اني امرتكم بامر فتطيعون فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو
دخلوها ما ضرتهم فتخرج عليهم فرايص فيظنون انها قد اهلكت ما خلق الله من شي فيرجعون
سراعا ثم يامرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل ان اخلقكم
علمت ما انتم عاملون وعلى علمي خلقتكم والى علمي تصيرون ضميهم فتاخذهم ٥
الحديث ـــــ الثامن عن ابي هريرة رضي الله عنه وارضاه وقد تقدم روايته
مندرجة مع رواية الاسود بن سريع رضي الله عنه وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد
البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا وفي رواية قالوا يا رسول الله افرايت
من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين ٥ وقال الامام احمد حدثنا
موسى بن داود ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطا بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما اعلم شك موسى قال ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم ابراهيم
عليه السلام وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الله انه قال خلقت عبادي حنفا وفي رواية لغيره مسلمين ٥ ٥

هو محمد … البخاري الذي في المعجم

الحديث التاسع عن سمرة رواه الحافظ ابو بكر البرقاني من حديث
عوف الاعرابي عن ابي رجاء العطاردي عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود
يولد على الفطرة فناداه الناس يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين ه وقال
الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد ثنا عقبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد
ابن منصور عن ابي رجاء عن سمرة قال سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين
فقال هم خدم اهل الجنة ه الحديث العاشر عن عم خنساء ه قال حسنا خ
الامام احمد حدثنا روح ثنا عوف عن خنساء بنت معوية بن صريم قالت حدثنا عمي
قال قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود
في الجنة والوئيد ه فمن العلماء من ذهب الى الوقف فيهم لهذا الحديث
ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه السلام لهم
قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان
فقال له جبريل هذا ابراهيم عليه السلام وهولاء اولاد المسلمين واولاد
المشركين قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال نعم واولاد المشركين ه ومنهم من
جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام هم من آبايهم ه ومنهم من ذهب
الى انهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن اطاع دخل الجنة وانكشف علم الله
فيه بسابق السعادة ومن عصا دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بتقدم
الشقاوة وهذا القول يجمع بين الادلة كلها وقد صرحت به الاحاديث
المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض وهذا القول هو الذي حكاه ابو الحسن الاشعري الشيخ
رحمه الله عن اهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك
غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد ه وقد ذكر الشيخ ابو عمر بن عبد البر النمري
رحمه الله بعض ما تقدم من احاديث الامتحان ثم قال واحاديث هذا الباب ليست
قوية ولا تقوم بها حجة واهل العلم ينكرونها لان الآخرة دار جزاء وليست دار عمل ولا ابتلاء وكيف
يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفسا الا وسعها والجواب
عما قال ان احاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك غير واحد
من ايمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن واذا كانت
احاديث الباب الواحد متعاضدة على هذا النمط افادت الحجة عند الناظر فيها واما
قوله ان الدار الآخرة دار جزاء فلا شك انها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها

قبل دخول الجنة او النار كما حكاه الشيخ ابو الحسن الاشعري عن مذهب اهل السنة والجماعة
من امتحان الاطفال وقد قال الله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون وقد ثبتت السنة في الصحاح وغيرها ان المومنين يسجدون لله يوم القيامة
واما المنافق فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره طبقا كلما اراد السجود خر لقفاه وفي الصحيحين
في الرجل الذي يكون آخر اهل النار خروجا منها ان الله ياخذ عهوده ومواثيقه ان لا يسال
غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مرارا ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما اغدرك ثم ياذن له في
دخول الجنة واما قوله وكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم
فليس هذا بمانع من صحة الحديث فان الله يامر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط
وهو جسر على جهنم احد من السيف وادق من الشعرة ويمر المومنون عليه بحسب اعمالهم
كالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبوا
حبوا ومنهم المكردس على وجهه في النار وليس ما ورد في اوليك باعظم من هذا بل هذا
اطم واعظم وايضا فقد ثبتت السنة بان الدجال يكون معه جنة ونار وقد امر الشارع
المومنين الذين يدركونه ان يشرب احدهم من الذي يرى انه نار فانه يكون عليه بردا
وسلاما فهذا نظير ذاك وايضا فان الله تعالى قد امر بني اسراييل ان يقتلوا انفسهم
فقتل بعضهم بعضا حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين الفا يقتل الرجل اباه واخاه
وهم في غماية انزلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا ايضا شاق
على النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله اعلم ه فصل
فاذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على اقوال احدها انهم في
الجنة واحتجوا بحديث سمرة انه عليه السلام راى مع ابراهيم اولاد المسلمين والمشركين ولما
تقدم من رواية احمد عن خنساء عن عمها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمولود
في الجنة وهذا الاستدلال صحيح ولكن احاديث الامتحان اخص منه فمن علم الله منه
انه يطيع جعل روحه في البرزخ مع ابراهيم واولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة
ومن علم منه انه لا يجيب فامره الى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه
احاديث الامتحان ونقله الاشعري عن اهل السنة ثم من هولاء القايلين بانهم في الجنة من يجعلهم
مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدما لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن انس عند ابي داود
الطيالسي والله اعلم والقول الثاني انهم مع آبايهم في النار واستدل عليه بما رواه
الامام احمد بن حنبل عن ابي المغيرة ثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب حدثني عبد الله بن ابي قيس

سوى غطيف انه اتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم تبع لآبائهم فقالت يا رسول الله بلا عمل فقال الله اعلم بما كانوا عاملين ٥ واخرجه ابو داود من حديث
محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهاني سمعت عبد الله بن ابي قيس سمعت عائشة تقول
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المومنين قال هم من آبائهم قلت فذراري
المشركين قال هم من آبائهم قلت بلا عمل قال الله اعلم بما كانوا عاملين ٥ ورواه احمد عن وكيع
عن ابي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاته بهية عن عائشة انها ذكرت لرسول
الله اطفال المشركين فقال ان شئت اسمعتك تضاغيهم في النار ٥ وقال عبد الله بن
الامام احمد حدثنا عثمان بن ابي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن
زاذان عن علي قال سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في
الجاهلية فقال هما في النار قال فلما رأى الكراهية في وجهها قال لها لو رأيت مكانهما لابغضتهما
قالت فولدي منك قال ان المومنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار
ثم قرا والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان وهذا حديث غريب فان محمد بن عثمان هذا
مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك عليا والله اعلم ٥ وروى ابو داود من حديث ابن
ابي زايدة عن ابيه عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار
ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن ابي وائل عن ابن مسعود وقد رواه جماعة عن داود بن
ابي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الاشجعي قال اتيت انا واخي النبي صلى الله عليه وسلم
فقلنا ان امنا ماتت في الجاهلية وكانت تقري الضيف وتصل الرحم وانها وأدت اختا لنا في
الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال الوائدة والموءودة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم
وهذا اسناد حسن ٥ والقول الثالث التوقف فيهم واعتمدوا على قوله
صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن اياس
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولاد المشركين
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن
عطاء بن يزيد وعن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اطفال
المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين ٥ ومنهم من جعلهم من اهل الاعراف وهذا
القول يرجع الى قول من ذهب الى انهم من اهل الجنة لان الاعراف ليس دار قرار ومآل
اهلها الى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الاعراف والله اعلم ٥ فصل
وليعلم ان هذا الخلاف مخصوص باطفال المشركين فاما ولدان المومنين فلا خلاف بين العلماء

كما حكاه القاضي ابو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الامام احمد انه قال لا يختلف فيهم انهم من اهل الجنة
وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي نقطع به ان شاء الله عز وجل فاما ما ذكره
الشيخ ابو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء انهم توقفوا في ذلك وان الولدان كلهم تحت مشيئة
الله عز وجل قال ابو عمر ذهب الى هذا القول جماعة من اهل الفقه والحديث منهم
حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك واسحق بن راهويه وغيرهم وقالوا وهو يشبه ما رسم
مالك في موطاه في ابواب القدر وما اورده من الاحاديث في ذلك وعلى ذلك اكثر
اصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص الا ان المتاخرين من اصحابه ذهبوا الى ان
اطفال المسلمين في الجنة واطفال الكفار خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا
وقد ذكر ابو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك ايضا والله اعلم ٥ وقد
ذكروا في ذلك حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة ام المومنين قالت دعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور
من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق
الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم
رواه احمد ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه ٥ ولما كان الكلام في هذه المسئلة
يحتاج الى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم له عنده من الشارع كره جماعة من
العلماء الكلام فيها روي ذلك عن ابن عباس والقسم بن محمد بن ابي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية
وغيرهم واخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت ابا رجاء العطاردي
سمعت ابن عباس وهو على المنبر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال امر هذه الامة
مواتيا او متقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر قال ابن حبان يعني اطفال
المشركين وهكذا رواه ابو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة
عن ابي رجاء عن ابن عباس موقوفا ٥

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا
فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ٥

اختلف القراء في قراءة قوله امرنا فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون
في معناها فقيل معناه امرنا مترفيها ففسقوا فيها امرا قدريا كقوله تعالى اتاها امرنا ليلا او نهارا
فان الله لا يامر بالفحشاء قالوا معناه انه سخرهم الى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب وقيل معناه
امرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جريج عن ابن عباس

وقاله سعيد بن جبير ايضا وقال ابن جرير وقد يحتمل ان يكون معناه جعلناهم امرا قلت
هذا انما يجي على قراة امرنا مترفيها قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله امرنا مترفيها
ففسقوا فيها يقول سلطنا اشرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكتهم بالعذاب وهو قوله وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وكذا قال ابو العالية ومجاهد والربيع بن انس وقال
العوفي عن ابن عباس واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها يقول اكثرنا عددهم
وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعن مالك عن الزهري امرنا مترفيها اكثرنا ٥
وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الامام احمد حيث قال حدثنا روح بن عبادة
ثنا ابو نعامة العدوي عن مسلم بن بديل عن اياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرء له مهرة مامورة او سكة مابورة ٥ قال الامام ابو
عبيد القسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المامورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة
من النخل والمابورة من التابير وقال بعضهم انما جا هذا متناسبا كقوله مازورات
غير ماجورات ٥

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا ٥

يقول تعالى منذرا كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بانه قد
اهلك امما من المكذبين للرسل من بعد نوح ودل هذا على ان القرون التي كانت بين ادم ونوح
على الاسلام كما قاله ابن عباس كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ومعناه
انكم ايها المكذبون لستم اكرم على الله منهم وقد كذبتم اشرف الرسل واكرم الخلايق فعقوبتكم
اولى واحرى وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا اي هو عالم بجميع اعمالهم خيرها
وشرها لا يخفى عليه منها خافية ٥

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا

يخبر تعالى انه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل انما يحصل
لمن اراد الله ما يشا وهذه مقيدة لاطلاق ما سواها من الايات فانه قال عجلنا له فيها ما
نشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها اي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه مذموما اي في حال
كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه اذ اختار الفاني على الباقي مدحورا مبعدا مقصيا حقيرا

ذليلا مهانا قال الامام احمد حدثنا حسين ثنا ذويد عن ابي اسحق عن زرعة
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له ولها يجمع من لا عقل له ٥ وقوله ومن اراد الاخرة اي الدار الاخرة وما
فيها من النعيم والسرور وسعى لها سعيها اي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم وهو مومن اي وقلبه مومن اي مصدق موقن بالثواب والجزا فاولئك كان
سعيهم مشكورا ٥

كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء
ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ٥

يقول تعالى كلا اي كل واحد من الفريقين الذين ارادوا الدنيا والذين ارادوا
الاخرة نمدهم فيما هم فيه من عطاء ربك اي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلا ما
يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا راد لحكمه ولا مانع لما اعطى ولا مغير لما اراد ولهذا قال
وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا اي لا يمنعه احد ولا يرده راد قال قتادة
وما كان عطاء ربك محظورا اي منقوصا وقال الحسن وابن جريج وابن زيد ممنوعا
ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الدنيا فمنهم الغني والفقير
وبين ذلك والحسن والقبيح وبين ذلك ومن يموت صغيرا ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا
وبين ذلك وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي ولتفاوتهم في الدار الاخرة اكبر من الدنيا
فان منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها واغلالها ومنهم من يكون في الدرجات
العلا ونعيمها وسرورها ثم اهل الدركات متفاوتون فيما هم فيه كما ان اهل الدرجات
متفاوتون فان الجنة مايه درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض وفي الصحيحين
ان اهل الدرجات العلى في الجنة ليرون اهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في افق السما ولهذا
قال تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ٥ وفي الطبراني من رواية زاذان
عن سلمان مرفوعا ما من عبد يريد ان يرتفع في الدنيا درجة فارتفع الا وضعه الله
في الاخرة اكبر منها ثم قرا قوله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ٥

لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا

يقول تعالى والمراد المكلفون من الامة لا تجعل ايها المكلف في عبادتك لربك شريكا
فتقعد مذموما اي على اشراكك به مخذولا لان الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك الى الذي

عبدت معه ولا يملك لك ضرا ولا نفعا لان مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له ٥
وقد قال الامام احمد حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا بشير بن سلمان عن سيار
ابن الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اصابته فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ومن انزلها بالله اوشك الله له بالغنى اما
آجل واما غنى عاجل ورواه ابو داود والترمذي من حديث بشير ابن سلمان به وقال الترمذي
حسن صحيح غريب ٥

وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل
من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ٥ ك م

يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له فان القضا ها هنا بمعنى الامر قال مجاهد
وقضى يعني وصى وكذا قرا ذلك ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود والضحاك بن مزاحم ووصى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال وبالوالدين احسانا كما قال في
الاية الاخرى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
فلا تقل لهما اف اي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التافيف الذي هو ادنى مراتب القول
السيء ولا تنهرهما اي ولا يصدر اليهما منك فعل قبيح كما قال عطا ابن ابي رباح في قوله
ولا تنهرهما اي ولا تنفض يديك على والديك ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح امره
بالقول الحسن والفعل الحسن فقال وقل لهما قولا كريما اي لينا طيبا حسنا بادب وتوقير
وتعظيم واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي تواضع لهما بفعلك وقل رب ارحمهما كما ربياني
صغيرا قال ابن عباس ثم انزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا معه ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى ٥ وقد جاء في بر الوالدين احاديث كثيرة منها
الحديث المروي من طرق عن انس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر
قال آمين آمين آمين فقالوا يا رسول الله على ما امنت قال اتاني جبريل فقال يا محمد رغم
انف امرء ذكرت عنده فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم انف امرء
دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم انف امرء
ادرك ابويه او احدهما فلم يدخلاه الجنة قل آمين فقلت آمين ٥ حديث آخر
وقال الامام احمد حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد انا زرارة بن اوفى عن مالك

ابن الحرث رجل منهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ضم يتيما بين ابوين مسلمين
الى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة ومن اعتق امرا مسلما كان
فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا منه ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه الا انه قال عن رجل من قومه يقال له مالك او ابن
مالك وزاد ومن ادرك والديه او احدهما فدخل النار فابعده الله ٥ حديث آخر
وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة انا علي بن زيد عن زرارة بن
اوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اعتق رقبة
مسلمة فهي فداؤه من النار مكان كل عظم من عظام محرره بعظم من عظامه ومن
ادرك احد والديه ثم لم يغفر له فابعده الله عز وجل ومن ضم يتيما بين مسلمين الى طعامه
وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة ٥ حديث آخر وقال الامام
احمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن اوفى يحدث
عن انس بن مالك القشيري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من ادرك والديه او احدهما
ثم دخل النار من بعد ذلك فابعده الله واسحقه ورواه ابو داود الطيالسي عن شعبة به وفيه
زيادات اخر ٥ حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عفان
حدثنا ابو عوانة حدثنا سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم
انف ثم رغم انف ثم رغم انف رجل ادرك والديه احدهما او كلاهما عند الكبر لم يدخل الجنة
صحيح من هذا الوجه ولم يخرجه سوى مسلم من حديث ابي عوانة وجرير وسليمان بن بلال
عن سهيل به ٥ حديث آخر وقال الامام احمد حدثنا ربعي بن ابراهيم قال احمد
وهو اخو اسمعيل بن علية وكان يفضل على اخيه عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ٥ قال ربعي ولا اعلم الا قال او احدهما
ورواه الترمذي عن احمد بن ابراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه ٥ حديث
آخر وقال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل انا اسيد بن
علي عن ابيه علي بن عبيد عن ابي اسيد وهو مالك بن ربيعة قال بينا انا جالس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شي
بعد موتهما ابرهما به قال نعم خصال اربع الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام
صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما

دخل عليه رمضان فانسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل

وروّاه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به ٥ حديث
آخر وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج اخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله
بن عبد الرحمن عن ابيه عن معاوية بن جاهمة السلمي ان جاهمة جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اردت الغزو وجيتك استشيرك فقال هل لك من ام فقال نعم فقال الزمها
فان الجنة عند رجلها ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ٥ وروّاه النساي
وابن ماجه من حديث ابن جريج به ٥ حديث آخر قال الامام احمد حدثنا خلف
ابن الوليد ثنا ابن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب
الكندي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يوصيكم بامهاتكم ان الله يوصيكم بامهاتكم
ان الله يوصيكم بامهاتكم ان الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب ٥ وقد اخرجه ابن ماجه من
حديث اسمعيل بن عياش به ٥ حديث آخر وقال الامام احمد
حدثنا يونس ثنا ابو عوانة عن الاشعث بن سليم عن ابيه عن رجل من بني يربوع قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يكلم الناس يقول يد المعطي العليا امك واباك
واختك واخاك ثم ادناك ادناك ٥ حديث آخر قال الحافظ ابو بكر احمد
بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده ثنا ابراهيم بن المستمر العروقي ثنا عمرو بن سفيان ثنا الحسن
بن ابي جعفر عن ليث بن ابي سليم عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه
ان رجلا كان في الطواف حاملا امه يطوف بها فسال النبي صلى الله عليه وسلم هل اديت حقها
قال لا ولا بزفرة واحدة او كما قال ٥ ثم قال البزار لا نعلمه يروى الا من هذا الوجه
قلت والحسن بن ابي جعفر ضعيف والله اعلم ٥

ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه وفي نيته وقلبه انه لا يوخذ
به وفي رواية لا يريد الا الخير بذلك فقال ربكم اعلم بما في نفوسكم ٥ وقوله
انه كان للاوابين غفورا قال قتادة المطيعين اهل الصلاة وعن ابن عباس المسبحين وفي
رواية عنه المطيعين المحسنين ٥ وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ٥ وقال
شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله انه كان للاوابين غفورا
قال الذي يصيب الذنب ثم يتوب وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى بن
سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جريج عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب
به وكذا قال عطا بن يسار وقال مجاهد وسعيد بن جبير هم الراجعون الى الخير وقال مجاهد

عن عبيد بن عمير في قوله انه كان للاوابين غفورا قال هو الذي يذكر ذنوبه في
الخلا فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد في ذلك ٥ وقال عبد الرزاق
اخبرنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله انه كان للاوابين
غفورا قال كنا نعد الاواب الحفيظ ان يقول اللهم اغفر لي ما اصبت في مجلسي هذا ٥
قال ابن جرير والاولى في ذلك قول من قال هو التايب من الذنب
الراجع عن المعصية الى الطاعة مما يكره الله الى ما يحبه ويرضاه وهذا الذي قاله
هو الصواب لان الاواب مشتق من الاوب وهو الرجوع يقول آب فلان اذا رجع
قال الله تعالى ان الينا ايابهم وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
رجع من سفر يقول آيبون تايبون عابدون لربنا حامدون ٥

وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر
تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغا
رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ٥

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الاحسان الى القرابة وصلة الارحام كما تقدم في
الحديث امك واباك ثم ادناك ادناك وفي رواية ثم الاقرب فالاقرب وفي الحديث
من احب ان يبسط له في رزقه وينسا له في اجله فليصل رحمه وقال الحافظ ابو بكر البزار
حدثنا عباد بن يعقوب ثنا ابو يحيى التيمي ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابي سعيد قال
لما نزلت هذه الاية وآت ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فاعطاها فدك
ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق الا ابو يحيى التيمي وحميد بن حماد بن ابي الخوار
وهذا الحديث يشكل لو صح اسناده لان الاية مكية وفدك انما فتحت مع خيبر سنة سبع
من الهجرة فكيف يلتيم هذا مع هذا ٥ وقد تقدم الكلام على المساكين وابنا السبيل في سورة
براة بما اغنى عن اعادته ها هنا ٥ وقوله ولا تبذر تبذيرا لما امر بالانفاق
نهى عن الاسراف فيه بل يكون وسطا كما في الاية الاخرى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ثم قال منفرا عن التبذير والسرف ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين اي اشباههم في ذلك قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير
حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو انفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا
ولو انفق مدا في غير حقه كان تبذيرا ٥ وقال قتادة التبذير النفقة في معصية الله

ثم اذا صح الحديث هو متكلم فيه الارتياب انه من وضع الرافضة والله اعلم

وفي غير الحق وفي الفساد ٥ وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن القسم ثنا ليث عن خالد
ابن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن انس بن مالك انه قال اتى رجل من بني تميم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ذو مال كثير وذو اهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف انفق
وكيف اصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك
وتصل اقرباك وتعرف حق السايل والجار والمسكين فقال يا رسول الله اقلل لي قال فات
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا فقال حسبي يا رسول الله اذا اديت
الزكاة الى رسولك فقد برئت منها الى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم اذا اديتها الى رسولي فقد برئت منها فلك اجرها واثمها على من بدلها ٥ وقوله
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب
معصيته ولهذا قال وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا لانه انكر نعمة الله عليه ولم
يعمل بطاعته بل اقبل على معصيته ومخالفته ٥ وقوله واما تعرضن عنهم ابتغا
رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي واذا سالك اقاربك ومن امرناك باعطايهم
وليس عندك شي واعرضت عنهم لفقد النفقة فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم وعدا بسهولة
ولين اذا جا رزق الله فسنصلكم ان شا الله هكذا فسر قوله فقل لهم قولا ميسورا بالوعد
مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد ٥

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا ٥

يقول تعالى امرا بالاقتصاد في العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي احدا شيا كما قالت اليهود عليهم لعاين الله
يد الله مغلولة اي نسبوه الى البخل تعالى الله وتقدس الكريم الوهاب ٥ وقوله ولا تبسطها
كل البسط اي ولا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج اكثر من دخلك فتقعد ملوما
محسورا وهذا من باب اللف والنشر اي فتقعد ان بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك
ويستغنون عنك كما قال زهير بن ابي سلمى في المعلقة ٥
ومن كان ذا مال ويبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذمم ٥
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شي تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التي
عجزت عن السير فوقفت عجزا وضعفا فانها تسمى الحسير وهو ماخوذ من الكلال كما قال تعالى
فارجع

فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
اي كليل عن ان يرى عيبا هكذا فسر هذه الاية بان المراد هنا البخل والسرف ابن عباس والحسن
وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم ٥ وقد جا في الصحيحين من حديث ابي الزناد
عن الاعرج عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق
كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او
وفرت على جلده حتى يخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا
لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع ٥ هذا لفظ البخاري في الزكاة ٥ وفي
الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها اسما بنت
ابي بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي هكذا وهكذا وهكذا ولا توعي فيوعي الله
عليك ولا توكي فيوكي الله عليك ٥ وفي لفظ لا تحصي فيحصي الله عليكم ٥ وفي صحيح
مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قال لي انفق انفق عليك ٥ وفي الصحيحين من طريق معوية بن ابي مزرد
عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان من السما يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول
الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ٥ وروى مسلم عن قتيبة عن اسمعيل بن جعفر عن العلا
عن ابيه عن ابي هريرة مرفوعا ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا
ومن تواضع لله رفعه الله ٥ وفي حديث ابي كثير عن عبد الله بن عمرو مرفوعا اياكم
والشح فانه اهلك من كان قبلكم امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم
بالفجور ففجروا ٥ وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن ابي معوية عن الاعمش
عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخرج رجل صدقة
حتى يفك لحيي سبعين شيطانا ٥ وقال الامام احمد حدثنا ابو عبيدة الحداد
ثنا مسكين بن عبد العزيز ثنا ابراهيم الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد ٥ وقوله ان ربك
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اخبار انه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف
في خلقه بما يشا فيغني من يشا ويفقر من يشا لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال انه كان
بعباده خبيرا بصيرا اي خبيرا بصيرا بمن يستحق الفقر ومن يستحق الغنى كما جا في الحديث
ان من عبادي لمن لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه وان من عبادي لمن لا يصلحه الا الغنى

ولو افقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي وقد يكون الغنى في حق بعض الناس
استدراجا والفقر عقوبة عياذا بالله من هذا وهذا ٥

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم
واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ٥

هذه الاية الكريمة دالة على ان الله تعالى ارحم بعباده من الوالد بولده لانه تعالى نهى عن
قتل الاولاد كما اوصى بالاولاد في الميراث وقد كان اهل الجاهلية لا يورثون البنات
بل كان احدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق اي خوف ان تفتقروا في ثاني الحال ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال نحن
نرزقهم واياكم وقال في سورة الانعام ولا تقتلوا اولادكم من املاق اي من فقر
نحن نرزقكم واياهم ٥ وقوله ان قتلهم كان خطا كبيرا اي ذنبا عظيما وقرا
بعضهم خطاء كبيرا وهو بمعناه وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله
اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية
ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك ٥

ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ٥

يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته وهو مخالطة اسبابه
ودواعيه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة اي ذنبا عظيما وساء سبيلا اي وبئس طريقا ومسلكا
وقد قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون ثنا جرير ثنا سليم بن عامر عن ابي امامة
قال ان فتى شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فاقبل القوم عليه
فزجروه وقالوا مه مه فقال ادنه فدنا منه قريبا قال اجلس فجلس قال اتحبه لامك
قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لامهاتهم قال افتحبه لابنتك قال لا والله يا رسول
الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك قال لا والله جعلني الله
فداك قال ولا الناس يحبونه لاخواتهم قال افتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس
يحبونه لعماتهم قال افتحبه لخالتك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم
قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه واحصن فرجه قال فلم يكن بعد
ذلك الفتى يلتفت الى شيء ٥ وقال ابن ابي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية
عن ابي بكر بن ابي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له ٥

ولا

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
انه كان منصورا ٥

يقول تعالى ناهيا عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة ٥
وفي السنن لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل المسلم ٥ وقوله ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا اي سلطة على القاتل فانه بالخيار فيه ان شاء قتله قودا وان
شاء عفا عنه على الدية وان شاء عفا مجانا كما ثبتت السنة بذلك ٥ وقد
اخذ الامام الحبر ابن عباس رضي الله عنهما من عموم هذه الاية الكريمة ولاية معوية السلطنة
وانه سيملك لانه كان ولي عثمان رضي الله عنه وقد قتل عثمان مظلوما وكان معوية
يطالب عليا رضي الله عنه ان يسلمه قتلة عثمان حتى يقتص منهم لانه اموي وكان علي
رضي الله عنه يستمهله في الامر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب علي من معوية الشام فيابى
معوية ذلك حتى يسلمه القتلة وابى ان يبايع عليا هو واهل الشام ثم مع المطاولة تمكن
معوية وصار الامر اليه كما قال ابن عباس واستنبط من هذه الاية الكريمة
وهذا من الامر العجب وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى
بن عبد الباقي ثنا ابو عمير بن النحاس ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق
عن زهدم الجرمي قال كنا في سمر ابن عباس فقال اني محدثكم حديثا ليس بسر ولا علانية
انه لما كان من امر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لعلي اعتزل فلو كنت في جحر
طلبت حتى تستخرج فعصاني وايم الله ليتامرن عليكم معوية وذلك ان الله يقول ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا وليحملنكم قريش على
سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى والمجوس فمن اخذ منكم يومئذ بما يعرف
نجا ومن ترك وانتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فيمن هلك ٥ وقوله فلا
يسرف في القتل قالوا معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بان يمثل به او يقتص من غير
القاتل وقوله انه كان منصورا اي ان الولي منصور على القاتل شرعا وغالبا قدرا

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده
واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل

اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا

يقول تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي لا تتصرفوا له الا بالغبطة ولا تاكلوا اموالهم اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقد جاء في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم ٥ وقوله واوفوا بالعهد اي العهد الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها فان العهد والعقد كل منهما يسال صاحبه عنه ان العهد كان مسئولا اي عنه ٥ وقوله واوفوا الكيل اذا كلتم اي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس اشياءهم وزنوا بالقسطاس قرئ بضم القاف وكسرها كالقرطاس وهو الميزان وقال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله المستقيم اي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلك خير اي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال واحسن تاويلا اي خير ثوابا وعاقبة وان ابن عباس كان يقول يا معشر الموالي انكم وليتم امرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله الا ابدله الله في عاجل الدنيا قبل الاخرة ما هو خير له من ذلك ٥

ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ٥

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يقول ولا تقل وقال العوفي عنه ولا ترم احدا بما ليس لك به علم ٥ وقال محمد بن الحنفية يعني شهادة الزور وقال قتادة لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فان الله سائلك عن ذلك كله ومضمون ما ذكروه ان الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وفي الحديث اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وفي سنن ابي داود بيس مطية الرجل زعموا ٥ وفي الحديث الاخر ان افرى الفرى ان يري الرجل عينيه ما لم تريا ٥ وفي الصحيح من تحلم حلما كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل ٥ وقوله كل اولئك كان عنه مسئولا اي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسئولا اي سيسال العبد عنها يوم القيامة وتسال عنه وعما عمل فيها ويصح استعمال اولئك مكان تلك كما قال الشاعر

دم

٣٧

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام

ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية ولا تمش في الارض مرحا اي متبخترا متمايلا مشي الجبارين انك لن تخرق الارض اي لن تقطع الارض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة ابن العجاج وقاتم الاعماق خاوي المختزق وقوله ولن تبلغ الجبال طولا اي بتمايلك وفخرك واعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح بينا رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما اذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وكذلك اخبر الله تعالى عن قارون انه خرج على قومه في زينته وان الله تعالى خسف به وبداره الارض وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس صغير حتى لهو ابغض اليهم من الكلب او الخنزير ٥ قال ابو بكر ابن ابي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع حدثنا احمد بن ابراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المودي حق الله فيها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو منه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ٥ وراى العمري العابد رجلا من ال علي وهو يتبختر في مشيته فقال له يا هذا ان الذي اكرمك الله به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد ٥ وراى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال ان للشياطين وقال خالد بن معدان اياكم والخطر فان الرجل قد تنافر يده من سائر جسده رواهما ابن ابي الدنيا ٥ وقال ابن ابي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن يحنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض ٥ وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها اما من قرا

لعله للشيطان اخوان او ثلاثا

شيئة اي فاحشة فمعناه عند كل هذا الذي نهينا عنه من قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الى هاهنا فهو سيئة مواخذ عليها مكروها عند الله لا يحبه ولا يرضاه واما من قرا سيئة على الاضافة فمعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى هاهنا فسيئه اي قبيحه مكروه عند الله هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل
مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا

يقول تعالى هذا الذي امرناك به من الاخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما اوحيناه اليك يا محمد لتامر به الناس ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما اي تلومك نفسك ويلومك الله والخلق مدحورا قال ابن عباس وقتادة مطرودا والمراد من هذا الخطاب للامة بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم فانه صلوات الله وسلامه عليه معصوم ٥

افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ٥

يقول تعالى رادا على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعاين الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم ادعوا انهم بنات الله ثم عبدوهم فاخطاوا في كل من المقامات الثلاث خطا عظيما فقال تعالى منكرا عليهم افاصفاكم ربكم بالبنين اي خصصكم بالذكور واتخذ من الملائكة اناثا اي واختار لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال انكم لتقولون قولا عظيما اي في زعمكم ان لله ولدا ثم جعلكم ولده الاناث اللاتي تانفون ان يكن لكم وربما قتلتموهن بالواد فتلك اذا قسمة ضيزى وقال الله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيامة فردا ٥

ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا

يقول تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون ما فيه من الحجج والبينات والمواعظ فينزجرون عما هم فيه من الشرك والظلم والافك وما يزيدهم اي الظالمين منهم الا نفورا اي عن الحق وبعدا منه ٥

قل

قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ٥

يقول تعالى قل يا محمد لهولاء المشركين الزاعمين ان لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم اليه زلفى لو كان الامر كما يقولون وان معه الهة تعبد لتقرب اليه وتشفع لديه لكان اولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربة فاعبدوه انتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وانبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال سبحانه وتعالى عما يقولون اي هولاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم ان معه الهة اخرى علوا كبيرا اي تعاليا كبيرا بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ٥

تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن وان من
شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان
حليما غفورا ٥

يقول تعالى تقدسه السماوات السبع والارض ومن فيهن اي من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتجله وتكبره عما يقول هولاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته والالهية ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد كما قال تعالى تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ٥ وقال ابو القسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا شعيب بن منصور ثنا مسكين بن ميمون موذن مسجد الرملة عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى المسجد الاقصى فلما رجع كان بين المقام وزمزم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السماوات السبع فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السماوات العلى مع تسبيح كثير سبحت السماوات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحان العلي الاعلى سبحانه وتعالى ٥ وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده اي وما من شيء من المخلوقات الا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها الناس لانها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوان والنبات والجماد وهذا اشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود انه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل ٥ وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل وكذا في يد ابي بكر وعمر وعثمان

رضي الله عنهم أجمعين وهو حديث مشهور في المسانيد ٥ وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه ٥ وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال نقيقها تسبيح ٥ وقال قتادة عن عبد الله ابن بابي عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم ٥ وقال الإمام أحمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت الصقعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج أو مزرورة بديباج فقال إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع ابن راع ويضع كل رأس ابن رأس فقام إليه النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال لا أرى عليك ثياب من لا يعقل ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إني قاصر عليكما الوصية آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فإن السماوات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السماوات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لفصمتها أو لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ٥ ورواه أحمد أيضا عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير به أطول من هذا تفرد به ٥ وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني آمرك أن تقول سبحان الله فإنها صلاة الخلائق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده إسناده فيه ضعف فإن الربذي ضعيف عند الأكثرين ٥ وقال عكرمة في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال الأسطوانة

تسبح

تسبح والشجر تسبح الأسطوانة السارية ٥ وقال بعض السلف إن صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في سورة الحج ٥ وقال آخرون إنما يسبح ما كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده قال كل شيء فيه الروح يسبح من شجر أو شيء فيه ٥ وقال الحسن والضحاك في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده قالا كل شيء فيه الروح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان فقال كان يسبح مرة قلت الخوان هو المائدة من الخشب فكأن الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا أخرجاه في الصحيحين قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال ما لم ييبسا لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة فإذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم ٥ وقوله إنه كان حليما غفورا أي إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقال الله تعالى وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع إلى الله وتاب إليه تاب عليه كما قال تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال هاهنا إنه كان حليما غفورا كما قال في آخر فاطر إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا إلى أن قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ٥

وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون

بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على أدبارهم نفورا ٥

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإذا قرأت يا محمد على المشركين (هؤلاء)
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة وبينهم حجابا قال قتادة وابن
زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب أي مانع حائل أن يصل إلينا مما تقول شيء ٥ وقوله
حجابا مستورا أي بمعنى ساتر كميمون ومشؤوم بمعنى يامن وشائم لأنه من يمنهم وشأمهم
وقيل مستورا عن الأبصار فلا ترا‌ه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال
إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله ٥ وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو
موسى الهروي إسحق بن إبراهيم حدثنا سفين عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن
أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت تبت يدا أبي لهب جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة
وفي يدها فهر وهي تقول مذمما أتينا أو أبينا قال أبو موسى الشك مني ودينه
قلينا وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه أو قال معه
قال فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال إنها لن تراني وقرأ قرآنا
اعتصم به وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر
بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت
وهي تقول قد علمت قريش أني بنت سيدها ٥ وقوله وجعلنا على قلوبهم
أكنة وهي جمع كنان الذي يغشى القلب أن يفقهوه أي لئلا يفهموا القرآن وفي آذانهم
وقرا وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعا ينفعهم ويهتدون به ٥ وقوله
وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا
الله ولوا أي أدبروا راجعين على أدبارهم نفورا ونفور جمع نافر كقعود جمع
قاعد ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى وإذا ذكر الله
وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم
يستبشرون قال قتادة في قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على أدبارهم نفورا أن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم

وضاقها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها إنها
كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها
الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها ٥
قول آخر قال ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الذارع حدثنا روح بن
المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله
وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا هم الشياطين وهذا غريب
في تفسيرها وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا ٥

نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك
وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون
إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ٥

يخبر تعالى نبيه صلوات الله عليه بما تناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا
يستمعون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل
مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرئة أي إن تتبعون إن اتبعتم
محمدا إلا بشرا يأكل ويشرب كما قال الشاعر ٥

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز ونسحر بالطعام والشراب أي نغذى وقد صوب هذا القول
ابن جرير وفيه نظر لأنهم إنما أرادوا ههنا أنه مسحور له رئي يأتيه بما استمعوه من الكلام
الذي يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال
ساحر ولهذا قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي
فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون إليه مخلصا قال محمد بن إسحق في السيرة حدثني محمد بن مسلم
ابن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفين بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق
ابن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه
فباتوا يستمعون له فلما طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض (حتى اذا)
لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد
كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم

لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه
فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد
لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان
ابن حرب في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد
سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال
الأخنس وأنا والذي حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا
الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد قال ماذا سمعت قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه
الأخنس وتركه ٥

وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة
فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو
قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ٥

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد القائلين استفهام
إنكار منهم لذلك أإذا كنا عظاما ورفاتا أي ترابا قاله مجاهد وقال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس غبارا أإنا لمبعوثون أي يوم القيامة خلقا جديدا أي بعد ما بلينا
وصرنا عدما لا نذكر كما أخبر عنهم في الموضع يقولون أإنا لمردودون في الحافرة لعله الأخر
أإذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي
جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون وهكذا أمر رسوله ههنا
أن يجيبهم فقال قل كونوا حجارة أو حديدا وهما أشد امتناعا من العظام والرفات
أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
سألت ابن عباس عن ذلك فقال هو الموت وروى عطية عن ابن عمر أنه قال في تفسير
هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة والضحاك

ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم قد صرتم موتا الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا
شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده وقد ذكر ابن جرير ههنا حديث يجاء بالموت
يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا
فيقولون نعم ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا فيقولون نعم فيذبح بين الجنة والنار ثم
يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ٥ وقال مجاهد
أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني السماء والأرض والجبال وفي رواية ما شئتم
فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ٥ وقد وقع في التفسير المروي عن الإمام
مالك عن الزهري في قوله أو خلقا مما يكبر في صدوركم قال النبي صلى الله عليه وسلم
قال مالك ويقولون هو الموت ٥ وقوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
أول مرة أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر شديدا قل الذي فطركم أول
مرة أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم
ولو صرتم إلى أي حال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ٥ وقوله
فسينغضون إليك رؤوسهم قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قالاه
هو الذي تعرفه العرب في لغاتها فإن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى
أسفل ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغضا لأنه إذا مشى عجل في مشيته وحرك
رأسه ويقال نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها قال الراجز ٥
ونغضت من هرم أسنانها ٥ وقوله ويقولون متى هو إخبار عنهم بالاستبعاد
منهم لوقوع ذلك كما قال ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وقال تعالى
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قل عسى أن يكون قريبا أي احذروا ذلك فإنه قريب
إليكم سيأتيكم لا محالة فكل آت آت ٥ وقوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
أي الرب تعالى إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون أي إذا أمركم بالخروج منها
فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وإنما قولنا لشيء إذا أردناه
أن نقول له كن فيكون وقال فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة أي إنما هو أمر
واحد بانتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال يوم يدعوكم
فتستجيبون بحمده أي تقومون كلكم إجابة لأمره وطاعة لإرادته وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس فتستجيبون بحمده أي بأمره وكذا قال ابن جريج وقال قتادة بمعرفته
وطاعته وقال بعضهم يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده أي وله الحمد في كل حال وقد جاء

في الحديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يقومون
من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله وفي رواية يقولون
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وسيأتي في سورة فاطر ۝ وقوله وتظنون
أي يوم تقومون من قبوركم إن لبثتم أي في الدار الدنيا إلا قليلا كما قال كأنهم يوم يرونها لم
يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما
وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال تعالى قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل
العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ۝

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ
بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم
الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى
الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من
السجود لآدم فعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة
فإن الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها قال الإمام أحمد حدثنا
عبد الرزاق أنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمشين — لعله يشيرن
أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة
من نار ۝ أخرجاه من حديث عبد الرزاق ۝ وقال الإمام أحمد حدثنا
عفان ثنا حماد أنا علي بن زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سليط قال أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في أزفلة من الناس فسمعته يقول المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
التقوى ههنا قال حماد وقال بيده إلى صدره وما تواد رجلان في الله فيفرق بينهما
إلا حدث يحدثه أحدهما والمحدث شر ثم المحدث شر والمحدث شر ۝

ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم
وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن في السماوات
والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ۝

يقول تعالى ربكم أعلم بكم أيها الناس من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق

إن يشأ يرحمكم بأن يوفقكم لطاعته والإنابة إليه أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك يا محمد
عليهم وكيلا أي إنما أرسلناك نذيرا فمن أطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار ۝ وقوله
وربك أعلم بمن في السماوات والأرض أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض كما قال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا
تفضلوا بين الأنبياء فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل
فإنه إذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء
وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة
الأحزاب وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن
مريم وفي الشورى في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ولا خلاف
أن محمدا أفضلهم ثم من بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور وقد بسطنا هذا بدلائله
في غير هذا الموضع والله الموفق ۝ وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه
على فضله وشرفه ۝ قال البخاري حدثنا إسحق بن نصر أنا عبد الرزاق أنا معمر
عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القراءة فكان يأمر
بدوابه لتسرج فكان يقرأ قبل أن تفرغ يعني القرآن ۝

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
إن عذاب ربك كان محذورا ۝

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم
من دونه من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي
بالكلية ولا تحويلا أي أن يحولوه إلى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله
وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر قال العوفي عن ابن عباس في قوله
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا قال كان أهل الشرك
يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا ۝ وقوله أولئك الذين يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم

عن ابي معمر عن عبد الله في قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال ناس
من الجن كانوا يعبدون فاسلموا وفي رواية قال كان ناس من الانس يعبدون ناسا
من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ٥ وقال قتادة عن معبد
ابن عبد الله الزماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون
نفرا من الجن فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فنزلت
هذه الاية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن
فذكره وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب قال عيسى وامه وعزير ٥ وقال مغيرة
عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الاية هم عيسى وعزير والشمس والقمر
وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة واختار ابن جرير قول ابن مسعود
لقوله يبتغون الى ربهم الوسيلة وهذا لا يعبر عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير
وقال الوسيلة هي القربة كما قال قتادة ولهذا قال ايهم اقرب ٥ وقوله ويرجون
رحمته ويخافون عذابه لا تتم العبادة الا بالخوف والرجا فبالخوف ينكف عن المناهي
وبالرجا ينبعث على الطاعات وقوله ان عذاب ربك كان محذورا اي ينبغي
ان يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذا بالله منه ٥

وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا

هذا اخبار من الله بانه قد حتم وقضى بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ انه ما من قرية
الا سيهلكها بان يبيد اهلها جميعهم او يعذبهم عذابا شديدا اما بقتل او ابتلاء بما يشا
وانما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال عن الامم الماضين وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم وقال تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا ٥

وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالايات الا تخويفا ٥

قال سنيد عن حماد بن زيد عن ايوب عن سعيد بن جبير قال قال المشركون

يا محمد انك تزعم انه كان قبلك انبيا فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى
فان سرك ان نؤمن بك ونصدقك فادع ربك ان يكون لنا الصفا ذهبا فاوحى
الله اليه اني قد سمعت الذي قالوا فان شئت ان نفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل
العذاب فانه ليس بعد نزول الاية مناظرة وان شئت ان تستاني بقومك استانيت
بهم قال يا رب استان بهم وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما ٥ وقال الامام
احمد حدثنا عثمان بن محمد ثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا
وان ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا فقيل له ان شئت ان تستاني بهم وان شئت ان نؤتيهم الذي
سالوا فان كفروا اهلكوا كما اهلكت من قبلهم من الامم قال لا بل استاني بهم وانزل الله وما منعنا
ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة ورواه النسائي
من حديث جرير به ٥ وقال احمد حدثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن سلمة
ابن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم
ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن لك قال وتفعلون قالوا نعم فدعا فاتاه جبريل
فقال ان ربك يقرا عليك السلام ويقول لك ان شئت اصبح الصفا لهم ذهبا فمن كفر
منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت فتحت لهم باب
التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة ٥ وقال الحافظ ابو يعلى في مسنده
حدثنا محمد بن اسمعيل بن علي الانصاري ثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار
ابن عمر الايلي عن عبد الله بن عطا بن ابراهيم عن جدته ام عطا مولاة الزبير بن العوام قال
سمعت الزبير يقول لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير فجاءته قريش فحذرهم وانذرهم فقالوا تزعم
انك نبي يوحى اليك وان سليمان سخر له الريح والجبال وان موسى سخر له البحر وان
عيسى كان يحيي الموتى فادع الله ان يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الارض انهارا فنتخذها
محارث فنزرع وناكل والا فادع الله ان يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا والا فادع الله ان
يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتا والصيف فانك تزعم
انك كهيئتهم قال فبينا نحن حوله اذ نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال والذي نفسي بيده لقد
اعطاني ما سالتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم
وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم احد

فاخترت باب الرحمة يؤمن مؤمنكم واخترت انه ان اعطاكم ذلك ثم كفرتم انه يعذبكم عذابا
لا يعذبه احدا من العالمين ونزلت وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
حتى قرا ثلاث آيات ونزلت ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به
الموتى بل لله الامر جميعا الاية ٥ ولهذا قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات اي
انبعث الايات ونأتي بها على ما سأل قومك فانه سهل علينا يسير لدينا الا انه قد كذب
بها الاولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي امثالهم انهم لا يؤخرون اذا كذبوا بها بعد نزولها
كما قال تعالى في المائدة قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين وقال تعالى عن ثمود حين سألوا اية ناقة تخرج من صخرة
عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فاخرج لهم منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها اي كفروا
بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير
مكذوب ولهذا قال تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة اي دالة على وحدانية من خلقها
وصدق الرسول الذي اجيب دعاؤه فيها فظلموا بها اي كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها فاباده
الله عن آخرهم وانتقم منهم واخذهم اخذ عزيز مقتدر ٥ وقوله وما نرسل
بالايات الا تخويفا قال قتادة ان الله يخوف الناس بما يشاء من آياته
ويذكرون ويرجعون وذكر لنا ان الكوفة رجفت على عهد عبد الله بن مسعود
فقال يا ايها الناس ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه وهكذا روي ان المدينة زلزلت على
عهد عمر بن الخطاب مرات فقال عمر احدثتم والله لئن عادت لافعلن ولافعلن ٥
وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله وانهما لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يرسلهما يخوف بهما
عباده فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره ثم قال يا امة محمد والله ما من
احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا ٥

وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا
الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة
في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ٥

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم محرضا له على ابلاغ رسالته ومخبرا له بانه
قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وغلبته قال مجاهد وعروة بن

الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي
عصمك منهم وقوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال
البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به
والشجرة الملعونة شجرة الزقوم وكذا رواه احمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة
به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وهكذا فسر ذلك بليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن
جبير والحسن ومسروق وابراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد
تقدمت احاديث الاسراء في اول السورة مستقصاة ولله الحمد والمنة وتقدم ان
ناسا رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق لانه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتا ويقينا لاخرين ولهذا قال الا فتنة اي اختبارا
وامتحانا واما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال ابو جهل هاتوا لنا
تمرا وزبدا فجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا حكى
ذلك ابن عباس ومسروق وابو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال
انها ليلة الاسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم ٥ وقد قيل ان المراد بالشجرة الملعونة
بنو امية وهو غريب ضعيف قال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة
ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني ابي عن جدي قال رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع
ضاحكا حتى مات قال وانزل الله تعالى في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس الاية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك
وشيخه ايضا ضعيف بالكلية ولهذا اختار ابن جرير ان المراد بذلك ليلة الاسراء
وان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من اهل التاويل
على ذلك اي في الرؤيا والشجرة ٥ وقوله ونخوفهم اي الكفار بالوعيد والعذاب
والنكال فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك
من خذلان الله لهم ٥

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال
أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت

عليَّ لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا

يذكر تعالى عداوة ابليس لعنه الله لآدم عليه السلام وذريته وانها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى امر الملائكة بالسجود فسجدوا كلهم الا ابليس استكبر وابى ان يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له قال أأسجد لمن خلقت طينا كما قال في الاية الاخرى انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال ايضا أرأيتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى انه يقول أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي لئن انظرتني لأضلن ذريته الا قليلا منهم ٥

قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما
يعدهم الشيطان الا غرورا ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وكفى بربك وكيلا ٥

لما سأل ابليس النظرة قال الله له اذهب اي فقد انظرتك كما قال في الاية الاخرى قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ثم اوعده ومن تبعه من ذرية آدم جهنم فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اي على اعمالكم جزاء موفورا قال مجاهد وافرا وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه ٥ وقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء اي استخفهم بذلك وقال ابن عباس في قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال كل داع دعا الى معصية الله عز وجل وقاله قتادة واختاره ابن جرير وقوله واجلب عليهم بخيلك ورجلك يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجالتهم فان الرجل جمع راجل كما ان الركب جمع راكب والصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا امر قدري كما قال تعالى ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اي تزعجهم الى المعاصي ازعاجا وتسوقهم اليها سوقا وقال ابن عباس ومجاهد في قوله واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال كل راكب وماش في معصية الله ٥ وقال قتادة ان له خيلا ورجالا من الجن والانس وهم الذين يطيعونه وتقول العرب اجلب فلان على فلان اذا صاح عليه ومنه نهي في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة

وهي

وهي ارتفاع الاصوات وقوله وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس ومجاهد هو ما امرهم به من انفاق الاموال في معاصي الله وقال عطاء هو الربا وقال الحسن هو جمعها من خبيث وانفاقها في حرام وكذا قال قتادة ٥ وقال العوفي عن ابن عباس اما مشاركته اياهم في اموالهم فهو ما حرموه من انعامهم يعني من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة قال ابن جرير والاولى ان يقال ان الاية تعم ذلك كله ٥ وقوله والاولاد قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني اولاد الزنا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوا من اولادهم سفها بغير علم ٥ وقال قتادة عن الحسن البصري قد والله في الاموال والاولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الاسلام وجزءوا من اموالهم جزءا للشيطان وكذا قال قتادة [illegible] وقال ابو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم اولادهم عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان قال ابن جرير واولى الاقوال بالصواب ان يقال كل مولود ولدته انثى عصي الله فيه بتسميته بما يكرهه الله او بادخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله او بالزنا بامه او بقتله ووأده او غير ذلك من الامور التي يعصى الله بفعله به او فيه فقد دخل في مشاركة ابليس فيه من ولد ذلك الولد له او منه لان الله لم يخصص بقوله وشاركهم في الاموال والاولاد معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصي فيه او به واطيع فيه الشيطان او فيه فهو مشاركة وهذا الذي قاله متجه وكل من السلف فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم ٥ وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان احدهم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا ٥ وقوله وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا كما قال تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وكما اخبر تعالى عن ابليس انه يقول اذا حصحص الحق يوم يقضى بالحق ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي الاية ٥ وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اخبار بتاييده تعالى عباده المومنين وحفظه اياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال وكفى بربك وكيلا اي حافظا ومؤيدا وناصرا وقال الامام احمد حدثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن موسى

ابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المومن لينضي شيطانه
كما ينضي احدكم بعيره في السفر ينضي اي ياخذ بناصيته ويقهره ٥

ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله انه كان بكم رحيما ٥

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لها
لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من اقليم الى اقليم ولهذا قال انه كان بكم رحيما
اي انما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم ٥

واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما
نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ٥

يخبر تعالى انه اذا مس الناس ضر دعوه منيبين اليه مخلصين له الدين
ولهذا قال واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي ذهب عن قلوبكم
كل ما تعبدون غير الله كما اتفق لعكرمة بن ابي جهل لما ذهب فارا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين فتح مكة فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح
عاصف فقال القوم بعضهم لبعض انه لا يغني عنكم الا ان تدعوا الله وحده فقال
عكرمة في نفسه والله لئن كان لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في البر غيره اللهم
لك علي ان اخرجتني منه لاذهبن فلاضعن يدي في يد محمد فلاجدنه رؤوفا رحيما فخرجوا
من البحر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه
وقوله فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر واعرضتم
عن دعائه وحده لا شريك له وكان الانسان كفورا اي سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها
الا من عصم الله ٥

افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم
حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ٥

يقول تعالى افحسبتم ان بخروجكم الى البر امنتم من عقابه انتقامه
وعذابه ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا وهو المطر الذي فيه حجارة
قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر وقد
قال في الاية الاخرى وامطرنا عليهم حجارة من طين وقال اامنتم من في السماء ان
يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون

كيف

كيف نذير وقوله ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم
قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا ٥

يقول تعالى ام امنتم ايها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيده في البحر وخرجوا
الى البر ان يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح اي يقصف الصواري
ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها
وقوله فيغرقكم بما كفرتم اي بسبب كفركم واعراضكم عن الله تعالى وقوله
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال ابن عباس نصيرا وقال مجاهد نصيرا ثائرا اي ياخذ
بثاركم بعدكم وقال قتادة ولا نخاف احدا يتبعنا بشيء من ذلك ٥

ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

يخبر تعالى عن تشريفه بني ادم وتكريمه اياهم في خلقه لهم على احسن الهيات
واكملها كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي يمشي منتصبا على رجليه وياكل
بيديه وغيره من الحيوانات يمشي على اربع وياكل بفمه وجعل له سمعا وبصرا وفوادا يفقه
بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الاشيا ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الامور
الدنيوية والدينية وحملناهم في البر على الدواب من الانعام والخيل والبغال وفي البحر
ايضا على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات اي من زروع وثمار ولحوم
والبان من سائر انواع الطعوم والالوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس
المرتفعة من سائر الانواع على اختلاف اصنافها والوانها واشكالها مما يصنعونه لانفسهم
ويجلبه اليهم غيرهم من اقطار الاقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي
من سائر الحيوانات واصناف المخلوقات وقد استدل بهذه الاية على افضلية جنس
البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن زيد بن اسلم قال
قالت الملائكة يا ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك
فاعطناه في الاخرة فقال الله وعزتي وجلالي لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي
كمن قلت له كن فكان ٥ وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه وقد روي من
وجه اخر متصلا فقال الحافظ ابو القسم الطبراني حدثنا احمد بن محمد بن صدقة البغدادي

بيان ذريته

ابن ابراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ثنا حجاج بن محمد ثنا ابو غسان محمد بن مطرف عن صفوان
ابن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة
قالت يا ربنا اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح
بحمدك ولا ناكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا اجعل
صالح ذريته من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ۝ وقد روى ابن عساكر
من طريق محمد بن ايوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني ثنا سليمان
ابن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن علاق سمعت عروة بن رويم
اللخمي حدثني انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة قالوا ربنا
خلقتنا وخلقت بني آدم فجعلتهم ياكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب
ويأتون النساء ويركبون الدواب وينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئا
فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من
روحي كمن قلت له كن فكان ۝ وقال الطبراني حدثنا عبدان
ابن احمد ثنا عمر بن سهل ثنا عبيد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن ابيه
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيء اكرم على الله يوم القيامة
من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر
وهذا حديث غريب جدا ۝

يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه
فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ۝

يخبر تعالى عن يوم القيامة انه يحاسب كل امة بامامهم وقد اختلفوا في
ذلك فقال مجاهد وقتادة اي بنبيهم وهذا كقوله ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون وقال بعض السلف هذا اكبر شرف لاصحاب
الحديث لان امامهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد بكتابهم الذي انزل على نبيهم
من التشريع واختاره ابن جرير وروى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال بكتبهم فيحتمل
ان يكون اراد هذا وان يكون اراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله يوم ندعوا كل
اناس بامامهم اي بكتاب اعمالهم وكذا قال ابو العالية والحسن والضحاك وهذا القول
هو الارجح لقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقال تعالى ووضع الكتاب

فترى

فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى وترى كل امة جاثية
كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون وهذا لا ينافي ان يجاء بالنبي صلى الله عليه وسلم اذا حكم الله بين امته
فانه لا بد ان يكون شاهدا عليها باعمالها كما قال تعالى واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ولكن المراد ههنا بالامام هو كتاب الاعمال ولهذا قال
تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون
اي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته كما قال تعالى فاما
من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه الى ان
قال واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
وقوله ولا يظلمون فتيلا قد تقدم ان الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة
وقد روى الحافظ ابو بكر البزار حديثا في هذا فقال حدثنا محمد
ابن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالا ثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال
يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج
من لؤلؤة يتلألأ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا
وبارك لنا في هذا فياتيهم فيقول لهم ابشروا فان لكل رجل منكم مثل هذا واما الكافر
فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا او من شر
هذا اللهم لا تاتنا به فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله فان لكل رجل منكم
مثل هذا ثم قال البزار لا يروى الا من هذا الوجه ۝ وقوله ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
وابن زيد ومن كان في هذه اي الحياة الدنيا اعمى عن حجج الله وآياته وبيناته فهو في الآخرة
اعمى اي كذلك يكون واضل سبيلا اي واضل منه كما كان في الدنيا عياذا بالله من ذلك

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا
غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة

ح م
ويحتمل ان المراد بامامهم اي
كل قوم بمن ائتموا به فاهل الايمان ائتموا
بالانبياء واهل الكفر ائتموا
بائمتهم كما قال وجعلناهم ائمة
يدعون الى النار وفي الصحيح
لتتبع كل امة ما كانت تعبد
فيتبع من كان يعبد الطواغيت
الطواغيت الحديث

وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ۝

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناواه في مشارق الأرض ومغاربها صلى الله عليه وسلم تسليما

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها
وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد
أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا

قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك وقد قيل إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا أبا القسم إن كنت صادقا أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها إلى قوله تحويلا فأمره الله بالرجوع إلى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث ۝ وفي هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود إنما غزاها امتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام قال أبو الوليد يعني بيت المقدس فتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم ۝ وقيل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج

الرسول

الرسول من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى سراتهم ولهذا قال سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم ويأتيهم العذاب ولولا أنه عليه السلام رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ولهذا قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ۝

أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر
إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك
عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ۝

يقول تعالى لرسوله آمرا له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها أقم الصلاة لدلوك الشمس قيل غروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد ۝ وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس دلوكها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضا عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير ثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس ۝ ثم رواه عن سهل بن بكار عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلاة الخمسة فمن قوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله وقرآن الفجر يعني صلاة الفجر وقد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواترا بينا من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه عمل أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه ۝ إن قرآن الفجر كان مشهودا قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وقرآن الفجر إن

قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ٥ وقال البخاري
حدثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن ابي سلمة وسعيد بن
المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تفضل صلاة الجميع على صلاة الواحد
خمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ٥ وقال الامام احمد
حدثنا اسباط ثنا الاعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
وحدثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وقرآن
الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ٥ ورواه الترمذي
والنسائي وابن ماجه ثلاثتهم عن عبيد بن اسباط بن محمد عن ابيه به وقال الترمذي
حسن صحيح وفي لفظ في الصحيحين من طريق عن ابي الزناد عن الاعرج
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم
بكم كيف تركتم عبادي فيقولون اتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ٥
وقال عبد الله بن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم
هؤلاء وكذا قال ابراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الاية
واما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة
عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر حديث النزول وان الله تعالى يقول من يستغفرني اغفر له
من يسالني اعطه ومن يدعوني فاستجيب له حتى يطلع الفجر فلذلك يقول
وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة
النهار فانه تفرد به زيادة وله بهذا حديث في سنن ابي داود ٥ وقوله
ومن الليل فتهجد به نافلة لك امر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح
مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الصلاة افضل بعد المكتوبة
قال صلاة الليل ولهذا امر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فان التهجد
ما كان بعد نوم قاله علقمة والاسود وابراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف
في لغة العرب ولذلك ثبتت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يتهجد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة كما هو مبسوط
في

في موضعه ولله الحمد والمنة ٥ وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء
ويحمل على ما بعد النوم واختلف في معنى قوله نافلة لك فقيل
معناه انك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجبا في حقه
دون الامة رواه العوفي عن ابن عباس وهو احد قولي العلماء واحد قولي الشافعي
رحمه الله واختاره ابن جرير وقيل انما جعل قيام الليل في حقه نافلة على
الخصوص لانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وغيره من امته انما يكفر عنه
صلواته النوافل الذنوب التي عليه قاله مجاهد وهو في المسند عن ابي امامة الباهلي
رضي الله عنه ٥ وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي
افعل هذا الذي امرتك لنقيمك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم
تبارك وتعالى قال ابن جرير قال اكثر اهل التاويل ذلك هو المقام الذي يقومه
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة
ذلك اليوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن
ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادي يا محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين
يديك وبك واليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل ٥ ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة
عن ابي اسحق به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن ابي اسحق به ٥ وقال
ابن عباس المقام المحمود مقام الشفاعة وكذا قال ابن ابي نجيح عن مجاهد وقاله
الحسن البصري وقال قتادة هو اول من تنشق عنه الارض واول شافع وكان
اهل العلم يرون انه المقام المحمود الذي قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها احد
وتشريفات لا يساويه فيها احد فهو اول من تنشق عنه الارض ويبعث راكبا الى المحشر
وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه وله الحوض الذي ليس في الموقف اكثر واردا منه
وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما يسال الناس
آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى ياتوا الى محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول انا لها انا لها كما سنذكر ذلك مفصلا في هذا الموضع ان شاء الله ومن ذلك

انه يشفع في اقوام قد امر بهم الى النار فيردون عنها وهو اول الانبياء يقضي بين
امته واولهم اجازة على الصراط بامته وهو اول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم
وفي حديث الصور ان المومنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته وهو اول داخل
اليها وامته قبل الامم كلهم ويشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب
الوسيلة التي هي اعلا منزلة في الجنة لا تليق الا له واذا اذن تعالى في الشفاعة
في العصاة تشفع الملايكة والنبيون والمومنون فيشفع هو في خلايق لا يعلم عدتهم الا
الله ولا يشفع احد مثله ولا يساويه في ذلك وقد بسطت ذلك مستقصى
في اخر كتاب السيرة في باب الخصايص ولله الحمد والمنة ۝ ولنذكر
الان الاحاديث الواردة في المقام المحمود وبالله المستعان ۝
قال البخاري حدثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم
ابن علي سمعت ابن عمر ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون
يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم
يبعثه الله مقاما محمودا ۝ ورواه حمزة بن عبد الله عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا شعيب بن الليث
ثنا الليث عن عبيد الله بن ابي جعفر انه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم
كذلك استغاثوا بادم فيقول لست صاحب ذلك ثم موسى فيقول كذلك ثم بمحمد
فيشفع بين الخلق فيمشي حتى ياخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا وهكذا
رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقه عن عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث
بن سعد به وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ۝
قال البخاري وحدثنا علي بن عياش ثنا شعيب بن ابي حمزة عن محمد بن
المنكدر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع
النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت عليه له شفاعتي يوم القيامة انفرد به
دون مسلم ۝ حديث ابي وقال الامام احمد حدثنا ابو عامر
الازدي ثنا زهير بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر

اخرجه الترمذي من حديث ابي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي وقال حسن
صحيح ولابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ۝ وقد قدمنا حديث
ابي بن كعب في قراءة القران على سبعة احرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخره
فقلت اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب فيه الخلق حتى ابراهيم عليه السلام
حديث انس بن مالك قال الامام احمد حدثنا يحيى بن
سعيد ثنا سعيد بن ابي عروبة ثنا قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع المومنون
يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا هذا
فياتون ادم فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده واسجد لك ملايكته وعلمك
اسما كل شي فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم ادم لست هناكم
ويذكر ذنبه الذي اصاب فيستحيي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن ايتوا نوحا فانه
اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيته سواله
ربه تعالى ما ليس له به علم فيستحيي ربه من ذلك ولكن ايتوا ابراهيم خليل الرحمن فياتونه
فيقول لست هناكم ولكن ايتوا موسى عبدا كلمه الله واعطاه التوراة فياتون موسى
فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحيي ربه من ذلك ولكن
ايتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فياتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ايتوا
محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوني قال الحسن هذا الحرف
فاقوم فامشي بين سماطين من المومنين قال انس حتى استاذن على ربي فاذا رايت
ربي وقعت له او خررت ساجدا لربي فيدعني ما شا الله ان يدعني قال ثم يقال
ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع
فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الثانية فاذا رايت ربي وقعت او خررت ساجدا
لربي فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع
فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة قال ثم اعود
الثالثة فاذا رايت ربي وقعت او خررت ساجدا لربي فيدعني ما شا الله
ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد
يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود الرابعة فاقول يا رب ما بقي الا من حبسه
القران فحدثنا انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيخرج من النار من قال
لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال

لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا
الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان
في قلبه من الخير ما يزن ذرة اخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد به ٥ وهكذا
رواه احمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بطوله ٥ وقال الامام
احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون ابو الخطاب الانصاري عن النضر بن
انس عن انس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم انتظر امتي تعبر الصراط
اذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الانبيا قد جاءتك يا محمد يسالون او قال يجتمعون
اليك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله لغم ما هم فيه فالخلق ملجمون
بالعرق فاما المومن فهو عليه كالزكمة واما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى
ارجع اليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك
مصطفى ولا نبي مرسل فاوحى الله عز وجل الى جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع راسك
سل تعط واشفع تشفع فشفعت في امتي ان اخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا
فما زلت اتردد الى ربي عز وجل فلا اقوم منه مقاما الا شفعت حتى اعطاني الله
من ذلك ان قال يا محمد ادخل من امتك من خلق الله عز وجل من شهد ان لا اله الا الله
يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك ٥ حديث ——— بن بريدة وقال
الامام احمد حدثنا الاسود بن عامر حدثنا ابو اسرائيل عن الحارث بن حصيرة عن ابن
بريدة عن ابيه انه دخل على معوية فاذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معوية تاذن لي
في الكلام فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ما قال الاخر فقال بريدة سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو ان اشفع يوم القيامة عدد ما على الارض
من شجرة ومدرة قال فترجوها انت يا معوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه ٥
حديث ——— ابن مسعود قال الامام احمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا
سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان عن ابراهيم عن علقمة
والاسود عن ابن مسعود قال جا ابنا مليكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا ان امنا تكرم
الزوج وتعطف على الولد قال وذكر الضيف غير انها كانت وادت في الجاهلية فقال امكما في
النار قال فادبرا والشر يرى في وجوههما فامر بهما فردا فرجعا والسرور يرى في وجوههما
رجا ان يكون قد حدث شي فقال امي مع امكما فقال رجل من المنافقين وما يغني هذا
عن امه شيا ونحن نطا عقبيه فقال رجل من الانصار ولم ار رجلا قط اكثر سوالا منه

يا رسول الله هل وعدك ربك فيها او فيهما قال فظن انه من شيء قد سمعه قال ما شاء الله ربي
وما اطمعني فيه واني لاقوم المقام المحمود يوم القيامة فقال الانصاري يا رسول الله وما
ذاك المقام المحمود قال ذاك اذا جي بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه
السلام فيقول اكسوا خليلي فيوتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش
ثم اوتى بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمينه مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون
قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض فقال المنافقون انه ما جرى ما قط
الا على حال او رضراض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاله المسك ورضراضه
التوم قال المنافق لم اسمع كاليوم قل ما جرى قط على حال او رضراض الا كان له نبت
فقال الانصاري يا رسول الله هل له نبت فقال نعم قضبان الذهب قال المنافق لم اسمع كاليوم
فانه قل ما ينبت قضيب الا اورق والا كان له ثمر قال الانصاري يا رسول الله هل له
ثمرة قال نعم الوان الجوهر وماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل من شرب
منه شربا لا يظما بعده ومن حرمه لم يرو بعده ٥ وقال ——— ابو داود الطيالسي
حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن ابيه عن ابي الزعرا عن عبد الله قال ثم ياذن الله عز
وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى
او موسى قال ابو الزعرا لا ادري ايهما قال ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعا ليشفع لا يشفع
احد بعده اكثر مما شفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ٥ حديث ——— كعب بن مالك قال الامام احمد حدثنا يزيد بن عبد
ربه حدثني محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب
ابن مالك عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة
فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي عز وجل حلة خضرا ثم يوذن لي فاقول ما شا الله
ان اقول فذلك المقام المحمود ٥ حديث ——— ابي الدردا قال الامام احمد
حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن
ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يوذن له بالسجود يوم القيامة وانا اول من
يوذن له ان يرفع راسه فانظر الى ما بين يدي فاعرف امتي من بين الامم ومن خلفي مثل
ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف
امتك من بين الامم فيما بين نوح الى امتك قال هم غر محجلون من اثر الوضو ليس احد كذلك
غيرهم واعرفهم انهم يوتون كتبهم بايمانهم واعرفهم تسعى بين ايديهم ذريتهم ٥ حديث ———

الى مشربين قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا ابو حيان ثنا ابو زرعة
ابن عمرو بن جرير عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فدفع اليه الذراع
وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك
يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض
الا ترون ما انتم فيه ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس
لبعض ابوكم ادم فياتون ادم فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى
ما قد بلغنا فيقول ادم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح
فياتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا فاشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح ان ربي قد غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه كانت لي دعوة على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى
غيري اذهبوا الى ابراهيم فياتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم انت نبي الله وخليله من اهل
الارض الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول ان ربي قد غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته نفسي نفسي نفسي اذهبوا
الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله اصطفاك الله برسالاته
وبتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى
ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت
نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى فيقولون
يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال هكذا هو وكلمت الناس
في المهد فاشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى
ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتوني فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فاشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما
قد بلغنا فاقوم فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي ويلهمني
من محامده وحسن الثنا عليه ما لم يفتحه على احد قبلي فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه

اشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل
من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفس محمد بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنة
لكما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى اخرجاه في الصحيحين وقال
مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى ثنا هقل بن زياد عن الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني
عبد الله بن فروخ حدثني ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وقال ابن جرير
حدثنا ابو كريب ثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعافري عن ابيه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا سيل عنها
قال هي الشفاعة ورواه الامام احمد عن وكيع وعن محمد بن عبيد عن داود عن ابيه
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قال هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن
علي بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة مد الله الارض
مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه قال النبي صلى الله عليه وسلم فاكون اول
من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها فاقول اي رب ان هذا
اخبرني انك ارسلته الي فيقول الله عز وجل صدق ثم اشفع فاقول يا رب عبادك عبدوك في اطراف
الارض قال فهو المقام المحمود هذا حديث مرسل

وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج
صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جا
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا

قال احمد حدثنا جرير عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن عباس
كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فانزل الله وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقال الحسن البصري
في تفسير هذه الاية ان كفار اهل مكة ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه او يطردوه
او يوثقوه واراد الله قتال اهل مكة فامره ان يخرج الى المدينة فهو الذي قال الله عز وجل
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقال قتادة وقل رب ادخلني مدخل صدق
يعني المدينة واخرجني مخرج صدق يعني مكة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وهذا

القول هو اشهر الاقوال وقال العوفي عن ابن عباس ادخلني مدخل صدق يعني الموت واخرجني
مخرج صدق يعني الحياة بعد الموت وقيل غير ذلك من الاقوال والاول اصح وهو اختيار
ابن جرير وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري في تفسيرها
وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له وعز الروم وملك الروم وليجعلنه
له وقال قتادة فيها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم علم ان لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان
فسال سلطانا نصيرا لكتاب الله ولحدود الله ولفرايض الله ولاقامة دين الله فان السلطان
رحمة من الله جعله بين اظهر عباده لولا ذلك لاغار بعضهم على بعض فاكل شديدهم
ضعيفهم ۝ وقال مجاهد سلطانا نصيرا حجة بينة واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة
وهو الارجح لانه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه ولهذا يقول تعالى لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وفي الحديث ان الله ليزع بالسلطان
ما لا يزع بالقرآن اي ليمنع بالسلطان من ارتكاب الفواحش والاثام ما لا يمتنع كثير من الناس
بالقرآن وما فيه من الوعيد الاكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع ۝ وقوله
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا تهديد ووعيد لكفار قريش بانه
قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والايمان
والعلم النافع وزهق باطلهم اي اضمحل وهلك فان الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ۝ وقال البخاري حدثنا
الحميدي ثنا سفيان عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابي معمر عن عبد الله بن مسعود قال
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلثمايه نصب فجعل يطعنها
بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدي
الباطل وما يعيد وكذا رواه البخاري ايضا في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي
كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ۝ وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن ابن ابي نجيح
به وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا زهير ثنا شبابة ثنا المغيرة ثنا ابو الزبير عن
جابر قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمايه وستون صنما يعبدون
من دون الله فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكبت لوجوهها وقال جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا ۝

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

ولا يزيد الظالمين الا خسارا ۝

يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذي انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة
للمؤمنين اي يذهب ما في القلوب من امراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل
القرآن يشفي من ذلك كله وهو ايضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة
فيه وليس هذا الا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ۝
واما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن الا بعدا وتكذيبا وكفرا
والآفة من الكافر لا من القرآن كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اوليك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى واذا
ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا
وهم كافرون والآيات في هذا كثيرة قال قتادة في قوله وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين اذا سمعه المؤمن انتفع به المؤمن وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين
الا خسارا انه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة
للمؤمنين ۝ واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه واذا
مسه الشر كان يوسا قل كل يعمل
على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو الا من عصم الله في حالتي سرائه
وضرائه بانه اذا انعم الله عليه بمال وعافيه وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد اعرض
عن طاعة الله وعبادته وناى بجانبه قال مجاهد بعد عنا ۝ قلت وهذا
كقوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وقوله فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وبانه اذا مسه الشر وهو المصايب والحوادث والنوايب كان يوسا اي
قنط ان يعود يحصل له بعد ذلك خير كما قال ولين اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه
انه ليوس كفور ولين اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عني انه لفرح
فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ۝ وقوله قل
كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس ناحيته وقال مجاهد حدته وطبيعته وقال قتادة
على نيته وقال ابن زيد دينه وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى وهذه الآية والله اعلم

اوليك جو

تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولهذا قال قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا اي منا ومنكم وسيجزي كل عامل بعمله فانه لا يخفى عليه خافية ٥

ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي
وما اوتيتم من العلم الا قليلا ٥

قال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
بن مسعود قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة وهو متكئ على عسيب
فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسالوه قال
فسالوه عن الروح فقالوا يا محمد ما الروح فما زال متوكئا على العسيب قال فظننت انه
يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسالوه وهكذا رواه البخاري ومسلم من
حديث الاعمش به ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية عن عبد الله بن مسعود قال
بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال
بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه
فقالوا سلوه فسالوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت
انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي الآية وهذا السياق يقتضي في بادي الراي ان هذه الآية مدنية
وانها انما نزلت حين ساله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد
يجاب عن هذا بانه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه
بمكة قبل ذلك او انه نزل عليه وحي بان يجيبهم عما سالوا بالآية المتقدم انزالها عليه
وهي هذه الآية ويسالونك عن الروح ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة
ما قال الامام احمد حدثنا قتيبة ثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة
عن ابن عباس قال قالت قريش ليهود اعطونا شيئا نسال عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح
فسالوه فنزلت ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا
قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا قال وانزل
الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا ٥ وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الاعلى عن داود عن عكرمة

قال سال اهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فانزل الله ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا تزعم انا لم نؤت من
العلم الا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
قال فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله قال ما اوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو
في علم الله قليل ٥ قال محمد بن اسحق عن بعض اصحابه عن عطاء بن يسار
قال نزلت بمكة وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اتاه احبار يهود فقالوا يا محمد الم يبلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا
افعنيتنا ام قومك فقال كلا قد عنيت فقالوا فانك تتلو انا قد اوتينا التوراة وفيها تبيان
كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به
انتفعتم وانزل الله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ٥ وقد اختلف المفسرون
في المراد بالروح ههنا على اقوال احدها ان المراد ارواح بني آدم قال العوفي
عن ابن عباس في قوله ويسالونك عن الروح الآية وذلك ان اليهود قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم اخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وانما الروح
من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يحر اليهم شيئا فاتاه جبريل فقال له الروح من
امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالوا من
جاءك بهذا فقال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا والله ما قاله لك الا عدو لنا
فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله الآية وقيل
المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه وقيل
المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها قال علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس قوله ويسالونك عن الروح يقول الروح ملك
وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري ثنا وهب الله بن رزق
ابن مبرة ثنا بشر بن بكر ثنا الاوزاعي ثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين
بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت ٥ وهذا حديث غريب بل منكر
وقال ابو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي ثنا عبد الله حدثني ابو مروان

يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أنه قال في قوله ويسألونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه
لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك
اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وهذا
أثر غريب عجيب والله أعلم وقال السهيلي روي عن علي أنه قال
هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل
فم مائة ألف لسان يسبح الله بلغات مختلفة قال السهيلي وقيل المراد بذلك
طائفة يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم وقوله قل
الروح من أمر ربي أي من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء
من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذي
تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم
إلا على القليل من علمه تعالى وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر
نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة أي شرب منه بمنقاره
فقال يا موسى ما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر
أو كما قال صلوات الله عليه وسلامه ولهذا قال تبارك وتعالى وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجبهم عما سألوا
لأنهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم وعول السهيلي على أن المراد بقوله
قل الروح من أمر ربي أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علم ذلك لأنه لا سبيل إلى
معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه
وسلكه نظر والله أعلم ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس
أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر
وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها
بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء قال كما أن
الماء هو حياة الشجر ثم يكتسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعنبة وعصر
منها صار إما مصطارا أو خمرا ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز وهكذا لا
يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذلك لا يقال للروح نفس إلا باعتبار
ما

صالحا وهو ما كان موافقا لشرع الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو الذي يراد به وجه الله
وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصا صوابا خالصا لله صوابا
على شريعة رسول الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري
عن طاوس قال قال رجل يا رسول الله إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن
يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت هذه الآية فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهكذا أرسل هذا مجاهد
وغير واحد وقال الأعمش حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال
جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أنبئني عما أسألك عنه أرأيت رجلا يصلي يبتغي بذلك
وجه الله ويحب أن يحمد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ويتصدق ويبتغي وجه
الله ويحب أن يحمد ويحج ويبتغي وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شيء إن الله يقول
أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه وقال الإمام
أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي
سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبيت عنده
تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكثر المحتسبون وأهل النوب فكنا نتحدث فخرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى قال فقلنا تبنا إلى الله أي نبي الله
إنما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي
قلنا بلى قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان رجل وقال الإمام أحمد حدثنا
أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية
أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء بيمينه فخرج
يمشي بيننا ونحن ننتجي والله أعلم بما نتناجى فقال عبادة بن الصامت إن طال بكما عمر أحدكما
أو كليكما لتوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعني من وسط قرأ القرآن على لسان محمد
صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله أو قرأه عن لسان
آخر قرأه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لا يحور منكم كما لا يحور رأس الحمار الميت قال فبينما نحن كذلك
إذ طلع شداد بن أوس وعوف بن مالك فجلسا إلينا فقال شداد إن أخوف ما أخاف
عليكم أيها الناس لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من الشهوة الخفية والشرك فقال
عبادة بن الصامت وأبو الدرداء اللهم غفرا أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا
أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب وأما الشهوة الخفية فقد عرفناها

هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد فقال شداد أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أترون انه قد أشرك قالوا نعم والله ان من صلى لرجل أو صام او صام لرجل أو تصدق له لقد أشرك فقال شداد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله الى ما ابتغي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما أشرك به فقال شداد عند ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقول انا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فان عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به انا عنه غني ٥ طريق أخرى لبعضه قال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد ثنا عبادة ابن نسي عن شداد بن اوس انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قلت أتشرك امتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤون بأعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر ٥ حديث آخر قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الاحمر ثنا علي بن ثابت ثنا قيس بن ابي حصين عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة انا خير شريك فمن أشرك بي احدا فهو له كله ٥ وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل انه قال انا خير الشركاء فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فانا بريء منه وهو للذي أشرك ٥ تفرد به من هذا الوجه حديث آخر قال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر انا عبد الحميد يعني ابن جعفر ثنا يزيد بن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ٥ حديث آخر قال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر انا عبد الحميد يعني ابن جعفر اخبرني ابي عن زياد بن ميناء عن ابي سعد بن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الاولين

والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ من كان أشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك واخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن بكر وهو البرساني به ٥ حديث آخر قال الامام احمد حدثنا احمد بن عبد الملك ثنا بكار ثنا ابي يعني عبد العزيز بن ابي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمّع سمّع الله به ومن راءى راءى الله به ٥ وقال احمد حدثنا معوية ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من يرائي يرائي الله به ومن يسمّع يسمّع الله به ٥ حديث آخر قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلا في بيت ابي عبيدة انه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمّع الناس بعمله سمّع الله به سامع خلقه وصغره وحقره قال فذرفت عينا عبد الله ٥ وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الابلي ثنا الحارث بن غسان ثنا ابو عمران الجوني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض اعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله القوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه الا خيرا فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا اقبل اليوم من العمل الا ما أريد به وجهي ٥ ثم قال الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو بصري ليس به بأس ٥ وقال ابن وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الاعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس ٥ وقال ابن جرير حدثنا ابو عامر اسمعيل بن عمرو السكوني ثنا هشام بن عمار ثنا ابن عياش ثنا عمرو بن قيس الكندي انه سمع معوية بن ابي سفيان تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال انها آخر آية نزلت من القرآن ٥ وهذا اثر مشكل فان هذه الآية هي آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معوية اراد انه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله اعلم ٥ وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ثنا النضر بن شميل ثنا ابو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا كان له نورا من عدن ابين الى مكة حشوه الملائكة ٥ عن يحيى بن حماد

تفسير سورة مريم وهي مكية

وقد روى محمد بن اسحق في السيرة من حديث ام سلمة واحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة الى ارض الحبشة من مكة ان جعفر بن ابي طالب قرا صدر السورة على النجاشي واصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا ٥

اما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في اول سورة البقرة ٥ وقوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى هذا ذكر رحمة الله بعبده زكريا وقرا يحيى بن يعمر ذكر رحمة ربك عبده زكريا وزكريا يمد ويقصر وهما لغتان مشهورتان وكان نبيا عظيما من انبياء بني اسرائيل وفي صحيح البخاري انه كان نجارا اى انه كان ياكل من عمل يديه في النجارة ٥ وقوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعض المفسرين انما اخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد الى الرعونة لكبره حكاه الماوردي وقال اخرون انما اخفاه لانه احب الى الله كما قال قتادة في هذه الاية اذ نادى ربه نداء خفيا ان الله يعلم القلب التقي ويسمع الصوت الخفي ٥ وقال بعض السلف قام من الليل وقد نام اصحابه فجعل يهتف برته خفية يا رب يا رب يا رب فقال الله له لبيك لبيك لبيك قال رب انى وهن العظم مني اى ضعف وخارت القوى واشتعل الراس شيبا اى اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته

اما ترى راسي حاكى لونه ... طرة صبح تحت اذيال الدجى

واشتعل المبيض في مسوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضى

والمراد من هذا الاخبار الضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة ٥ وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا اى ولم اعهد منك الا الاجابة في الدعا ولم تردني قط فيما سالتك ٥ وقوله وانى خفت الموالى من ورائى قرا الاكثرون بنصب الياء من الموالي على انه مفعول وعن الكسائي انه سكن الياء كما قال الشاعر

كان ايديهن في القاع القرق ... ايدي جوار يتعاطين الورق

الورق

وقال

وقال الاخر فتى لو يبارى الشمس القت قناعها ... او القمر الساري لالقى المقالدا يا زي

ومنه قول ابي تمام حبيب بن اوس ٥

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل ٥

وقال مجاهد وقتادة والسدي اراد بالموالي العصبة وقال ابو صالح الكلالة وروي عن امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه انه كان يقراها وانى خفت الموالي من وراي بتشديد الفا بمعنى قلت عصباتي من بعدي وعلى القراة الاولى وجه خوفه انه خشي ان يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا فسال الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته وما يوحى اليه فاجيب في ذلك لا انه خشي من وراثتهم له ماله فان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم منزلة واجل قدرا من ان يشفق على ماله الى ما هذا حده اى يانف من وراثة عصباته له ويسال ان يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه الثاني انه لم يذكر انه كان ذا مال بل كان نجارا ياكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الانبياء فانهم كانوا ازهد شي في الدنيا الثالث انه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا فهو صدقة وفي رواية عند الترمذي باسناد صحيح نحن معشر الانبيا لا نورث وعلى هذا فتعين حمل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني على ميراث النبوة ولهذا قال ويرث من ال يعقوب كما قال تعالى وورث سليمان داود اي في النبوة اذ لو كان في المال لما خصه من بين اخوته بذلك ولما كان في الاخبار بذلك كبير فايدة اذ من المعلوم المستقر في جميع الشرايع والملل ان الولد يرث اباه فلولا انها وراثة خاصة لما اخبر بها وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث نحن معشر الانبيا لا نورث ما تركنا فهو صدقة قال مجاهد في قوله يرثني ويرث من ال يعقوب قال كان وراثته علما وكان زكريا من ال يعقوب وقال هشيم اخبرنا اسمعيل بن ابي خالد عن ابي صالح في قوله يرثني ويرث من ال يعقوب قال يكون نبيا كما كانت اباوه انبيا ٥ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه وقال السدي يرث نبوتي ونبوة ال يعقوب ٥ وعن مالك عن زيد بن اسلم ويرث من ال يعقوب قال نبوتهم ٥ وقال جابر بن نوح ويزيد بن هرون كلاهما عن اسمعيل بن ابي خالد عن ابي صالح في قوله يرثني ويرث من ال يعقوب قال يرث مالي ويرث من ال يعقوب النبوة ٥ وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ٥ وقال

عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان
عليه من ورثته ويرحم الله لوطا ان كان لياوي الى ركن شديد ٥ وقال ابن جرير ثنا
ابو كريب ثنا جابر بن نوح ثنا مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرحم الله اخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول هب لي من لدنك وليا يرثني
ويرث من آل يعقوب وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله اعلم ٥ وقوله
واجعله رب رضيا اي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه الى خلقك في دينه وخلقه ٥

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا

هذا الكلام تضمن محذوفا وهو انه اجيب الى ما سال في دعايه فقيل له يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى كما قال تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ٥ وقوله لم نجعل له
من قبل سميا قال قتادة وابن جريج وابن زيد اي لم يسم احد قبله بهذا الاسم واختاره
ابن جرير ٥ وقال مجاهد لم نجعل له من قبل سميا اي شبيها اخذه من معنى قوله فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا اي شبيها ٥ وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
اي لم يلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على ان زكريا عليه السلام كان لا يولد له
وكذلك امراته كانت عاقرا من اول عمرها بخلاف ابراهيم وسارة عليهما السلام فانهما
انما تعجبا من البشارة باسحق لكبرهما لا لعقرهما ولهذا قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر فبم تبشرون مع انه كان قد ولد له قبله اسمعيل بثلاث عشرة سنة وقالت
امراته يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر
الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ٥

قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ٥

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين اجيب الى ما سال وبشر بالولد ففرح
فرحا شديدا وسال عن كيفية ما يولد له والوجه الذي ياتيه منه الولد مع ان امراته
عاقر لا تلد من اول عمرها مع كبرها ومع انه قد كبر وعتا اي عتى عظمه ونحل ولم يبق فيه لقاح
ولا جماع تقول العرب للعود اذا يبس عتا يعتو عتيا وعتوا وعسا يعسو عسيا قال مجاهد
عتيا

عتيا يعني نحول العظم وقال ابن عباس وغيره عتيا يعني الكبر والظاهر انه اخص من الكبر ٥
وقال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا يعقوب ثنا هشيم انا حصين عن عكرمة عن ابن عباس
قال قد علمت السنة كلها غير اني لا ادري اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر والعصر
ام لا ولا ادري كيف كان يقرا هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا او عسيا ورواه
الامام احمد عن سريج بن النعمان وابو داود عن زياد بن ايوب كلاهما عن هشيم به ٥ قال
اي الملك مجيبا لزكريا عما استعجب منه كذلك قال ربك هو علي هين اي ايجاد الولد منك
ومن زوجتك هذه لا من غيرها هين اي يسير سهل على الله ثم ذكر له ما هو اعجب مما سال
عنه فقال وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا ٥

قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ٥

يقول تعالى مخبرا عن زكريا عليه السلام انه قال رب اجعل لي آية اي علامة ودلالة
على ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمين قلبي بما وعدتني كما قال ابرهيم رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلبي الاية قال آيتك ان لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا اي ان يحتبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وانت صحيح سوي من غير
مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وغير
واحد اعتقل لسانه من غير مرض وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان يقرا ويسبح
ولا يستطيع ان يكلم قومه الا اشارة وقال العوفي عن ابن عباس ثلاث ليال
سويا اي متتابعات والقول الاول عنه وعن الجمهور اصح كما قال تعالى في آل عمران
قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار وقال مالك عن زيد بن اسلم ثلاث ليال سويا من غير خرس
وهذا دليل على انه لم يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وايامها الا رمزا اي
اشارة ولهذا قال في هذه الاية الكريمة فخرج على قومه من المحراب اي الذي بشر فيه
بالولد فاوحى اليهم اي اشار اشارة خفية سريعة ان سبحوا بكرة وعشيا اي موافقة
له فيما امر به في هذه الايام الثلاثة زيادة على اعماله شكرا لله على ما اولاه قال مجاهد فاوحى
اليهم اي اشار وبه قال وهب وقتادة وقال مجاهد في رواية عنه فاوحى اليهم

اي كتب لهم في الارض وكذا قال السدي ٥

يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا
وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ٥

وهذا ايضا تضمن محذوفا تقديره انه وجد هذا الغلام المبشر به وهو يحيى عليه
السلام وان الله علمه الكتاب وهو التورات التي كانوا يتدارسونها بينهم ويحكم بها
النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار وقد كان سنه اذ ذاك
صغيرا فلهذا نوه بذكره وبما انعم به عليه وعلى والديه فقال يا يحيى خذ الكتاب
اي تعلم الكتاب بقوة اي بجد وحرص واجتهاد وآتيناه الحكم صبيا اي الفهم والعلم والجد
والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال
عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما للعب
خلقنا قال فلهذا انزل الله وآتيناه الحكم صبيا ٥ وقوله وحنانا من لدنا
يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد لا يقدر عليها
غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد وحنانا من لدنا وتعطفا من ربه
عليه وقال عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه وقال ابن زيد اما الحنان
فالمحبة وقال عطا بن ابي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا ٥ وقال
ابن جريج اخبرني عمرو بن دينار انه سمع عكرمة عن ابن عباس قال لا والله
لا ادري ما حنانا ٥ وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور
سالت سعيد بن جبير عن قوله وحنانا من لدنا فقال سالت عنها ابن عباس
فلم يحر فيها شيا ٥ والظاهر من السياق ان وحنانا معطوف على قوله وآتيناه
الحكم صبيا وحنانا وزكاة اي وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شفقة
وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحنت المراة على زوجها ومنه سميت المراة
حنة من الحنة وحن الرجل الى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر

تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا ٥

وفي المسند للامام احمد عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبقى رجل في النار
ينادي الف سنة يا حنان يا منان ٥ وقد يثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لغة

بذاتها

بذاتها كما قال طرفة ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض ٥
وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام
والذنوب قال قتادة الزكاة العمل الصالح وقال الضحاك وابن جريج العمل الصالح
الزكي وقال العوفي عن ابن عباس وزكاة وكان تقيا طهر فلم يعمل بذنب
وقوله وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا لما ذكر تعالى طاعته لربه وانه
خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما
قولا وفعلا امرا ونهيا ولهذا قال ولم يكن جبارا عصيا ثم قال بعد وصفه بهذه الاوصاف
الجميلة جزاء له على ذلك وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا اي له الامان
في هذه الثلاثة الاحوال ٥ قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الخلق في هذه
ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن
عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فاكرم الله فيها يحيى بن زكريا
فخصه بالسلام عليه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا رواه ابن
جرير عن احمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل عنه ٥ وقال عبد الرزاق
اخبرنا معمر في قوله جبارا عصيا قال كان ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من احد يلقى الله يوم القيامة الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا قال قتادة
ما اذنب ولا هم بامراة مرسل ٥ وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن سعيد
عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل
بني آدم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا ٥ ابن اسحق مدلس
وقد عنعن هذا الحديث فالله اعلم ٥ وقال الامام احمد حدثنا
عفان ثنا حماد ثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد من ولد آدم الا وقد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لاحد
ان يقول انا خير من يونس بن متى ٥ وهذا ايضا ضعيف لان علي بن زيد بن جدعان
له منكرات كثيرة والله اعلم ٥ وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة ان
الحسن قال ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي انت خير
مني فقال له عيسى انت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلها

واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا
شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا

فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت
تقيا قال انما انا رسول ربك لیهب لك غلاما زكيا
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا
قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اية للناس
ورحمة منا وكان امرا مقضيا ٥

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وانه اوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم في ايجاده ولدها عيسى عليهما السلام منها من غير اب فان بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في ال عمران وههنا وفي سورة الانبيا يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه وانه على ما يشا قادر فقال واذكر في الكتاب مريم وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني اسرايل وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة امها لها في ال عمران وانها نذرتها محررة اي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا ونشات في بني اسرايل نشاة عظيمة فكانت احدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل والدوب وكانت في كفالة زوج اختها وقيل خالتها زكريا نبي بني اسرايل اذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون اليه في دينهم وراي لها زكريا من الكرامات الهايلة ما بهره كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب فذكر انه كان يجد عندها ثمرة الشتا في الصيف وثمرة الصيف في الشتا كما تقدم بيانه في ال عمران فلما اراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة ان يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام احد الرسل اولي العزم الخمسة العظام انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اي اعتزلتهم وتنحت عنهم وذهبت الى شرقي المسجد المقدس قال السدي لحيض اصابها وقيل لغير ذلك ٥ قال ابو كدينة عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه عن ابن عباس قال ان اهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت والحج اليه وما صرفهم عنه الا قيل ربك فانتبذت من اهلها مكانا شرقيا قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقال ابن جرير ايضا حدثنا اسحق بن شاهين ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال اني لاعلم خلق الله لاي شي اتخذت النصارى المشرق قبلة

لقول

لقول الله فانتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة ٥ وقال قتادة مكانا شرقيا شاسعا متنحيا ٥ وقال محمد بن اسحق ذهبت بقلتها تستقي من الماء ٥ وقال نوف البكالي اعدت لها منزلا تتعبد فيه فالله اعلم ٥ وقوله فاتخذت من دونهم حجابا اي استترت منهم وتوارت فارسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا اى على صورة انسان تام كامل قال مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج ووهب بن منبه والسدي في قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل وهذا الذي قالوه هو ظاهر القران فانه تعالى قد قال في الاية الاخرى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب قال ان روح عيسى عليه السلام من جملة الارواح التي اخذ عليها العهد في زمان ادم وهو الذي تمثل لها بشرا سويا اي روح عيسى فحملت الذي خاطبها دخل في فيها ٥ وهذا في غاية الغرابة والنكارة وكانه اسرايلي قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي لما تبدا لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت انه يريدها على نفسها فقالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي ان كنت تخاف الله تذكيرا له بالله وهذا هو المشروع في الدفع ان يكون بالاسهل فالاسهل فخوفته اولا بالله عز وجل ٥ قال ابن جرير حدثني ابو كريب ثنا ابو بكر عن عاصم قال قال ابو وايل وذكر قصة مريم فقال لقد علمت ان التقي ذو نهية حين قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك اي فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل لها عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكني رسول ربك اي بعثني الله اليك ويقال انها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فزعا وعاد الى هيئته وقال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا هكذا قرا ابو عمرو بن العلا احد مشهوري القرا وقرا الاخرون لاهب لك غلاما زكيا وكلا القراتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل يستلزم الاخرى قالت انى يكون لي غلام اي على اي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور ولهذا قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا والبغي هي الزانية ولهذا جا في الحديث نهى عن مهر البغي قال كذلك قال ربك هو على هين اى فقال لها الملك مجيبا لها عما سالت ان الله قد قال انه سيوجد منك غلاما وان لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشا قادر ولهذا قال ولنجعله اية للناس اي دلالة وعلامة للناس على قدرة باريهم وخالقهم الذي تنوع في خلقهم وخلق اباهم ادم من غير ذكر ولا انثى وخلق حوا من ذكر بلا انثى وخلق بقية الذرية من ذكر وانثى

الا عيسى فانه اوجد من انثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم
سلطانه فلا اله غيره ولا رب سواه ٥ وقوله ورحمة منا اي ونجعل هذا الغلام
رحمة من الله نبيا من الانبياء يدعو الى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى في الآية
الاخرى اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا
والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين اى يدعو الى عبادة
ربه في مهده وكهولته وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا عبد الرحمن بن ابرهيم
دحيم ثنا مروان ثنا العلا بن الحرث الكوفي عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت حدثني
عيسى وكلمني وهو في بطني واذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر ٥ وقوله وكان
امرا مقضيا يحتمل ان هذا من تمام كلام جبريل لمريم يخبرها ان هذا امر مقدر في
علم الله تعالى وقدرته ومشيته ويحتمل ان يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى
الله عليه وسلم وانه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وقال محمد بن اسحق وكان امرا مقضيا اى ان الله قد عزم على هذا فليس منه
بد واختار هذا ايضا ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله اعلم ٥

فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاها المخاض الى
جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت
نسيا منسيا ٥

يقول تعالى مخبرا عن مريم انها لما قال لها جبريل عن الله
تعالى ما قال انها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علما السلف ان الملك وهو
جبريل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في
الفرج فحملت بالولد باذن الله تعالى فلما حملت به ضاقت ذرعا به ولم تدر ماذا تقول
للناس فانها تعلم ان الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير انها افشت سرها وذكرت
امرها لاختها امراة زكريا وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سال الله الولد فاجيب الى
ذلك فحملت امراته فدخلت عليها مريم فقامت اليها فاعتنقتها وقالت اشعرت يا مريم اني
حبلى وذكرت لها شانها وما كان من خبرها وكانوا بيت ايمان وتصديق ثم كانت
امراة زكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم
اي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد ليوسف ابواه
واخوته

واخوته وكما امر الله تعالى الملايكة ان يسجدوا لادم ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلا لتعظيم
جلال الرب تعالى ٥ قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال قرى على الحرث
بن مسكين وانا اسمع اخبرنا عبد الرحمن بن القسم قال قال مالك رحمه الله بلغني ان عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا فبلغني ان ام يحيى قالت لمريم اني ارى
ان ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك ارى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله
جعله يحيى الموتى ويبرى الاكمه والابرص ٥ ثم اختلف المفسرون
في مدة حمل عيسى عليه السلام فالمشهور عن الجمهور انها حملت به تسعة اشهر وقال
عكرمة ثمانية اشهر قال ولهذا لا يعيش ولد لثمانية اشهر وقال ابن جريج اخبرني
المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسيل عن حمل مريم قال لم يكن الا
ان حملت فوضعت ٥ وهذا غريب ٥ وكانه ماخوذ من ظاهر قوله فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاها المخاض الى جذع النخلة فالفا وان كانت للتعقيب لكن
تعقيب كل شي بحسبه كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما فهذه الفا للتعقيب بحسبها وقد ثبت في الصحيح ان بين كل
صفتين اربعين يوما وقال تعالى الم تر ان الله انزل من السما ماء فتصبح الارض مخضرة فالمشهور
الظاهر والله على كل شي قدير انها حملت به كما تحمل النسا باولادهن ولهذا لما ظهرت
مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس
يقال له يوسف النجار فلما راى ثقل بطنها وكبره انكر ذلك من امرها ثم صرفه ما يعلم من
براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تامل ما هي فيه فجعل امرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه
عن نفسه فحمل نفسه على ان عرض لها في القول فقال يا مريم اني سايلك عن امر فلا تعجلي
علي قالت وما هو قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر
وهل يكون ولد من غير اب فقالت نعم وفهمت ما اشار اليه اما قولك هل يكون شجر من غير
حب وزرع من غير بذر فان الله خلق الشجر والزرع اول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل
يكون ولد من غير اب فان الله خلق آدم من غير اب ولا ام فصدقها وسلم لها حالها ولما استشعرت
مريم من قومها اتهامها بالريبة انتبذت منهم مكانا قصيا اي قاصيا منهم بعيدا عنهم لئلا تراهم
ولا يروها قال محمد بن اسحق فلما حملت به وملات قلتها ورجعت استمسك عنها
الدم واصابها ما يصيب الحامل على الولد من التوصب والتوحم وتغير اللون حتى فطر لسانها فما دخل

على اهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا انما صاحبها
يوسف ولم يكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجابا
فلا يراها احد ولا تراه ٥ وقوله فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اي فاضطرها
والجاها الطلق الى جذع النخلة في المكان الذي تنحت اليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان
شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة
فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق ٥ وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية
اميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم ٥ قلت وقد تقدم
في احاديث الاسرا في رواية النسائي عن انس والبيهقي عن شداد بن اوس ان ذلك بيت لحم
فالله اعلم وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى انه بيت
لحم وتلقاه الناس وقد ورد به الحديث ان صح ٥ وقوله تعالى اخبارا عنها
قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا دليل على جواز تمني الموت عند الفتنة فانها عرفت
انها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس امرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها
وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت يا ليتني
مت قبل هذا اي قبل هذا الحال وكنت نسيا منسيا اي لم اخلق ولم اك شيا قاله ابن عباس
وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا
الكرب الذي انا فيه والحزن بولادي المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا نسي فترك
طلبه كخرق الحيض التي اذا القيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شي نسي وترك
فهو نسي ٥ وقال قتادة وكنت نسيا منسيا اي شيا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من انا
وقال الربيع بن انس وكنت نسيا منسيا هو السقط وقال ابن زيد لم اكن
شيا قط وقد قدمنا الاحاديث الدالة على النهي عن تمني الموت الا عند الفتنة عند قوله
توفني مسلما ٥

فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا
فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ٥

قرا بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها وقرا الاخرون من تحتها اي انه حرف

جبريل واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو فقال العوفي وغيره عن
ابن عباس فناداها من تحتها جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وكذا قال سعيد بن جبير
والضحاك وعمرو بن ميمون والسدي وقتادة انه الملك جبريل عليه السلام اي ناداها من اسفل
الوادي وقال مجاهد فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها وهو احدى الروايتين عن سعيد بن جبير انه ابنها
قال اولم تسمع الله يقول فاشارت اليه واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره ٥
وقوله ان لا تحزني اي ناداها قائلا لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول
وكذا قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس النهر وبه قال عمرو بن ميمون نهر تشرب منه
وقال مجاهد هو النهر بالسريانية وقال سعيد بن جبير السري النهر الصغير
بالنبطية وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية وقال ابراهيم النخعي هو
النهر الصغير وقال قتادة هو الجدول بلغة اهل الحجاز وقال وهب بن منبه
السري هو ربيع الما وقال السدي هو النهر ٥ واختار هذا القول ابن جرير
وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا ابو
شعيب الحراني ثنا يحيى بن عبد الله البابلتي ثنا ايوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن
عباس يقول سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السري
الذي قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهر اخرجه الله لتشرب منه ٥ وهذا
حديث غريب جدا من هذا الوجه وايوب بن نهيك هذا هو الحبلي قال فيه ابو
حاتم الرازي ضعيف وقال ابو زرعة منكر الحديث وقال ابو الفتح الازدي
متروك الحديث ٥ وقال آخرون المراد بالسري عيسى عليه السلام وبه قال
الحسن والربيع بن انس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو احدى الروايتين عن قتادة وقول
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم والقول الاول اظهر ولهذا قال بعده وهزي اليك بجذع
النخلة قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة
وقال الثوري عن ابي داود نفيع الاعمى كانت صرفانة ٥ ولهذا امتن عليها بذلك
بان جعل عندها طعاما وشرابا فقال تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري
عينا اي طيبي نفسا ولهذا قال عمرو بن ميمون ما من شي خير للنفسا من التمر
والرطب ثم تلا هذه الاية ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا شيبان
ثنا مسرور بن سعيد التميمي ثنا عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن

أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين
الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها ٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة
نزلت تحتها مريم بنت عمران ٥ هذا حديث منكر جدا ورواه أبو يعلى عن شيبان به
وقرأ بعضهم قوله تساقط بتشديد السين وآخرون بتخفيفها وقرأ أبو نهيك تسقط عليك
رطبا جنيا وروى أبو إسحق عن البراء أنه قرأها يساقط أي الجذع والكل متقارب ٥
وقوله فإما ترين من البشر أحدا أي مهما رأيت من أحد فقولي إني نذرت
للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي
لئلا ينافي فلن أكلم اليوم إنسيا قال أنس بن مالك في قوله إني نذرت للرحمن صوما قال صمتا وكذا
قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما
والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام نص على ذلك السدي
وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ٥ قال أبو إسحق عن حارثة قال كنت عند ابن مسعود
فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس
اليوم قال عبد الله كلم الناس وسلم عليهم فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت
من غير زوج يعني بذلك مريم ليكون عذرا لها إذا سئلت ٥ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير
وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم لا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت
معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا
منسيا قال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما
فلن أكلم اليوم إنسيا قال هذا كله كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب ٥

فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت
أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة
والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ٥

يقول تعالى مخبرا عن مريم لما أمرت أن تصوم يومها ذلك وأن لا تكلم أحدا من البشر فإنها

ستكفى أمرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله واستسلمت لقضائه وأخذت ولدها فأتت به قومها
تحمله فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدا وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
أي أمرا عظيما قاله مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد ٥ وقال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي ثنا عبد الله بن أبي زياد ثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان ثنا أبو عمران الجوني
عن نوف البكالي قال وخرج قومها في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف
فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكن رأيت
الليلة من بقري ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها الليلة سجدا نحو هذا الوادي
قال عبد الله بن أبي زياد وأحفظ عن سيار أنه قال رأيت نورا ساطعا فتوجهوا
حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحملت ابنها في حجرها فجاؤا حتى قاموا
عليها وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا أمرا عظيما ٥ يا أخت هرون أي يا شبيهة هرون
في العبادة ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي أنت من بيت طيب طاهر
معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن
أبي طلحة والسدي قيل لها يا أخت هرون أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال
للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم
اسمه هرون فكانت تقاس به في العبادة والزهادة ٥ وحكى ابن جرير عن بعضهم
أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هرون ورواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير
وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهسنجاني
ثنا ابن أبي مريم ثنا المفضل يعني ابن فضالة حدثني أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل
يا أخت هرون قال هي أخت هرون لأبيه وأمه وهي أخت موسى التي قالت فبصرت به
عن جنب وهم لا يشعرون ٥ وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر
في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء بعثا وليس بعده
إلا محمد صلوات الله عليه وسلامه ولهذا ثبت في الصحيح عند البخاري
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا أولى الناس بابن مريم
لأنه ليس بيني وبينه نبي ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا
عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان وداود فإن الله قد ذكر أن داود
بعد موسى عليهما السلام في قوله ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى
إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا فذكر القصة إلى أن قال وقتل داود جالوت الآية والذي

حدثني القرظي علي بن المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني اسرائيل من البحر
واغراق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران اخت موسى وهرون النبيين
تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما انعم به على بني اسرائيل
فاعتقد القرظي ان هذه هي ام عيسى وهذه هفوة وغلطة شديدة بل هي باسم هذه
وقد كانوا يسمون باسماء انبيائهم وصالحيهم ٥ كما قال الامام احمد حدثنا
عبد الله بن ادريس سمعت ابي يذكر عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة
قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران فقالوا ارأيت ما تقرأون يا اخت هرون
وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم ٥ انفرد باخراجه مسلم
والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن ادريس عن ابيه عن سماك به
وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث ابن ادريس ٥
وقال ابن جرير حدثني يعقوب ثنا ابن علية عن سعيد بن ابي صدقة
عن محمد بن سيرين قال نبئت ان كعبا قال ان قوله يا اخت هرون ليس بهرون اخي موسى
قال فقالت له عائشة كذبت قال يا ام المؤمنين ان كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو اعلم
واخبر والا فاني اجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت ٥ وفي هذا التاريخ نظر ٥ وقال
ابن جرير ايضا حدثنا بشر ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة قوله يا اخت هرون
ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا قال كانت من اهل بيت يعرفون بالصلاح
ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرف بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون
بالفساد ويتوالدون به وكان هرون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهرون اخي موسى
ولكنه آخر قال وذكر لنا انه شيع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى
هرون من بني اسرائيل ٥ وقوله فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا اي انهم لما استرابوا في امرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين
بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صائمة صامتة فاحالت الكلام عليه واشارت
لهم الى خطابه وكلامه فقالوا متهكمين بها ظانين انها تزدري بهم وتلعب بهم كيف نكلم من كان
في المهد صبيا قال ميمون بن مهران فاشارت اليه قالت كلموه فقالوا على ما
جاءت به من الداهية تأمرنا ان نكلم من كان في المهد صبيا وقال السدي لما اشارت اليه
غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا ان نكلم هذا الصبي اشد علينا من زناها قالوا كيف

نكلم من كان في المهد صبيا اي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم ٥
قال اني عبد الله اول شيء تكلم به ان نزه جناب ربه تعالى وبرأه من الولد
واثبت لنفسه العبودية لربه وقوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا تبرئة لامه مما
نسبت اليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لامه ما قالوا كان يرتضع ثديه
فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الايسر وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
الى قوله ما دمت حيا قال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع اصبعه
السبابة فوق منكبه وهو يقول اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية ٥
وقال عكرمة آتاني الكتاب اي قضى ان يؤتيني الكتاب فيما قضى ٥ وقال ابن
ابي حاتم حدثنا ابي ثنا محمد بن المصفى ثنا يحيى بن سعيد العطار عن عبد العزيز بن
زياد عن انس بن مالك قال كان عيسى بن مريم قد درس الانجيل واحكمه في بطن
امه فذلك قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا يحيى بن سعيد العطار الحمصي
متروك ٥ وقوله وجعلني مباركا اينما كنت قال مجاهد وعمرو بن قيس
والثوري وجعلني معلما للخير ٥ وفي رواية عن مجاهد نفاعا ٥ وقال ابن جرير
حدثني سليمان بن عبد الجبار ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي سمعت وهيب
ابن الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي
اعلن من عملي قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به انبياءه
الى عباده وقد اجمع الفقهاء على قول الله سبحانه وجعلني مباركا اينما كنت وقيل ما بركته
قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اينما كان ٥ وقوله واوصاني والزكاة — (في الهامش: بالصلاة)
ما دمت حيا كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ٥
وقال عبد الرحمن بن القسم عن مالك بن انس في قوله واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا قال اخبره بما هو كائن من امره الى ان يموت ما اثبتها لاهل القدر ٥ وقوله وبرا
بوالدتي اي وامرني ببر والدتي ذكره بعد طاعة ربه لان الله كثيرا ما يقرن بين الامر بعبادته
وطاعة الوالدين كما قال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان
اشكر لي ولوالديك الي المصير ٥ وقوله ولم يجعلني جبارا شقيا اي ولم يجعلني
جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدتي فاشقى بذلك قال سفيان الثوري
الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب ٥ وقال بعض السلف لا تجد احدا عاقا لوالديه
الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا تجد سيء الملكة

الا وجدته مختالا فخورا ثم قرا وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
وقال قتادة ذكر لنا ان امراة رات ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص
في آيات سلطه الله عليهن واذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك وللثدي الذي
ارضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم
يكن جبارا شقيا ۝ وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
اثبات منه لعبوديته لله عز وجل وانه مخلوق من خلق الله يحيي ويموت ويبعث كسائر
الخلائق ولكن له السلامة في هذه الاحوال التي هي اشق ما يكون على العباد صلوات
الله وسلامه عليه ۝

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون
ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب
من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ۝

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي
قصصناه عليك من خبر عيسى قول الحق الذي فيه يمترون اي يختلف المبطلون والمحقون
ممن آمن به وكفر به ولهذا قرا الاكثرون قول الحق برفع قول وقرا عاصم وعبد الله
ابن عامر قول الحق وعن ابن مسعود انه قرا ذلك عيسى ابن مريم قال الحق والرفع
اظهر اعرابا ويشهد له قوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من الممترين ولما ذكر
تعالى انه خلقه عبدا نبيا نزه نفسه المقدسة فقال ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه
اي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا اذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون اي اذا اراد شيئا فانما يامر به فيصير كما يشاء كما قال تعالى ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا
تكن من الممترين ۝ وقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم اي قويم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه
ضل وغوى ۝ وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلفت
اقوال اهل الكتاب في عيسى بعد بيان امره ووضوح حاله وانه عبده ورسوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه فصممت طائفة وهم جمهور اليهود عليهم لعاين الله انه ولد زنية وقالوا

كلامه هذا سحر وقالت طائفة اخرى انما تكلم الله وقال آخرون بل هو
ابن الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله
وهذا قول الحق الذي ارشد الله اليه المؤمنين وقد روي نحو هذا عن عمرو بن ميمون
وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ۝ قال عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون
قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم فامتروا في
عيسى حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا من احيا وامات من امات ثم
صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل
انت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين للآخر
قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى
قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان
لكل رجل اتباع على ما قالوا فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول الله فاختلف
الاحزاب من بينهم قال اختلفوا فيه فصاروا احزابا ۝ وقد روي ابن ابي
حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض اهل العلم قريبا من ذلك
وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من اهل الكتاب وغيرهم ان قسطنطين
جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الاساقفة منهم
الفين ومائة وسبعين اسقفا فاختلفوا في عيسى ابن مريم عليه السلام اختلافا متباينا
جدا فقالت كل شرذمة فيه قولا فمائة تقول فيه شيئا وسبعون تقول فيه
قولا آخر وخمسون تقول شيئا آخر ومائة وستون تقول شيئا ولم يجتمع على مقالة
واحدة اكثر من ثلثمائة وثمانية منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فمال اليهم الملك
وكان فيلسوفا فقدمهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الامانة الكبيرة بل هي الخيانة
العظيمة ووضعوا له الكتب القوانين وشرعوا له اشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا
دين المسيح وغيروه فابتنى حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام
والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في ايامه ما يقارب اثني عشر الف
كنيسة وبنت امه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم
اليهود والنصارى انه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله الى السماء ۝ وقوله
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم تهديد ووعيد شديد لمن كذب على الله

وافترى وزعم ان له ولدا ولكن انظرهم تعالى الى يوم القيامة واجلهم حلما وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يعجل على من عصاه بل كما جاء في الصحيحين ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وفي الصحيحين ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ٥ وقد قال الله تعالى وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ولهذا قال ههنا فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي يوم القيامة وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل ٥

اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة
اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون

يقول تعالى مخبرا عن الكفار يوم القيامة انهم يكونون اسمع شيء وابصره كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئا ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعا لهم ومنقذا من عذاب الله ولهذا قال اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم يوم ياتوننا يعني يوم القيامة لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك ثم قال تعالى وانذرهم يوم الحسرة اي انذر الخلائق يوم الحسرة اذ قضي الامر اي فصل بين اهل الجنة واهل النار ودخل كل الى ما صار اليه مخلدا فيه وهم اي اليوم في غفلة عما انذروا به وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون به ٥ قال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد ثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرئبون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ويقال يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل النار خلود ولا موت قال ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة واشار بيده قال اهل الدنيا في غفلة الدنيا هكذا رواه الامام احمد وقد اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الاعمش به ولفظهما قريب من ذلك ٥ وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثني اسباط بن محمد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعا مثله ٥ وفي سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة بنحوه وهو في الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال قال ابن عباس فذكر من قبله بنحوه ورواه ايضا عن ابيه انه سمع عبيد بن عمير يقول في قصصه يؤتى بالموت كانه دابة فيذبح والناس ينظرون ٥ وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل حدثنا ابو الزعراء عن عبد الله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فليس نفس الا وهي تنظر الى بيت في الجنة وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى اهل النار البيت الذي في الجنة فيقال لهم لو عملتم فتاخذهم الحسرة قال ويرى اهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لولا ان من الله عليكم وقال السدي عن زياد عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اتي بالموت في صورة كبش املح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا اهل الجنة هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى احد في اهل عليين ولا في اسفل درجة من الجنة الا نظر اليه ثم ينادي يا اهل النار هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى احد في ضحضاح من نار ولا في اسفل درك من جهنم الا نظر اليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا اهل الجنة هو الخلود ابد الابدين ويا اهل النار هو الخلود ابد الابدين فيفرح اهل الجنة فرحة لو كان احد ميتا من فرح ماتوا ويشهق اهل النار شهقة لو كان احد ميتا من شهقة ماتوا فذلك قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر يقول اذا ذبح الموت ٥ رواه ابن ابي حاتم في تفسيره ٥ وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله وانذرهم يوم الحسرة

قال يوم القيامة وقرا ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ٥ وقوله
انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يخبر تعالى انه الخالق المالك المتصرف
وان الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا احد يدعي ملكا ولا تصرفا بل هو
الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيهم فلا تظلم نفس شيا ولا جناح بعوضة ولا مثقال
ذرة ٥ وقال ابن ابي حاتم ذكر عن هدبة بن خالد القيسي ثنا حزم بن ابي حزم
القطعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة اما بعد
فان الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم اليه وقال فيما انزل من كتابه
الصادق الذي حفظه بعلمه واشهد ملايكته على حفظه انه يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون

واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيا يا ابت اني قد جاني من
العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا ٥

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه واذكر في الكتاب
ابراهيم واتله على قومك هولاء الذين يعبدون الاصنام واذكر لهم ما كان من خبر ابراهيم
خليل الله الذين هم من ذريته ويدعون انهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع ابيه كيف نهاه
عن عبادة الاصنام فقال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا اي لا ينفعك ولا يدفع
عنك ضررا يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم ياتك يقول وان كنت من صلبك وترى اني اصغر
منك لاني ولدك فاعلم اني قد اطلعت من العلم من الله ما لم تعلمه انت ولا اطلعت عليه ولا جاك
بعد فاتبعني اهدك صراطا سويا اي طريقا مستقيما موصلا الى نيل المطلوب والنجاة من
المرهوب يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه في عبادتك هذه الاصنام فانه هو الداعي الى
ذلك والراضي به كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين وقال ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا
لعنه الله وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا اي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه
فطرده وابعده فلا تتبعه تصر مثله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي على شركك
وعصيانك لما امرك به فتكون للشيطان وليا يعني فلا يكون لك مولا ولا ناصرا ولا مغيثا
الا

الا ابليس وليس اليه ولا الى غيره من الامر شي بل اتباعك له موجب لاحاطة العذاب بك كما قال
تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم ٥

قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لين لم تنته
لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر
لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء
ربي شقيا ٥

يقول تعالى مخبرا عن جواب ابي ابراهيم لولده ابراهيم فيما دعاه اليه قال
اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم يعني ان كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها فانته عن سبها وشتمها
وعيبها فانك ان لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك وهو قوله لارجمنك قاله ابن
عباس والسدي وابن جريج والضحاك وغيرهم ٥ وقوله واهجرني مليا قال
مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحق يعني دهرا وقال الحسن البصري زمانا
طويلا وقال السدي واهجرني مليا قال ابدا ٥ وقال علي بن ابي طلحة والعوفي عن ابن عباس
واهجرني مليا قال سويا سالما قبل ان يصيبك مني عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة
وعطية الجدلي ومالك وغيرهم واختاره ابن جرير ٥ فعندها قال ابراهيم لابيه سلام
عليك كما قال تعالى في صفة المومنين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال تعالى
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
ومعنى قول ابراهيم لابيه سلام عليك يعني اما انا فلا ينالك مني مكروه ولا اذى وذلك لحرمة
الابوة ساستغفر لك ربي ولكن ساسال الله فيك ان يهديك ويغفر ذنبك انه كان بي
حفيا قال ابن عباس وغيره لطيفا اي هداني لعبادته والاخلاص له قال مجاهد وقتادة
وغيرهما انه كان بي حفيا قال عوده الاجابة وقال السدي الحفي الذي يهتم
بامره وقد استغفر ابراهيم لابيه مدة طويلة وبعد ان هاجر الى الشام وبنى المسجد
الحرام وبعد ان ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام في قوله ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمومنين يوم يقوم الحساب وقد استغفر المسلمون لقراباتهم واهليهم من المشركين في ابتدا الاسلام
وذلك اقتدا بابراهيم الخليل في ذلك حتى انزل الله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضا ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك

لك من الله من شيء الآية يعني الا في هذا القول فلا تتأسوا به ثم بين تعالى ان ابرهيم اقلع عن ذلك ورجع فقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لأواه حليم ٥ وقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي اي اجتنبكم واتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله وادعو ربي اي واعبد ربي وحده لا شريك له عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا وعسى هذه موجبة لا محالة فانه عليه السلام سيد الانبيا بعد محمد صلى الله عليهما وسلم

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا ٥

يقول ولما اعتزل الخليل اباه وقومه في الله ابدله الله من هو خير منهم ووهب له اسحق ويعقوب ولا خلاف ان اسحق يعني ابنه ولد اسحق كما قال في الآية الاخرى ويعقوب نافلة وقال ومن وراء اسحق يعقوب ولا خلاف ان اسحق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق ولهذا انما ذكر هنا اسحق ويعقوب اي جعلنا له نسلا وعقبا انبيا اقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلو لم يكن يعقوب قد نبئ في حياة ابرهيم لما اقتصر عليه ولذكر ولده يوسف فانه نبي ايضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال يوسف نبي الله بن يعقوب نبي الله بن اسحق نبي الله بن ابرهيم خليل الله وفي اللفظ الآخر ان الكريم ابن الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ٥ وقوله ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني الثنا الحسن وكذا قال السدي ومالك بن انس وقال ابن جرير انما قال عليا لان جميع الملل والاديان يثنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ٥

واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان
رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ٥

لما ذكر تعالى ابرهيم الخليل واثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال واذكر في الكتاب

موسى

موسى انه كان مخلصا قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن ابي لبابة قال قال الحواريون يا روح الله اخبرنا عن المخلص لله قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده الناس ٥ وقرأ الآخرون بفتحها بمعنى انه كان مصطفى كما قال تعالى اني اصطفيتك على الناس وكان رسولا نبيا جمع له بين الوصفين فانه كان من المرسلين الكبار اولي العزم الخمسة وهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى ساير انبيا الله اجمعين ٥ وقوله وناديناه من جانب الطور اي الجبل الايمن اي من جانبه الايمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة رآها تلوح فقصدها فوجدها في جانب الطور الايمن منه غربيه عند شاطئ الوادي فكلمه الله تعالى ناداه وقربه فناجاه ٥ قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقربناه نجيا قال ادني حتى سمع صريف الاقلام وهكذا قال مجاهد وابو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التورية ٥ وقال السدي وقربناه نجيا قال ادخل في السما فكلم وعن مجاهد نحوه ٥ وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وقربناه نجيا قال نجا بصدقه ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن ابي الواصل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معدي كرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سينا قال يا موسى اذا خلقت لك قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعين على الخير فلم اخزن عنك من الخير شيئا ومن اخزن عنه هذا فلم افتح له من الخير شيئا ٥ وقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا اي واجبنا سؤاله وشفاعته في اخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الاخرى واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون الى ان قال قد اوتيت سؤلك يا موسى وقال فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون ولهذا قال بعض السلف ما شفع احد شفاعة في الدنيا اعظم من شفاعة موسى في هرون ان يكون نبيا قال الله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال كان هرون اكبر من موسى ولكن انما وهب له نبوته ٥ وقد ذكره ابن ابي حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن ابرهيم الدورقي به ٥

وَاذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق
الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلاة
والزكاة وكان عند ربه مرضيا ٥

هـذا ثنا من الله عز وجل على اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
وهو والد عرب الحجاز كلهم بانه كان صادق الوعد قال ابن جريج لم يعد ربه
عدة الا انجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر الا قام بها ووفاها حقها ٥ وقال ابن جرير
حدثني يونس انا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث ان سهل بن عقيل حدثه ان اسمعيل النبي
عليه السلام وعد رجلا مكانا ان ياتيه فجا ونسي الرجل فظل به اسمعيل وبات حتى جا الرجل من
الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال اني نسيت قال لم اكن لابرح حتى تاتيني فلذلك كان
صادق الوعد وقال سفيان الثوري بلغني انه اقام في ذلك المكان ينتظره حولا حتى جاءه
وقال ابن شوذب بلغني انه اتخذ ذلك الموضع مسكنا ٥ وقد روى ابو داود
في سننه وابو بكر محمد بن جعفر الخرايطي في كتابه مكارم الاخلاق من طريق ابراهيم بن طهمان
عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي
الحمسا قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فبقيت له علي بقية فوعدته
ان اتيه بها في مكانه ذلك قال فنسيت يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه
ذلك فقال لي يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك ٥ لفظ الخرايطي وساق
اثارا حسنة في ذلك ٥ ورواه ابن منده ابو عبد الله في كتابه معرفة الصحابة
له باسناده عن ابراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الكريم به ٥ فصدق
الوعد من الصفات الحميدة كما ان خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ٥
ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المومنين ولهذا
اثنى الله على عبده ورسوله اسمعيل بصدق الوعد ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق
الوعد ايضا لا يعد احدا شيئا الا وفى له به وقد اثنى على ابي العاص بن الربيع زوج
ابنته زينب فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفا لي ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم
قال الخليفة ابو بكر الصديق من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة
او دين فلياتني انجز له فجا جابر بن عبد الله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
قال

قال لو قد جاء مال البحرين اعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني مل كفيه فلما جا مال
البحرين امر الصديق جابرا فغرف بيديه من المال ثم امره فعده فاذا هو خمسماية درهم
فاعطاه مثليها معها ٥ وقوله وكان رسولا نبيا في هذا دلالة على شرف اسمعيل
على اخيه اسحق لانه انما وصف بالنبوة فقط واسمعيل وصف بالنبوة والرسالة ٥ وقد
ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه ٥ وقوله وكان
يامر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا هذا ايضا من الثنا الجميل والصفة
الحميدة والخلة السديدة حيث كان مثابرا على طاعة ربه امرا بها لاهله كما قال تعالى
لرسوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
عليها ملايكة غلاظ شداد الاية اي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر ولا تدعوهم هملا
فتاكلهم النار يوم القيامة وقد جا في الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فتوضا فصلى وايقظ امراته فان ابت نضح في وجهها
الما رحم الله امراة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فان ابى نضحت في وجهه الما
اخرجه ابو داود وابن ماجه ٥ وعن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ الرجل من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات رواه ابو داود والنساي وابن ماجه واللفظ له ٥
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا
نبيا ورفعناه مكانا عليا ٥

وهـذا ذكر ادريس عليه السلام بالثنا عليه بانه كان صديقا نبيا وان الله رفعه
مكانا عليا وقد تقدم في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به ليلة الاسرا وهو
في السما الرابعة ٥ وقد روى ابن جرير ههنا اثرا غريبا عجيبا فقال حدثني يونس
ابن عبد الاعلى انا ابن وهب اخبرني جرير بن حازم عن سليمان الاعمش عن شمر بن عطية
عن هلال بن يساف قال سال ابن عباس كعبا وانا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لادريس
ورفعناه مكانا عليا فقال كعب اما ادريس فان الله اوحى اليه اني ارفع لك كل يوم مثل عمل
بني ادم فاحب ان يزداد عملا فاتاه خليل له من الملايكة فقال ان الله اوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك
الموت فليوخرني حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السما فلما كان في السما

حـ
لعله من اهل زمانه

الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال اين
ادريس فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس
في السماء الرابعة وهو في الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله ورفعناه مكانا
عليا ۝ هذا من اخبار كعب الاحبار الاسرائيليات وفي بعضه نكارة والله اعلم
وقد رواه ابن ابي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس انه سال كعبا فذكر نحو ما تقدم
غير انه قال لذلك الملك هل لك ان تساله يعني ملك الموت كم بقي من اجلي لكي ازداد
من العمل وذكر باقيه وفيه انه لما ساله عما بقي من اجله قال لا ادري حتى انظر فنظر ثم قال
انك لتسالني عن رجل ما بقي من اجله الا طرفة عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس
فاذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ۝ ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس
ان ادريس كان خياطا فكان لا يغرز ابرة الا قال سبحان الله فكان يمسي حين يمسي
وليس في الارض احد افضل عملا منه وذكر بقيته كالذي قبله او نحوه ۝ وقال
ابن ابي نجيح عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع
عيسى ۝ وقال سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال رفع الى
السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره
في قوله ورفعناه مكانا عليا قال الجنة ۝

اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل
وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا ۝

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط
بل جنس الانبيا عليهم السلام استطرد من ذكر الاشخاص الى الجنس الذين انعم الله عليهم
من النبيين من ذرية آدم الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عنى به من ذرية
آدم ادريس والذي عنى من ذرية من حملنا مع نوح ابراهيم والذي عنى به من
ذرية ابراهيم اسحق ويعقوب واسمعيل والذي عنى به من ذرية اسرائيل موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ۝ قال ابن جرير ولذلك فرق
انسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لان فيهم من ليس من ولد من كان مع يونس فانه جد نوح
قلت هذا هو الاظهر ان ادريس في عمود نسب نوح عليهما السلام وقد قيل

انه

انه من انبياء بني اسرائيل اخذا من حديث الاسراء حيث قال في سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم
مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وابراهيم عليهما السلام ۝
وقال ابن ابي حاتم حدثنا يونس انا ابن وهب اخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن
ابي حبيب عن عبد الله بن عمرو ان ادريس اقدم من نوح بعثه الله الى قومه فامرهم ان يقولوا
لا اله الا الله ويعملوا ما شاؤوا فابوا فاهلكهم الله عز وجل ۝ ومما يؤيد ان المراد بهذه الآية
جنس الانبياء انها كقوله تعالى في سورة الانعام وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع
درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا
من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي
المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا
وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
الى ان قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى
للعالمين وقال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وكلم الله
موسى تكليما ۝ وفي صحيح البخاري عن مجاهد انه سال ابن عباس افي ص سجدة فقال
نعم ثم تلا هذه الآية اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فنبيكم ممن امر ان يقتدي بهم قال
وهو منهم يعني داود ۝ قال الله في هذه الآية الكريمة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
خروا سجدا وبكيا اي اذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا
واستكانة وحمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة والبكي جمع باك فلهذا اجمع العلما
على شرعية السجود ههنا اقتدا بهم واتباعا لمنوالهم قال سفيان الثوري عن الاعمش
عن ابراهيم عن ابي معمر قال قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد وقال
هذا السجود فاين البكي يا عمر يريد البكا رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وسقط من روايته
ذكر ابي معمر فيما ارى فالله اعلم ۝

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ۝

لما ذكر تعالى حزب السعدا وهم الانبيا عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود
الله واوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره ذكر انه خلف من بعدهم خلف اي قرون
اخر اضاعوا الصلاة واذا اضاعوها فهم لما سواها من الواجبات اضيع لانها عماد الدين وقوامه

وخربت اعمال العباد واقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها
فهولاء سيلقون غيا اي خسارا يوم القيامه ٥ وقد اختلفوا في المراد باضاعة
تركها بالكليه قاله محمد بن كعب القرظي وزيد بن اسلم والسدي واختاره ابن جرير
ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والايمه كما هو المشهور عن الامام احمد
وقول عن الشافعي الى تكفير تارك الصلاة للحديث بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة
والحديث الاخر العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ٥ وليس هذا
محل بسط هذه المسله ٥ وقال الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن
القسم بن مخيمرة في قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة قال انما اضاعوا المواقيت
ولو كان تركا كان كفرا ٥ وقال وكيع عن المسعودي عن القسم بن عبد الرحمن
والحسن بن سعد عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القران الذين
هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دايمون وعلى صلواتهم يحافظون فقال ابن مسعود
على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذاك الكفر ٥ وقال مسروق
لا يحافظ احد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي افراطهن الهلكه وافراطهن
اضاعتهن عن وقتهن ٥ وقال الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد ان عمر بن عبد العزيز
قرا فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم قال
لم تكن اضاعتهم تركها ولكن اضاعوا الوقت ٥ وقال ابن ابي نجيح
عن مجاهد فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال عند قيام
الساعه وذهاب صالحي امة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الازقه
وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد مثله وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمه وعطا
ابن ابي رباح انهم من هذه الامه يعنون في اخر الزمان ٥ وقال ابن جرير حدثني
الحرث ثنا الحسن الاشيب ثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال هم في هذه الامه يتراكبون تراكب الانعام
والحمر في الطرق لا يخافون الله في السما ولا يستحيون الناس في الارض ٥ وقال
ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي ثنا ابو عبد الرحمن المقري ثنا حيوه ثنا بشير
ابن ابي عمرو الخولاني ان الوليد بن قيس حدثه انه سمع ابا سعيد الخدري يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون خلف بعد ستين سنة اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقراون القران لا يعدو تراقيهم ويقرا القران

ثلثه

ثلثه مومن ومنافق وفاجر قال بشير قلت للوليد ما هولاء الثلاثه قال المومن مومن
به والمنافق كافر به والفاجر ياكل به وهكذا رواه احمد عن ابي عبد الرحمن المقري به ٥
وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثني ابي ثنا ابراهيم بن موسى انا عيسى بن يونس ثنا
عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن مالك بن ابي الرجال ان عايشه كانت ترسل بالشي
صدقة لاهل الصفه وتقول لا تعطوا منه بربريا ولا بربريه فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول هم الخلف الذين قال الله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
هذا حديث غريب وقال ايضا حدثني ابي ثنا عبد الرحمن بن الضحاك ثنا الوليد
ثنا ابن جابر عن شيخ من اهل المدينه انه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله فخلف
من بعدهم خلف قال هم اهل المغرب يملكون وهم شر من ملك ٥ وقال كعب
الاحبار والله اني لاجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرابين للقهوات
تاركين الصلوات لعابين بالكعاب رقادين عن العتمات مفرطين في الغدوات تاركين للجماعات
قال ثم تلا هذه الايه فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
غيا ٥ وقال الحسن البصري عطلوا المساجد ولزموا الضيعات ٥ وقال ابو الاشهب
العطاردي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات
فان القلوب المعلقه بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبه وان اهون ما اصنع بالعبد من عبيدي
اذا اثر شهوة من شهواته على ان احرمه طاعتي ٥ قال الامام احمد حدثنا زيد بن
الحباب حدثني ابو   التيمي عن ابي قبيل انه سمع عقبه بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اخاف على امتي اثنتين القران والكبن اما الكبن فيتبعون الريف
ويتبعون الشهوات ويتركون الصلوات واما القران فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المومنين
ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعه ثنا ابو قبيل عن عقبه مرفوعا بنحوه تفرد به
وقوله فسوف يلقون غيا قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس فسوف يلقون
غيا اي خسرانا وقال قتاده شرا وقال سفين الثوري وشعبه ومحمد بن اسحق عن
ابي اسحق السبيعي عن ابي عبيده عن عبد الله بن مسعود فسوف يلقون غيا قال واد في جهنم
من قيح ودم ٥ وقال الامام ابو جعفر بن جرير حدثني عباس بن ابي طالب ثنا محمد بن
زياد بن زبان ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال جيت ابا امامه صدي بن
عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا بطعام ثم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان صخرة زنة عشر عشرات اوات قذف بها من شفير جهنم

لاهل الصفه

صوابه اللبن

ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي الى غي وآثام قال قلت وما غي وآثام قال بئران
في اسفل جهنم يسيل فيهما صديد اهل النار وهما اللتان ذكر الله في كتابه اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا ٥ وقوله في الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك
يلق اثاما ٥ هذا حديث غريب ورفعه منكر ٥ وقوله الا من تاب وآمن
وعمل صالحا اي الا من رجع عن ترك الصلاة واتباع الشهوات فان الله يتقبل توبته
ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون شيئا وذلك لان التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ولهذا لا ينقص هولاء التائبون من اعمالهم التي عملوها شيئا ولا قوبلوا بما عملوه
قبلها فنقص لهم بما عملوه بعدها لان ذلك ذهب هدرا وترك نسيا وذهب مجانا
من كرم الكريم وحلم الحليم ٥ وهذا الاستثنا هاهنا كقوله في سورة الفرقان
والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ٥

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه
كان وعده ماتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا ٥

يقول الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن
اقامة التي وعد الرحمن عباده بظهر الغيب اي هي من الغيب الذي يومنون به وما راوه وذلك لشدة
ايقانهم وقوة ايمانهم ٥ وقوله انه كان وعده ماتيا تاكيد لحصول ذلك
وثبوته واستقراره فان الله لا يخلف ولا يبدله كقوله كان وعده مفعولا اي كاينا لا محالة
وقوله ماتيا اي العباد صايرون اليه وسياتونه ومنهم من قال
ماتيا بمعنى آتيا لان كل ما اتاك فقد اتيته كما تقول العرب اتت علي خمسون سنة كلاهما بمعنى
واحد ٥ وقوله لا يسمعون فيها لغوا اي في هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط
تافه لا معنى له كما يوجد في الدنيا وقوله الا سلاما استثنا منقطع كقوله لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ٥ وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي في مثل وقت
البكرات ووقت العشيات لا ان ثم ليل او نهار ولكنهم في اوقات تتعاقب يعرفون

مضيها باضوا وانوار كما قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن همام
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر
ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون آنيتهم وامشاطهم الذهب والفضة
ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من ورا اللحم
من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية
اخرجاه في الصحيحين من حديث معمر به ٥ وقال الامام احمد حدثنا
يعقوب ثنا ابي عن ابن اسحق حدثني الحرث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد
الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهدا على بارق
نهر بباب الجنة في قبة خضرا يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا ٥ تفرد به
احمد من هذا الوجه ٥ وقال الضحاك عن ابن عباس ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
قال مقادير الليل والنهار ٥ وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل ثنا الوليد
ابن مسلم قال سالت زهير بن محمد عن قول الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال
ليس في الجنة ليل هم في نور ابدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخا
الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب ٥ وبهذا
الاسناد عن الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن البصري وذكر ابواب الجنة
فقال ابواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتفهم انفتحي انغلقي فتفعل
وقال قتادة في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشي
ليس ثم ليل ولا نهار وانما هو ضوء ونور ٥ وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشي
ولكن يوتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا ٥ وقال الحسن
وقتادة وغيرهما كانت العرب الانعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ما في
انفسهم من النعيم فقال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ٥ وقال ابن مهدي
عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال البكور يرد على
العشي والعشي يرد على البكور ليس فيها ليل ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي
ابن الحسين ثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني ابي ثنا محمد بن زياد قاضي اهل شمساط
عن عبد الله بن جدير عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات الا انه يزف الى الله فيها زوجة من
الحور العين ادناهن التي خلقت من زعفران ٥ قال ابو محمد هذا حديث منكر ٥

وقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي هذه الجنة
التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله
عز وجل في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وكما قال تعالى
في اول سورة المؤمنون قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى ان قال
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ○

وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السماوات
والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

قال الامام احمد حدثنا يعلى ووكيع قالا ثنا عمر بن ذر عن
ابيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا قال فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الى آخر الآية
انفرد باخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن ابي نعيم عن عمر
بن ذر به ورواه ابن ابي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر وعنده من زيادة
في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم ○ وقال
العوفي عن ابن عباس احتبس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فاتاه جبريل فقال يا محمد وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ○
وقال مجاهد لبث جبريل عن محمد اثنتي عشرة ليلة ويقولون اقلي
فلما جاءه قال يا جبريل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل الظن فنزلت
وما نتنزل الا بامر ربك الى قوله وما كان ربك نسيا قال وهذه الآية
كالتي في الضحى وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقتادة والسدي وغير واحد
انها نزلت في احتباس جبريل ○ وقال الحكم بن ابان عن عكرمة
قال ابطأ جبريل النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما ثم نزل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما نزلت حتى اشتقت اليك فقال له جبريل انا كنت اليك
اشوق ولكني مامور فاوحى الى جبريل ان قل له وما نتنزل الا بامر ربك الآية
رواه ابن ابي حاتم رحمه الله وهو غريب ○ وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد
بن سنان ثنا ابو معوية عن الاعمش عن مجاهد قال ابطأت الرسل على النبي

صلى الله عليه وسلم ثم اتاه جبريل فقال له ما حبسك يا جبريل فقال وكيف ناتيكم وانتم لا
تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تاخذون شواربكم ولا تستاكون ثم قرا
وما نتنزل الا بامر ربك الى آخر الآية ○ وقد قال الطبراني حدثنا ابو
عامر النحوي محمد بن ابراهيم الصوري ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا اسمعيل بن
عياش اخبرني ثعلبة بن مسلم عن ابي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ابطأ عليه فذكر ذلك له فقال وكيف وانتم
لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم ○ وهكذا
رواه الامام احمد عن ابي اليمان عن اسمعيل بن عياش به بنحوه ○ وقال الامام
احمد حدثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان ثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار
حدثني شيخ من اهل المدينة عن ام سلمة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصلحي لنا المجلس فانه ينزل ملك الى الارض لم ينزل اليها قط ○ وقوله
له ما بين ايدينا وما خلفنا قيل المراد بما بين ايدينا امر الدنيا وما خلفنا امر الآخرة
وما بين ذلك ما بين النفختين هذا قول ابي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن
جبير وقتادة في رواية عنهما والسدي والربيع ○ وقيل ما بين ايدينا
ما يستقبل من امر الآخرة وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي ما بين الدنيا
والآخرة يروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن جريج
والثوري واختاره ابن جرير ايضا والله اعلم ○ وقوله وما كان ربك
نسيا قال مجاهد والسدي معناه ما نسيك ربك وقد تقدم عنه ان
هذه الآية كقوله والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ○ وقال
ابن ابي حاتم حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي ثنا محمد بن عثمان
يعني ابا الجماهر ثنا اسمعيل بن عياش ثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن ابيه عن ابي الدرداء
يرفعه قال ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت فهو عافية
فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا هذه الآية وما كان ربك
نسيا ○ وقوله رب السماوات والارض وما بينهما اي خالق ذلك ومدبره
والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه فاعبده واصطبر لعبادته هل
تعلم له سميا قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلا او شبها وكذلك قال
مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم ○ وقال عكرمة عن ابن عباس

فقال جبريل صح

ليس احد يسمي الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه ٥

ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا
اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك
شيا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد
على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا

يخبر تعالى عن الانسان انه يتعجب ويستبعد اعادته بعد موته كما قال تعالى
وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد وقال اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم وقال ها هنا ويقول
الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم
يك شيا يستدل تعالى بالبداءة على الاعادة يعني انه تعالى قد خلق الانسان ولم يك
شيا افلا يعيده وقد صار شيا كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو اهون عليه وفي الصحيح يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ان يكذبني وآذاني
ابن آدم ولم يكن له ان يؤذيني اما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من آخره واما اذاه اياي فقوله ان لي ولدا وانا الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد ٥ وقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين
اقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة انه لا بد ان يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين
كانوا يعبدون من دون الله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال العوفي عن ابن عباس
يعني قعودا كقوله وترى كل امة جاثية ٥ وقال السدي في قوله
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعني قياما وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله ٥ وقوله
ثم لننزعن من كل شيعة يعني من كل امة قاله مجاهد ايهم اشد على الرحمن عتيا قال
الثوري عن علي بن الاقمر عن ابي الاحوص عن ابن مسعود قال يحبس الاول على الآخر
حتى اذا تكاملت العدة اتاهم جميعا ثم بدا بالاكابر جرما وهو قوله ثم لننزعن من
كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال قتادة ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد
على الرحمن عتيا قال ثم لننزعن من كل اهل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال
ابن جريج وغير واحد من السلف ٥ وهذا كقوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا

قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف
ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون ٥ وقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم ههنا لعطف
الخبر على الخبر والمراد انه تعالى اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر
والمراد انه تعالى اعلم بمن يستحق من العباد ان يصلى بنار جهنم ويخلد فيها ومن يستحق
تضعيف العذاب كما قال في الآية المتقدمة قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

قال الامام احمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا غالب بن سليمان
عن كثير بن زياد البرساني عن ابي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها
مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلت
له انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا وقال سليمان مرة يدخلونها جميعا واهوى
باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى بر
ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار
ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ٥ غريب ولم يخرجوه ٥
وقال الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن ابي مروان
عن خالد بن معدان قال قال اهل الجنة بعد ما دخلوها ما دخلنا الجنة الم يعدنا ربنا الورود
على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة ٥ وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة
عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعا راسه
في حجر امراته فبكى فبكت امراته قال ما يبكيك قالت رايتك تبكي فبكيت قال اني
ذكرت قول الله عز وجل وان منكم الا واردها فلا ادري انجو منها ام لا ٥ وفي رواية
وكان مريضا ٥ وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك
بن مغول عن ابي اسحق قال كان ابو ميسرة اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم
تلدني ثم يبكي فقيل وما يبكيك يا ابا ميسرة فقال اخبرنا انا واردوها ولم يخبرنا انا صادرون
عنها ٥ وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال قال رجل لاخيه
هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك
قال فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله ٥ قال عبد الرزاق ايضا اخبرنا ابن عيينة

عن عمرو واخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود
الدخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم
لها واردون وردوا ام لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار اوردوا ام لا
اما انا وانت فسندخلها فانظر هل تخرج منها ام لا وما ارى الله مخرجك منها بتكذيبك
فضحك نافع ٥ وروى ابن جريج عن عطاء قال قال ابو راشد الحروري وهو نافع بن الازرق
لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس ويلك امجنون انت اين قوله يقدم قومه
يوم القيامة فاوردهم النار ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وان منكم الا واردها والله
ان كان دعا من مضى اللهم اخرجني من النار سالما وادخلني الجنة غانما ٥ وقال
ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي ثنا اسباط عن عبد الملك بن عبيد الله عن
مجاهد قال كنت عند ابن عباس فاتاه رجل يقال له ابو راشد وهو نافع بن الازرق
فقال له يا ابن عباس ارايت قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
قال اما انا وانت يا ابا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها ام لا ٥ وقال ابو داود
الطيالسي قال شعبة واخبرني عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها وان
منهم الا واردها يعني الكفار وهكذا روى عمرو بن الوليد البستي انه سمع عكرمة يقرؤها
كذلك وان منهم الا واردها قال وهم الظلمة كذلك كنا نقرؤها رواه ابن ابي حاتم وابن جرير
وقال العوفي عن ابن عباس قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا يعني البر والفاجر الم تسمع الى قول الله لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم
النار وبئس الورد المورود ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فسمى الورود في النار
دخولا وليس بصادر ٥ قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن اسرائيل
عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود وان منكم الا واردها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها باعمالهم ورواه الترمذي
عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن اسرائيل عن السدي به ورواه من طريق شعبة عن
السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفا ٥ هكذا وقع هذا الحديث ها هنا
مرفوعا وقد رواه اسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال يرد الناس
جميعا ورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط باعمالهم فمنهم من يمر مثل
البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود الخيل
ومنهم من يمر كاجود الابل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان آخرهم مرا رجل نوره على

موضع ابهام قدميه يمر يتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه
ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس وذكر تمام الحديث رواه ابن ابي حاتم
وقال فيه ابن جرير حدثنا خلاد بن اسلم ثنا النضر ثنا اسرائيل انا ابو اسحاق عن
ابي الاحوص عن عبد الله قوله وان منكم الا واردها قال الصراط على جهنم مثل حد
السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل
والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ٥ ولهذا شواهد في
الصحيحين وغيرهما ٥ وقال ابن جرير حدثني يعقوب ثنا ابن علية عن الجريري
عن ابي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس
كانها متن اهالة حتى تستوي عليها اقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها مناد ان
امسكي اصحابك ودعي اصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي اعلم بهم من الرجل بولده
ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة
مع كل واحد منهم عمود وشعبتين يدفع به الدفع يصدع به في النار سبعمائة الف ٥
قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن ابي سفيان عن جابر عن
ام مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار
ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت اليس يقول وان منكم الا واردها
قالت فسمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ٥ وقال احمد ايضا
حدثنا ابن ادريس ثنا الاعمش عن ابي سفيان عن جابر عن ام مبشر امراة زيد
ابن حارثة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال لا يدخل
النار احد شهد بدرا والحديبية قالت حفصة اليس الله يقول وان منكم الا واردها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ننجي الذين اتقوا ٥ وفي الصحيحين من حديث الزهري
عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد
من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار الا تحلة القسم ٥ وقال عبد الرزاق قال قال
معمر اخبرني الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات
له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني الورود وقال ابو داود الطيالسي حدثنا
زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد تمسه النار الا تحلة القسم ٥ قال الزهري كانه
يريد هذه الآية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ٥ وقال ابن جرير

[illegible]

حدثني عمران بن بكار الكلاعي ثنا ابو المغيرة ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ثنا اسمعيل
ابن عبيد الله عن ابي صالح عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من اصحابه
وعكا وانا معه ثم قال ان الله تعالى يقول هي ناري اسلطها على عبدي المومن لتكون حظه من
النار في الاخرة غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ۵ وحدثنا ابو كريب ثنا ابن
يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مومن من النار ثم قرا وان منكم
الا واردها ۵ وقال الامام احمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا زبان بن
فايد عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل
هو الله احد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر اذا نستكثر يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكثر واطيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا الف اية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اوليك رفيقا ان شا الله ومن حرس من ورا المسلمين في سبيل الله متطوعا
لا باجرة سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم قال الله تعالى وان منكم الا واردها
وان الذكر في سبيل الله يضعف فوق النفقة بسبعمائة ضعف وفي رواية بسبعمائة
الف ضعف ۵ وروى ابو داود عن ابي الطاهر عن ابن وهب عن يحيى بن ايوب
وسعيد بن ابي ايوب كلاهما عن زبان عن سهل عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف ۵
وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله وان منكم الا واردها
قال هو الممر عليها ۵ وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله وان منكم الا
واردها قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين ان يدخلوها
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يوميذ كثير وقد احاط بالجسر يوميذ سماطان
من الملايكة دعاوهم يا الله سلم سلم ۵ وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود
في قوله كان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا ۵ وقال مجاهد حتما
قال قضاء وكذا قال ابن جريج ۵ وقوله ثم ننجي الذين اتقوا اي اذا مر الخلايق
كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم نجا
الله تعالى المومنين المتقين منها بحسب اعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر اعمالهم
التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في اهل الكباير من المومنين فيشفع الملايكة والنبيون والمومنون
فيخرجون خلقا كثيرا قد اكلتهم النار الا دارات وجوههم وهي مواضع السجود واخراجهم اياهم

من النار بحسب ما في قلوبهم من الايمان فيخرجون اولا من كان في قلبه مثقال دينار
من ايمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم يخرجون من كان في قلبه ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان
ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لا اله الا الله وان لم يعمل خيرا قط ولا يبقى في النار
الا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولهذا قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ۵

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورييا ۵

يخبر تعالى عن الكفار حين تتلى عليهم ايات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان
انهم يصدون عن ذلك ويعرضون ويقولون عن الذين امنوا مفتخرين عليهم ومحتجين
يعنون على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بانهم خير مقاما واحسن نديا اي احسن
منازل وارفع دورا واحسن نديا وهو مجتمع الرجال للحديث اي ناديهم اعمر واكثر
واردا وطارقا يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل واوليك الذين هم مختفون
مستترون في دار الارقم بن ابي الارقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبرا
عنهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقال قوم نوح انومن
لك واتبعك الارذلون وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم
من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ولهذا قال تعالى رادا عليهم شبهتهم وكم اهلكنا قبلهم من
قرن اي كم من امة وقرن من المكذبين قد اهلكناهم بكفرهم هم احسن اثاثا ورييا اي
كانوا احسن من هولاء اموالا وامتعة ومناظر واشكالا قال الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن
عباس خير مقاما واحسن نديا قال المقام المنزل والندي المجلس والاثاث المتاع
والري المنظر ۵ وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندي
المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين اهلكهم وقص
شانهم في القران كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم فالمقام المسكن والنعيم والندي
المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه وقال الله فيما قص على رسوله من امر قوم لوط
اذ قال وتاتون في ناديكم المنكر والعرب تسمي المجلس النادي ۵ وقال قتادة
لما راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة وفيهم قشافة تعرض اهل الشرك
بما يسمعون اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم

من قال في الأثاث هو المال ومنهم من قال المتاع ومنهم من قال الثياب والرئي المنظر
كما قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد ٥ وقال الحسن البصري يعني الصور ٥
وكذا قال مالك أثاثا ورئيا أكثر أموالا وأحسن صورا ٥ والكل متقارب صحيح

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا
رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون
من هو شر مكانا وأضعف جندا ٥

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم المدعين أنهم على الحق وأنكم على الباطل
من كان في الضلالة أي منا ومنكم فليمدد له الرحمن مدا أي فأمهله الله فيما هو فيه حتى
يلقى ربه وينقضي أجله إما العذاب يصيبه وإما الساعة بغتة تأتيه فسيعلمون حينئذ من
هو شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي قال
مجاهد في قوله فليمدد له الرحمن مدا فليدعه الله في طغيانه ٥ هكذا قرر ذلك أبو جعفر
ابن جرير رحمه الله ٥ وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه
كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله تعالى قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء
من دون الله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم إن كنتم
تدعون أنكم على الحق فإنه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك ٥ وقد تقدم تقرير ذلك في سورة
البقرة مبسوطا ولله الحمد ولما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة آل عمران حين صمموا
على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه
على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال بعد ذلك فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة
الله على الكاذبين فنكلوا أيضا عن ذلك ٥

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا ٥

لما ذكر تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر
بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه
إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقوله والباقيات الصالحات قد تقدم تفسيرها
والكلام عليها وإيراد الأحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف خير عند ربك ثوابا أي جزاء وخيرا

مردا

مردا أي عاقبة ومردا على صاحبها ٥ قال عبد الرزاق أخبرنا عمر بن راشد
عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فأخذ عودا يابسا فحط ورقه ثم قال إن قول لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله
تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن
هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا
الحديث قال لأهللن الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون
وهذا ظاهره أنه مرسل ويمكن أن يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم
هكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي
سلمة عن أبي الدرداء فذكر نحوه ٥

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا
أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما
يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب
ابن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال
لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث قال فإني
إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك فأنزل الله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال
لأوتين مالا وولدا إلى قوله ويأتينا فردا أخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما من غير
وجه عن الأعمش به وفي لفظ للبخاري كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت
أتقاضاه فذكر الحديث وقال أم اتخذ عند الرحمن عهدا قال موثقا ٥ وقال عبد الرزاق
أنا الثوري عن الأعمش عن مسروق قال قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة أعمل للعاص
ابن وائل قال فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد
فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإذا بعثت كان لي مال وولد قال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا
إلى ويأتينا فردا ٥ وقال العوفي عن ابن عباس إن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون
أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فإن موعدكم الآخرة فوالله
لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن

فقال افرايت الذي كفر باياتنا الى قوله ويأتينا فردا ه وهكذا قال مجاهد وقتادة
وغيرهم انها نزلت في العاص بن وايل ه وقوله لاوتين مالا وولدا قرا بعضهم
بفتح الواو من ولدا وقرا الآخرون بضمها وهو بمعناه ه قال رؤبه ه

الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولد شي ولدا

وقال الحرث ابن حلزه ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدان وقال الشاعر

فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار

وقيل ان الولد بالضم جمع الولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله اعلم ه وقوله
اطلع الغيب انكار على هذا القايل لاوتين مالا وولدا يعني يوم القيامه اي اعلم ما له في
الآخره حتى تالى وحلف على ذلك ام اتخذ عند الرحمن عهدا ام له عند الله عهدا انه سيوتيه
ذلك وقد تقدم عند البخاري انه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس اطلع
الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال لا اله الا الله فيرجو بها ه وقال محمد بن كعب
القرظي الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال شهادة ان لا اله الا الله ثم قرا الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا وقوله كلا هي حرف ردع لما قبلها وتاكيد لما بعدها سنكتب ما
يقول اي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تمناه وكفره بالله العظيم ونمد له من العذاب
مدا اي في الدار الآخره على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا ونرثه ما يقول اي
من مال وولد نسلبه منه عكس ما قال انه يوتى في الدار الآخره مالا وولدا زياده على الذي
له في الدنيا بل في الآخره نسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال ويأتينا فردا
اي من المال والولد قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس ونرثه ما يقول ماله وولده
وذلك الذي قال العاص بن وايل ه وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتاده ونرثه
ما يقول قال ما عنده وهو قوله لاوتين مالا وولدا وفي حرف ابن مسعود ونرثه
ما عنده ه قال قتاده ويأتينا فردا لا مال له ولا ولد ه وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم ونرثه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا
قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير ه

واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ه

يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم انهم اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا

لم

لهم تلك الالهة عزا يعتزون بهم ويستنصرونهم ثم اخبر انه ليس الامر كما زعموا ولا يكون ما
طمعوا فقال كلا سيكفرون بعبادتهم اي يوم القيامه ويكونون عليهم ضدا اي بخلاف ما
ظنوا فيهم كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامه
وهم عن دعايهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين وقرا ابو
نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم وقال السدي كلا سيكفرون بعبادتهم اي بعبادة الاوثان كلا
وقوله ويكونون عليهم ضدا قال اعوانا قال مجاهد عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم
وقال العوفي عن ابن عباس ويكونون عليهم ضدا قال قرنا قال قتاده قرنا
في النار يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض ه وقال السدي ويكونون
عليهم ضدا قال الخصما الاشدا في الخصومه ه وقال الضحاك ويكونون عليهم ضدا
قال اعدا وقال ابن زيد الضد البلا وقال عكرمه الضد الحسرة ه وقوله
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس
تغويهم اغوا وقال العوفي عنه تحرضهم على محمد واصحابه ه وقال مجاهد تشليهم اشلا
وقال قتاده تزعجهم ازعاجا الى معاصي الله تعالى وقال سفين الثوري تغريهم اغرا وتستعجلهم
استعجالا وقال السدي تطغيهم طغيانا ه وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا كقوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله فلا تعجل عليهم انما نعد
لهم عدا اي لا تعجل يا محمد على هولا في وقوع العذاب بهم انما نعد لهم عدا اي انما نوخرهم لاجل معدود
مضبوط وهم صايرون لا محاله الى عذاب الله ونكاله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فمهل الكافرين امهلهم رويدا انما نملي لهم ليزدادوا اثما نمتعهم
قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ قل تمتعوا فان مصيركم الى النار وقال السدي انما
نعد لهم عدا السنين والشهور والايام والساعات ه وقال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس
انما نعد لهم عدا قال نعد انفاسهم في الدنيا ه

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا

يخبر تعالى عن اوليايه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم
فيما اخبروهم واطاعوهم فيما امروهم وانتهوا عما عنه زجروهم انه يحشرهم يوم القيامه وفدا اليه
والوفد هم القادمون ركبانا ومنه الوفود وركوبهم على نجايب من نور من مراكب الدار الآخره
وهم قادمون على خير موفود اليه الى دار كرامته ورضوانه واما المجرمون المكذبون

للرسل المخالفون لهم فانهم يساقون عنفا الى النار وردا عطاشا قاله ابو هريرة وابن عباس
ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا ه قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو خالد عن عمرو بن قيس
الملائي عن ابن مرزوق يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال يستقبل المومن عند خروجه
من قبره احسن صورة راها واطيبه ريحا فيقول من انت فيقول اما تعرفني فيقول
لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن وجهك فيقول انا عملك الصالح وهكذا كنت في الدنيا
حسن العمل طيبه فطالما ركبتك في الدنيا فهلم اركبني فيركبه فذلك قوله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ه وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا قال ركبانا ه وقال ابن جرير حدثني ابن مثنى عن سعيد
عن اسمعيل عن رجل عن ابي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل ه
وقال ابن جريج على النجائب وقال الثوري على الابل النوق وقال قتادة
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال الى الجنة ه وقال عبد الله بن
الامام احمد في مسند ابيه حدثنا سويد بن سعيد انا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق
عن النعمان بن سعد قال كنا جلوسا عند علي رضي الله عنه فقرا هذه الاية يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا قال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على ارجلهم ولكن
يوتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا ابواب
الجنة ه هكذا رواه ابن ابي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن اسحق المدني به
وزاد عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد والباقي مثله ه وقد روى ابن ابي
حاتم ههنا حديثا غريبا جدا مرفوعا عن علي فقال حدثنا ابي ثنا ابو غسان
مالك بن اسمعيل النهدي ثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت ابا معاذ البصري قال ان عليا كان
ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا على هذه الاية يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا فقال ما اظن الوفد الا الركب يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون او يوتون بنوق بيض لها اجنحة
وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلالا كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة
ينبع من اصلها عينان فيشربون من احدهما فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون
من الاخرى فلا تشعث ابشارهم ولا اشعارهم بعدها ابدا وتجري عليهم نضرة النعيم
فينتهون او فياتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمرا على صفائح الذهب فيضربون
بالحلقة

بالحلقة على الصفيحة فلو تسمع لها طنينا يا علي فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد اقبل فتبعث قيمها
فيفتح له فاذا راه خر له قال مسلمة اراه قال ساجدا فيقول ارفع راسك انما انا قيمك
وكلت بامرك فيتبعه ويقفو اثره فيستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت
حتى تعتنقه ثم تقول انت حبي وانا حبك وانا الخالدة التي لا اموت وانا الناعمة التي لا ابأس
وانا الراضية التي لا اسخط وانا المقيمة التي لا اظعن فيدخل بيتا من اسه الى سقفه مائة
الف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق اصفر واحمر واخضر ليس فيها طريقة تشاكل
صاحبتها وفي البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون
زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار
ليلة من لياليكم هذه الانهار من تحتهم تطرد انهار من ماء غير اسن قال صافي لا كدر فيه
وانهار من لبن لم يتغير طعمه قال لم يخرج من ضروع الماشية وانهار من خمر لذة للشاربين لم تعصرها
الرجال باقدامها وانهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستحلي الثمار فان شا اكل
قائما وان شا قاعدا وان شا متكيا ثم تلا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا
فيشتهي الطعام فياتيه طير ابيض قال وربما قال اخضر فترفع اجنحتها فياكل من جنوبها
اي لون شا ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون ولو ان شعرة من شعر الحوراء الحور وقعت لاهل الارض لاضات الشمس منها
سوادا في نورها ه هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد رويناه في الجعديات
من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو اشبه بالصحة والله اعلم ه وقوله ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا اي عطاشا لا يملكون الشفاعة اي ليس لهم من يشفع لهم
كما يشفع المومنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبرا عنهم فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم ه وقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثنا منقطع بمعنى لكن
من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة ان لا اله الا الله والقيام بحقها ه وقال علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة ان لا اله الا الله
ويبرا الى الله من الحول والقوة ولا يرجو الا الله عز وجل ه وقال ابن ابي حاتم حدثنا
عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله
عن ابي فاختة عن الاسود بن يزيد قال قرا عبد الله يعني ابن مسعود هذه الاية الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان يقول يوم القيامة من كان له عهد
فليقم قالوا يا ابا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة

فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا انك ان تكلني الى عملي تقربني من الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد ۵ قال المسعودي فحدثني زكريا عن القسم بن عبد الرحمن ان ابن مسعود
كان يلحق بهن خائفا مستجيرا مستغفرا راهبا راغبا اليك ۵ ثم رواه من وجه اخر
عن المسعودي بنحوه ۵

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا ان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن
عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر
خلقه من مريم بلا اب شرع في مقام الانكار على من زعم ان له ولدا تعالى وتقدس
وتنزه عن ذلك علوا كبيرا فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم اي في قولكم هذا
شيئا ادا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك اي عظيما ويقال ادا بكسر الهمزة وفتحها
ومع مدها ايضا ثلاث لغات اشهرها الاولى وقوله تكاد السماوات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اي يكاد يكون
ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني ادم اعظاما للرب واجلالا لانهن
مخلوقات ومؤسسات على توحيده وانه لا اله الا هو وانه لا شريك له ولا نظير
ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفو له بل هو الاحد الصمد ۵

وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ۵

قال ابن جرير حدثني علي ثنا عبد الله حدثني معوية عن علي عن
ابن عباس قوله تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال ان الشرك فزعت منه السماوات والارض والجبال
وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول منه لعظمة الله وكما لا ينفع مع الشرك
احسان المشرك كذلك نرجوا ان يغفر الله ذنوب الموحدين ۵ وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة
قالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته قال تلك اوجب واوجب ثم قال والذي نفسي بيده

لو

لوجيء بالسماوات والارضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان
ووضعت شهادة ان لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن ۵ هكذا رواه ابن جرير
ويشهد له حديث البطاقة والله اعلم ۵ وقال الضحاك تكاد السماوات يتفطرن منه
اي يتشققن فرقا من عظمة الله ۵ وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتنشق
الارض اي غضبا لله عز وجل وتخر الجبال هدا قال ابن عباس هدما وقال سعيد بن
جبير هدا ينكسر بعضها على بعض متتابعات ۵ وقال ابن ابي حاتم حدثنا
محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سفين بن عيينة ثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال
ان الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل فيقول نعم ويستبشر
قال عون فهي للخير اسمع افيسمعن الزور والباطل اذا قيل ولا يسمعن غيره ثم قرا تكاد
السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ۵
وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا المنذر بن شاذان ثنا هوذة ثنا عوف عن
غالب بن عجرد حدثني رجل من اهل الشام في مسجد منى قال بلغني ان الله لما خلق الارض
وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة ياتيها بنو ادم الا اصابوا منها منفعة
او قال كان لهم فيها منفعة ولم تزل الارض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بني ادم بتلك الكلمة العظيمة
قولهم اتخذ الرحمن ولدا فلما تكلموا بها اقشعرت الارض وشاك الشجر ۵ وقال كعب
الاحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا ۵ وقال الامام
احمد حدثنا ابو معوية ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابي عبد الرحمن السلمي
عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد اصبر على اذى
يسمعه من الله انه يشرك به ويجعل له ولد وهو يرزقهم ويعافيهم ۵ وقوله وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي لا يصلح له ولا يليق به لجلاله وعظمته لانه لا كفو له
من خلقه لان جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال ان كل من في السماوات والارض
الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا اي قد علم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة
ذكرهم وانثاهم وصغيرهم وكبيرهم وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اي لا ناصر له ولا مجير
الا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة
ولا يظلم احدا ۵

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به

المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا

يخبر تعالى انه يغرس لعباده المومنين الذين يعملون الصالحات
وهي الاعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده
الصالحين محبة ومودة وهذا امر لابد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك
الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير وجه ٥
قال الامام احمد حدثنا عفان ثنا ابو عوانة ثنا سهيل عن ابيه عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال يا
جبريل اني احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل قال ثم ينادي في السماء ان الله يحب فلانا
قال فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وان الله اذا ابغض عبدا دعا جبريل
فقال يا جبريل اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي اهل السماء ان
الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضه اهل السماء ثم يوضع له البغضا في الارض
ورواه مسلم من حديث سهيل ٥ ورواه احمد والبخاري من حديث ابن جريج عن
موسى بن عقبة عن نافع مولى ابن عمر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه ٥ وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر ثنا ميمون ابو محمد المراي
ثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
العبد ليلتمس مرضات الله عز وجل فلا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل
ان فلانا عبدي يلتمس ان يرضيني الا وان رحمتي عليه فيقول جبريل رحمة الله على
فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها اهل السماوات السبع ثم يهبط
الى الارض ٥ غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ٥ وقال الامام احمد
حدثنا اسود بن عامر ثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن ابي ظبية عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقة من الله قال شريك هي المحبة والصيت
في السماء فاذا احب الله عبدا قال لجبريل عليه السلام اني احب فلانا فينادي جبريل
ان ربكم يمقه يعني يحب فلانا فاحبوه ارى شريكا قد قال فتنزل له المحبة في الارض
واذا ابغض عبدا قال لجبريل اني ابغض فلانا فابغضه قال فينادي جبريل ان ربكم
يبغض فلانا فابغضوه قال ارى شريكا قال فيجري له البغض في الارض ٥ غريب
ولم يخرجوه ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا داود الجعفري

ثنا عبد العزيز يعني ابن محمد وهو الدراوردي عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا
فاحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في اهل الارض فذلك قول الله عز وجل ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ٥ ورواه مسلم والترمذي
كلاهما عن قتيبة عن الدراوردي وقال الترمذي حسن صحيح ٥ وقال علي بن
ابي طلحة عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس
في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبهم ويحببهم يعني الى خلقه المومنين كما قال مجاهد
ايضا والضحاك وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس ايضا الود من المسلمين في الدنيا
والرزق الحسن واللسان الصادق ٥ وقال قتادة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي والله في قلوب اهل الايمان ذكر لنا ان هرم بن
حيان كان يقول ما اقبل عبد بقلبه الى الله الا اقبل الله بقلوب المومنين اليه حتى
يرزقه مودتهم ورحمتهم قال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول
ما من عبد يعمل خيرا او شرا الا كساه الله رداء عمله ٥ وقال ابن ابي
حاتم رحمه الله حدثنا احمد بن سنان ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح
عن الحسن البصري رحمه الله قال قال رجل والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها
فكان لا يرى في حين صلاة الا قايما يصلي وكان اول داخل الى المسجد واخر خارج
فكان لا يعظم فمكث بذلك سبعة اشهر وكان لا يمر على قوم الا قالوا انظروا الى هذا المرائي
فاقبل على نفسه فقال لا اراني اذكر الا بشر لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على انه قلب
نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمل فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا
الان الان وتلا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
وقد روى ابن جرير اثرا ان هذه الاية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف وهو خطا
فان هذه السورة بكمالها مكية لم ينزل شي منها بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله اعلم
وقوله فانما يسرناه يعني القران بلسانك اي يا محمد وهو اللسان العربي المبين
الفصيح الكامل لتبشر به المومنين المتقين اي المستجيبين لله المصدقين لرسوله وتنذر به
قوما لدا اي عوجا عن الحق مايلين الى الباطل ٥ وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد
قوما لدا لا يستقيمون وقال الثوري عن اسمعيل وهو السدي عن ابي صالح وتنذر
به قوما لدا عوجا عن الحق وقال الضحاك الالد الخصم وقال القرظي الالد الكذاب

وقال الحسن البصري قومًا لداً صمًا وقال غيره صم اذان القلوب وقال قتادة قومًا لدًا يعني قريشا وقال العوفي عن ابن عباس قومًا لدًا فجارًا وكذا روى ليث بن ابي سليم عن مجاهد وقال ابن زيد الالد الخصم وقرأ وهو الد الخصام وقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي امة كفروا بايات الله وكذبوا رسله هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا اي هل ترى منهم احدًا او تسمع لهم ركزًا قال ابن عباس وابو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصري والضحاك وابن زيد يعني صوتًا وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا او تسمع صوتًا والركز في اصل اللغة هو الصوت الخفي قال الشاعر

فتوجست ذكر الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها

آخر تفسير سورة مريم ولله الحمد والمنة

تفسير سورة طه وهي مكية

روى امام الايمة محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن ايوب عن ابراهيم ابن المنذر الحزامي ثنا ابراهيم بن مهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة يعني عبد الرحمن بن يعقوب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قرا طه ويس قبل ان يخلق آدم بالف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لامة ينزل هذا عليهم وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا هذا حديث غريب وفيه نكارة وابراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى

تقدم الكلام على الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما اغنى عن اعادته وقال ابن ابي حاتم ثنا الحسين بن محمد بن شيبة الواسطي ثنا ابو احمد يعني الزبيري انبانا اسرائيل عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه يا رجل وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطا ومحمد بن كعب وابي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن ابزى انهم قالوا طه بمعنى يا رجل وفي رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري انها كلمة بالنبطية معناها يا رجل وقال ابو مالك هي معربة واسند القاضي عياض في كتابه

الشفا من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال ولا خفا بما في هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قال جويبر عن الضحاك لما انزل الله القرآن على رسوله قام به هو واصحابه فقال المشركون من قريش ما انزل هذا القرآن على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى فليس الامر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد اراد به خيرًا كما ثبت في الصحيحين عن معوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وما احسن الحديث الذي رواه الحافظ ابو القسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا احمد بن زهير ثنا العلا بن سالم ثنا ابراهيم الطالقاني ثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعلما يوم القيامة اذا قعد على كرسيه لقضا عباده اني لم اجعل علمي وحكمتي فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم على ما كان منكم ولا ابالي اسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثي ذكره ابو عمر في استيعابه وقال نزل البصرة ثم تحول الى الكوفة وروى عنه سماك بن حرب وقال مجاهد في قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى هو كقوله فاقرءوا ما تيسر منه وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله شقيا ولكن جعله رحمة ونورًا ودليلا الى الجنة الا تذكرة لمن يخشى ان الله انزل كتابه وبعث رسله رحمة رحم بها العباد ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر انزل الله فيه حلاله وحرامه وقوله تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى اي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شي ومليكه القادر على ما يشا الذي خلق الارض بانخفاضها وكثافتها وخلق السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها وقد جا في الحديث الذي صححه الترمذي وغيره ان سمك كل سما مسيرة خمسماية عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسماية عام وقد اورد ابن ابي حاتم ها هنا حديث الاوعال من رواية العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وقوله الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما اغنى عن اعادته ايضا وان المسلك الاسلم في ذلك طريقة السلف امرار ما جا في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل وقوله له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى اي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وارادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه والاهه لا اله سواه

ولا ترث عنه ۝ وقوله ﴿وما تحت الثرى﴾ قال محمد بن كعب اي ما تحت الارض السابعة قال
الاوزاعي ان يحيى بن ابي كثير حدثه ان كعبا سئل فقيل له ما تحت هذه الارض قال الما قيل وما تحت
الما قال الارض قيل وما تحت الارض قال الما قيل وما تحت الما قال الارض قيل وما تحت الارض
قال الما قيل وما تحت الما قال الارض قيل وما تحت الارض قال الما قيل وما تحت الما قال الارض
قيل وما تحت الارض قال صخرة قيل وما تحت الصخرة قال ملك قيل وما تحت الملك قال حوت
معلق طرفاه بالعرش قيل ما تحت الحوت قال الهوا والظلمة وانقطع العلم ۝ وقال ابن ابي
حاتم حدثنا ابو عبيد الله بن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عياش حدثني عبد الله
ابن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الارضين بين كل ارض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر
حوت قد التقى طرفاه في السما والحوت على صخرة والصخرة بيد الملك والثانية مسجن الريح والثالثة
فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب
جهنم والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد يد امامه ويد خلفه فاذا اراد الله
ان يطلقه لما يشا اطلقه ۝ هذا حديث غريب جدا ورفعه فيه نظر ۝ وقال
الحافظ ابو يعلى في مسنده حدثنا ابو موسى الهروي عن العباس بن الفضل الانصاري
قال نعم عن القسم بن عبد الرحمن عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاقبلنا راجعين في حر شديد فنحن متفرقون بين واحد
واثنين منتشرين قال وكنت في اول العسكر اذ عارضنا رجل فسلم ثم قال ايكم محمد ومضى
اصحابي ووقفت معه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبل في وسط العسكر على جمل
احمر مقنع بثوبه على راسه من الشمس فقلت ايها السائل هذا رسول الله قد اتاك
فقال ايهم هو فقلت صاحب البكر الاحمر فدنا منه فاخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انت محمد قال نعم قال اني اريد ان اسالك عن خصال لا يعلمهن احد من اهل الارض
الا رجل او رجلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سل عما شئت فقال يا محمد اينام النبي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه قال صدقت ثم قال يا محمد من اين يشبه الولد اباه
وامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرجل ابيض غليظ وما المراة رقيق فاي الماءين غلب
على الاخر غلب على الولد قال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمراة منه فقال للرجل العظام
والعروق والعصب وللمراة اللحم والدم والشعر قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه الارض
قال الما قال فما تحت الما قال ظلمة قال فما تحت الظلمة قال الهوا قال فما تحت الهوا قال الثرى قال فما تحت

الثرى ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكا وقال انقطع علم المخلوقين عند
علم الخالق ايها السائل ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال فقال صدقت اشهد انك رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا جبريل عليه السلام ۝ هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب تفرد
به القسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس يساوي شيا وضعفه ابو
حاتم الرازي وقال ابن عدي لا يعرف قلت وقد خلط في هذا الحديث
ودخل عليه شي في شي وحديث في حديث وقد يحتمل انه تعمد ذلك او ادخل عليه فالله اعلم ۝
وقوله ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى﴾ اي انزل هذا القران الذي خلق
الارض والسموات العلى الذي يعلم السر واخفى كما قال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
انه كان غفورا رحيما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعلم السر واخفى قال السر ما اسره
ابن آدم في نفسه واخفى ما اخفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل ان يعلمه فالله يعلم ذلك كله
فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة ۝
وهو قوله ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ ۝ وقال الضحاك يعلم السر واخفى
قال السر ما تحدث به نفسك واخفى ما لم تحدث به نفسك بعد ۝ وقال سعيد بن
جبير انت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما تسر اليوم وما تسر غدا ۝ وقال
مجاهد واخفى قال الوسوسة ۝ وقال ايضا هو وسعيد بن جبير واخفى اي ما
هو عامله مما لم يحدث به نفسه ۝ وقوله ﴿الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى﴾ اي الذي
انزل عليك القران هو الله الذي لا اله الا هو ذو الاسما الحسنى والصفات العلى وقد تقدم
بيان الاحاديث الواردة في الاسما الحسنى في اواخر سورة الاعراف ولله الحمد والمنة ۝

﴿وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا
اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى﴾

من هاهنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى كيف كان ابتدا الوحي اليه وتكليمه
اياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار
باهله قيل قاصدا بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها اكثر من عشر سنين ومعه
زوجته فاضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال في برد وشتاء
وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا كما جرت له العادة به فجعل لا
يقدح شيا ولا يخرج منه شرر ولا شي فبينا هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نارا اي

ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لاهله يبشرهم اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس اي بشهاب من نار وفي الآية الاخرى او جذوة من النار وهي الجمر الذي معه لهب لعلكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله بقبس دل على وجود الظلام وقوله او اجد على النار هدى اي من يهدي الطريق دل على انه كان قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن ابي سعيد الاعور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله او اجد على النار هدى قال من يهدي الى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال ان لم اجد احدا يهديني اتيتكم بنار توقدون بها ۝

فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ۝

يقول تعالى فلما اتاها اي النار واقترب منها نودي يا موسى وفي الآية الاخرى نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله وقال هاهنا اني انا ربك اي الذي يكلمك ويخاطبك فاخلع نعليك قال علي بن ابي طالب وابو ذر وابو ايوب وغير واحد من السلف كانتا من جلد حمار غير ذكي وقيل انما امره ان يخلع نعليه تعظيما للبقعة قال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل ان يخلع نعليه اذا اراد دخول الكعبة ۝ وقيل ليطأ الارض المقدسة بقدميه حافيا غير منتعل وقيل غير ذلك والله اعلم ۝

وقوله طوى قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس هو اسم للوادي وكذا قال غير واحد فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الامر بالوطء بقدميه وقيل لانه قدس مرتين وطوي له البركة وكررت والاول اصح كقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ۝ وقوله وانا اخترتك كقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي اي على جميع الناس من الموجودين في زمانه وقد قيل ان الله تعالى قال يا موسى اتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس لاني لم يتواضع لي احد تواضعك ۝ وقوله فاستمع لما يوحى اي استمع الآن ما اقول لك واوحيه اليك ۝ انني انا الله لا اله الا انا اول واجب على المكلفين ان يعلموا انه لا اله الا الله وحده لا شريك له ۝ وقوله فاعبدني اي وحدني

وقم بعبادتي من غير شرك واقم الصلاة لذكري قيل معناه صل لتذكرني وقيل معناه واقم الصلاة عند ذكرك لي ويشهد لهذا الثاني ما قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله قال اقم الصلاة لذكري ۝ وفي الصحيحين عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ۝ وقوله ان الساعة آتية اي قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها ۝ وقوله اكاد اخفيها قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها اكاد اخفيها من نفسي لانها لا تخفى من نفس الله ابدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وابو صالح ويحيى بن رافع وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس اكاد اخفيها يقول لا اطلع عليها احدا غيري وقال السدي ليس احد من اهل السماوات والارض الا قد اخفى الله عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود اني اكاد اخفيها من نفسي يقول كتمتها من الخلائق حتى لو استطعت ان اكتمها من نفسي لفعلت اخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء المرسلين ۝ قلت وهذا كقوله تعالى قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب الا الله وقال ثقلت في السماوات والارض لا تأتيكم الا بغتة اي ثقل علمها على اهل السماوات والارض ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة ثنا منجاب ثنا ابو نميلة حدثني محمد بن سهل الاسدي عن ورقاء قال اقرأنيها سعيد بن جبير اكاد اخفيها يعني بنصب الالف وخفض الفاء يقول اظهرها ثم قال اما سمعت قول الشاعر

داب شهرين ثم شهرا دميكا باريكين يخفيان غميرا

قال الاسدي الغمير نبت رطب ينبت في خلال يبس والاريكين موضع والدميك الشهر التام وهذا الشعر لكعب بن زهير ۝ وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى اي اقيمها لا محالة لاجزي كل عامل بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانما تجزون ما كنتم تعملون ۝ وقوله فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين اي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة واقبل على ملاذه في دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر وتردى اي هلك وعطب قال الله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى ۝

وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها

يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الأولى ۝

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا
يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل فقوله وما تلك بيمينك يا
موسى قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له وقيل إنما قال له ذلك
على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن وما تلك
بيمينك يا موسى استفهام تقرير قال هي عصاي أتوكأ عليها أعتمد عليها في حال المشي وأهش بها على
غنمي أي أهز بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمي قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك
والهش أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يتساقط ورقه وثمره ولا يكسر العود
فهذا الهش ولا يخبط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا وقوله ولي فيها مآرب أخرى
أي مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت
فقيل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من
الأمور الخارقة للعادة والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها
ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم إنها
كانت لآدم عليه السلام وقول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة وروي عن
ابن عباس أنه كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب وقوله قال ألقها يا موسى
أي هذه العصا التي في يدك يا موسى ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى صارت في الحال حية
عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هي تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات
حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة تسعى أي تمشي وتضطرب
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أحمد بن عبدة ثنا حفص بن جميع ثنا سماك عن عكرمة عن
ابن عباس فألقاها فإذا هي حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت
بصخرة فابتلعتها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبرا فنودي أن يا موسى خذها
فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فقيل له في الثالثة إنك من الآمنين فأخذها ۝
وقال وهب بن منبه في قوله فألقاها فإذا هي حية تسعى قال فألقاها على وجه الأرض
ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئا يريد أخذه
يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها
عيناه تتوقدان نارا وقد عاد المحجن منها عرفا فيه شعر مثل النيازك وعاد الشعبتان فما مثل القليب

الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى
أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى أن ارجع
حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال خذها بيمينك ولا تخف سنعيدها سيرتها
الأولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها
أدلى طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة
تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم
الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها وإذا يده في موضعها
الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال تعالى سنعيدها سيرتها أي حالها
التي تعرف قبل ذلك ۝

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى
لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون
أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا ۝

هذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به
في الآية الأخرى وهاهنا عبر عن ذلك بقوله واضمم يدك إلى جناحك وقال في
مكان آخر واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه
وقال مجاهد واضمم يدك إلى جناحك كفه تحت عضده وذلك أن موسى عليه السلام
كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر ۝ وقوله تخرج
بيضاء من غير سوء أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم ۝ وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها
مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى لنريك من آياتنا الكبرى ۝ وقال
وهب قال له ربه ادنه فلم يزل يدنيه حتى شد ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه
الرعدة وجمع يده في العصا وخضع برأسه وعنقه ۝ وقوله اذهب إلى فرعون إنه
طغى أي اذهب إلى فرعون ملك مصر الذي خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة الله
وحده لا شريك له ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة

الدنيا وبهجة الرب الاعلاه قالـــ وهب بن منبه قال الله لموسى انطلق برسالتي فانك بعيني
وسمعي وان معك ايدي ونصري واني قد البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة
في امري فانت جند عظيم من جندي بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن
مكري وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني فاني اقسم بعزتي
لولا العذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السماوات
والارض والجبال والبحار فان امرت السما حصبته وان امرت الارض ابتلعته وان امرت الجبال
دمرته وان امرت البحار غرقته ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت
بما عندي وحق لي انا الغني ولا غني غيري فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وتوحيدي
واخلاصي وذكره ايامي وحذره نقمتي وباسي واخبره انه لا يقوم شي لغضبي وقل له فيما بين ذلك
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واخبره اني انا العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة
ولا يروعنك ما البسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف
ولا يتنفس الا باذني وقل له اجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك اربعمائة سنة
في كلها انت مبارزه بالمحاربة تشبه وتمثل به وتصد عبادي عن سبيله وهو يمطر عليك
السما وينبت لك الارض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شا ان يعجل لك العقوبة
لفعل ولكنه ذو اناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك واخيك وانتما تحتسبان بجهاده فاني
لو شئت ان اتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي
قد اعجبته نفسه وجموعه ان الفئة القليلة لا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا يعجبكما
زينته ولا ما متع به ولا تمدا الى ذلك اعينكما فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو
شئت ان ازينكما بزينة ليعلم فرعون حين ينظر اليها ان مقدرته تعجز عن مثل ما اوتيتما
فعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك وازويه عنكما وكذلك افعل باوليائي وقديما خرت
في ذلك فاني لاذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة
وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولم يطغه
الهوى واعلم انه لم يتزين لي العباد بزينة هي ابلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا فانها
زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع سيماهم في وجوههم من اثر
السجود اولئك اوليائي حقا حقا فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك
واعلم انه من اهان لي وليا او اخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني
اليها وانا اسرع شي الى نصرة اوليائي افيظن الذي يحاربني ان يقوم لي او يظن الذي يبارزني

ان يسبقني وكيف وانا الثائر لهم في الدنيا والاخرة ولا اكل نصرتهم الى غيري ٥ رواه ابن
ابي حاتم ٥ قالـــ رب اشرح لي صدري ويسر لي امري هذا سوال من موسى
عليه السلام لربه عز وجل ان يشرح له صدره فيما بعثه به فانه قد امره بامر عظيم وخطب
جسيم بعثه الى اعظم ملك على وجه الارض اذ ذاك واجبرهم واشدهم كفرا واكثرهم جنودا
واعمرهم ملكا واطغاهم وابلغهم تمردا بلغ من امره ان ادعى انه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه
الاها غيره هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليدا عندهم في حجر فرعون على فراشه
ثم قتل منهم نفسا فخافهم ان يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعثه ربه
عز وجل اليهم نذيرا يدعوهم الى الله عز وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري اي ان لم تكن انت عوني ونصيري وعضدي وظهيري
والا فلا طاقة لي بذلك ٥ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وذلك لما كان اصابه
من اللثغ حين كان عرض عليه التمرة والجمرة فاخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سياتي بيانه
وما سال ان يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة جه
ولو سال الجميع لزال ولكن الانبيا لا يسالون الا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية
قالـــ الله تعالى اخبارا عن فرعون انه قال ولا يكاد يبين اي يفصح بالكلام ٥
وقالـــ الحسن البصري واحلل عقدة من لساني قال حل عقدة واحدة ولو سال اكثر
من ذلك اعطي ٥ وقالـــ ابن عباس شكا موسى الى ربه ما يتخوف من آل فرعون
في القتيل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسال ربه
ان يعينه باخيه هارون يكون له ردا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فاتاه سوله
فحل عقدة من لسانه ٥ وقالـــ ابن ابي حاتم ذكر عن عمرو بن عثمان حدثنا بقية
عن ارطاة بن المنذر حدثني بعض اصحاب محمد بن كعب عنه قال اتاه ذو قرابة له فقال
له ما بك باس لولا انك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراتك فقال القرظي يا ابن
اخي الست افهمك اذا حدثتك قال نعم فقال فان موسى عليه السلام انما سال ربه ان يحلل
عقدة من لسانه كي يفقهوا قوله ولم يزد عليها هذه اللفظة ٥ وقوله واجعل
لي وزيرا من اهلي هارون اخي وهذا ايضا سوال من موسى في امر خارجي عنه وهو مساعدة
اخيه هارون له قالـــ الثوري عن ابي سعد عن عكرمة عن ابن عباس انه قال نبي
هارون ساعتئذ حين نبي موسى عليهما السلام ٥ وقالـــ ابن ابي حاتم ذكر عن
ابن نمير ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة انها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت

ببعض الاعراب فسمعت رجلا يقول اي اخ في الدنيا كان انفع لاخيه قالوا ما ندري قال انا والله
ادري قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني انه ليعلم اي اخ في الدنيا كان انفع لاخيه قال موسى
حين سال لاخيه النبوة فقلت صدق والله ۝ قلت ـــــ ومن هذا قال الله تعالى
في الثناء على موسى عليه السلام وكان عند الله وجيها ۝ وقوله اشدد به ازري قال مجاهد ظهري
واشركه في امري اي مشاورتي كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا قال مجاهد لا يكون العبد
من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا ۝ وقوله انك كنت بنا بصيرا
اي في اصطفائك لنا واعطائك ايانا النبوة وبعثتك لنا الى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى
اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في اليم فاقذفيه التابوت صح
في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له
والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ تمشي
اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك
الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا ۝

هذه اجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سال من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة
عليه فيما كان الهم امه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملائه ان يقتلوه لانه كان قد ولد
في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في
البحر وهو النيل وتمسكه الى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب
به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فذهب به البحر الى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا اي قدرا مقدورا من الله حيث كانوا يقتلون الغلمان من بني اسرائيل
حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة ان لا يربى الا على
فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال ياخذه
عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني اي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل
والقيت عليك محبة مني قال حببتك الى عبادي ولتصنع على عيني قال ابو عمران الجوني
قال تربى بعين الله وقال قتادة تغذى على عيني وقال معمر بن المثنى ولتصنع على عيني
بحيث ارى وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يعني اجعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه
عندهم ۝

عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة ۝ وقوله اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله
فرجعناك الى امك كي تقر عينها وذلك انه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فاباها
قال الله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فجاءت اخته فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون يعني هل ادلكم على من يرضعه لكم بالاجرة فذهبت به وهم معها الى
امه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحا شديدا واستاجروها على ارضاعه
فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الاخرى اعظم واجزل ولهذا جاء في الحديث
مثل الصانع الذي يحتسب في صنعته الخير كمثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها وقال تعالى
ثم رجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن اي عليك وقتلت نفسا فنجيناك من الغم يعني القبطي
وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين وقال له
ذلك الرجل الصالح لا تخف نجوت من القوم الظالمين ۝ وقوله وفتناك فتونا
قال الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله
وفتناك فتونا حديث الفتون حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هرون انا اصبغ بن
زيد حدثنا القاسم بن ابي ايوب اخبرني سعيد بن جبير قال سالت عبد الله بن عباس عن
قول الله عز وجل لموسى عليه السلام وفتناك فتونا فسالته عن الفتون ما هو فقال استانف
النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما اصبحت غدوت الى ابن عباس لانتجز منه ما
وعدني من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم
عليه السلام ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فقال بعضهم ان بني اسرائيل ينتظرون
ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان
الله وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون فائتمروا واجمعوا امرهم على ان يبعث رجالا
معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه ففعلوا ذلك
فلما راوا ان الكبار من بني اسرائيل يموتون باجالهم والصغار يذبحون قالوا يوشكون
ان تفنوا بني اسرائيل فتصيروا الى ان تباشروا من الاعمال والخدمة الذي كانوا يكفونكم
فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل نباتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم احدا فيشب الصغار
مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم اياكم
ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم فاجمعوا امرهم على ذلك فحملت ام موسى
بهرون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت
بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في

بطن امه بما يراد به فاوحى الله اليها ان لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فامرها اذا ولدت ان تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها
ابنها اتاها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته
كان احب الي من ان القيه الى دواب البحر وحيتانه فانتهى الماء به حتى اوفى به عند فرضة ان
مستقى جواري امراة فرعون فلما رأينه اخذنه فهممن ان يفتحن التابوت فقال بعضهن ان
في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امراة الملك بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يخرجن منه
شيئا حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فالقي عليه منها محبة لم يلق منها على احد قط
واصبح فؤاد ام موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بامره
اقبلوا بشفارهم الى امراة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم اقروه
فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى اتي فرعون فاستوهبه منه فان وهبه
لي كنتم قد احسنتم واجملتم وان امر بذبحه لم الومكم فاتت فرعون فقالت قرة عين لي ولك
فقال فرعون يكون لك فاما لي فلا حاجة لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
يحلف به لو اقر فرعون ان يكون قرة عين له كما اقرت امراته لهداه الله كما هداها ولكن الله حرمه
ذلك فارسلت الى من حولها الى كل امراة لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما اخذته امراة منهن لترضعه
لم يقبل على ثديها حتى اشفقت امراة فرعون ان يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت
به فاخرج الى السوق ومجمع الناس ترجوا ان تجد له ظئرا ياخذ منها فلم يقبل واصبحت بيانه
ام موسى والها فقالت لاخته قصي اثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا احي ابني ام اكلته الدواب واطلبيه هل
ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به اخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب ان
يسموا بصر الانسان الى شيء بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به فقالت من الفرح حين اعياهم
الظؤورات انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها فقالوا ما يدريك
ما نصحهم هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له
وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فارسلوها فانطلقت الى امها فاخبرتها فتركوها
الخبر فجاءت امه فلما وضعته في حجرها نزا الى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا وانطلق
البشير الى امراة فرعون يبشرونها ان قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتت بها وبه
فلما رأت ما يصنع قالت امكثي ترضعي ابني هذا فاني لم احب شيئا حبه قط قالت ام موسى بها
لا استطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي
فيكون معي لا الوه خيرا فعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت ام موسى ما كان الله وعدها

فتعاسرت

فتعاسرت على امراة فرعون وايقنت ان الله منجز موعوده فرجعت الى بيتها من يومها وانبته
الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة
والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امراة فرعون لام موسى اريني ابني فوعدتها يوما تبرزه
اياها فيه وقالت امراة فرعون لخزانها وظؤورها وقهارمتها لا يبقين احد منكم الا استقبل
ابني اليوم بهدية وكرامة لارى ذلك فيه وانا باعثة امينا يحصي كل ما يصنع كل انسان منكم
فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت امه الى ان دخل على امراة
فرعون فلما دخل عليها نحلته واكرمته وفرحت به ونحلت امه بحسن اثرها عليه ثم قالت لاتين
به فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون
فمدها الى الارض فقال الغواة من اعداء الله لفرعون الا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه انه زعم ان
يرثك ويعلوك ويصرعك فارسل الى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير
بعد كل بلاء ابتلي به واريد به فتونا فجاءت امراة فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الغلام
الذي وهبته لي فقال الا ترينه يزعم انه يصرعني ويعلوني فقالت اجعل بيني وبينك امرا
تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب
الجمرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت ان احدا لا يؤثر
الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقربه اليه فتناول الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة
ان يحرقا يديه فقالت المراة الا ترى فصرفه الله عنه بعد ما كان هم به وكان الله بالغا
فيه امره فلما بلغ اشده وكان من الرجال لم يكن احد من ال فرعون يخلص الى احد
من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي
في ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان احدهما فرعوني والاخر اسرائيلي فاستغاثه
الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبا شديدا لانه تناوله وهو يعلم منزلته
من بني اسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس الا انما ذلك من الرضاع الا ام موسى الا ان يكون
الله اطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما
احد الا الله عز وجل والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان
انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
فاصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا رجلا
من ال فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال لهم ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان
الملك وان كان صفوه مع قومه لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك

بينه

أخذ لكم بحقكم فبينما يطوفون لا يجدون ثبتاً إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي
يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي كما فعل بالأمس على الفرعوني فصادف
موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني
فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد
ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد
ما قال له إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراده إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي
وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس وإنما قال له مخافة أن يكون
إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر
حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى
فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون
أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى فاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره
وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاءً قبل ذلك وليس
له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل
ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين
تذودان يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان
مع الناس قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننتظر فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف
في الدلو ماءً كثيراً حتى كان أول الرعاء وانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام
فاستظل بشجرة وقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير واستنكر أبوهما سرعة صدورهما
بغنمهما حفلاً بطاناً فقال إن لكما اليوم لشأناً فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما
أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس
لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت إحداهما يا أبت استأجره
إن خير من استأجرت القوي الأمين فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته
وما أمانته قالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى في
ذلك السقي منه وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أني امرأة
صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق
فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك
أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد

أن

١٦

أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة
وكانت سنتان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشراً قال سعيد بن جبير فلقيني رجل من أهل
النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت
ابن عباس فذكرت ذلك له فقال أما علمت أن ثمانياً كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله
لينقص منها شيئاً ويعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التي وعده فإنه قضى عشر سنين
فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك فقلت أجل
وأولى فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن
فشكى إلى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون من القتيل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه
عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً ويتكلم عنه بكثير
مما لا يفصح به لسانه فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه
فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليهما السلام فانطلقا جميعاً إلى فرعون فأقاما على بابه حيناً
لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك قال فمن ربكما فأخبراه
بالذي قص الله عليك في القرآن قال فما تريدان وذكر القتيل فاعتذر بما سمعت
قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه وقال ائت بآية إن كنت من الصادقين
فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون قاصدة إليه
خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء بيانه
ثم ردها فعا من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول فاستشار الملأ حوله فيما رأى
فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له
اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما فأرسل إلى المدائن فحشر له كل
ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا فلا والله
ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل وما أجرنا إن نحن غلبنا
قال لهم أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس
ضحى قال سعيد فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون
والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر
هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاء بهما فقالوا
لقوا يا موسى لقدرتهم بسحرهم إما أن تلقي وإما أن نكون أول من يلقي نحن الملقين قال بل ألقوا فألقوا

جبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فراي موسي من سحرهم ما اوجس في نفسه
خيفة فاوحي الله اليه ان الق عصاك فلما القاها صارت ثعبانا عظيما فاغرا فاها فجعلت العصي
تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا على الثعبان تدخل فيه حتى ما ابقت عصاه ولا حبلا
الا ابتلعته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكنه امر
من الله عز وجل آمنا بالله وبما جا به موسي ونتوب الى الله مما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون
في ذلك الموطن واشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
وامراة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسي على فرعون واشياعه فمن راها
من آل فرعون ظن انها انما ابتذلت للشفقة على فرعون واشياعه وانما كان حزنها وهمها
لموسي فلما طال مكث موسي بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جا باية وعده عندها
ان يرسل معه بني اسرائيل فاذا مضت اخلف موعده وقال هل يستطيع ربك ان يصنع
غير هذا فارسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
كل ذلك يشكوا الى موسي ويطلب اليه ان يكفها عنه ويواثقه على ان يرسل معه بني اسرائيل
فاذا كف ذلك عنه اخلف موعده ونكث عهده حتى امر موسي بالخروج بقومه فخرج
بهم ليلا فلما اصبح فرعون وراى انهم قد مضوا ارسل في المداين حاشرين فتبعه بجنود
عظيمة كثيرة واوحي الله الى البحر اذا ضربك عبدي موسي بعصاه فانفلق اثني عشرة
فرقة حتى يجوز موسي ومن معه ثم التق على من بقي بعد من فرعون واشياعه فنسي
موسي ان يضرب البحر بالعصي وانتهى الى البحر وله قصيف مخافة ان يضربه موسي
بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال اصحاب موسي انا لمدركون
افعل ما امرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب قال وعدني ربي اذا اتيت البحر
انفرق اثني عشرة فرقة حتى اجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصي فضرب البحر بعصاه
حين دنا جند فرعون من اواخر جند موسي فانفرق البحر كما امره ربه وكما وعد موسي
فلما ان جاز موسي واصحابه كلهم البحر ودخل فرعون واصحابه التقى عليهم البحر
كما امر فلما جاوز موسي البحر قال اصحابه انا نخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا نومن بهلاكه
فدعا ربه فاخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون
على اصنام لهم قالوا يا موسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر
ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قد رايتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فانزلهم موسي
منزلا وقال اطيعوا هرون فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب الى ربي واجلهم ثلثين يوما
ان

ان يرجع اليهم فيها فلما اتى ربه واراد ان يكلمه في ثلثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن
وكره ان يكلم ربه وريح فيه ريح فم صايم فتناول موسي من نبات الارض شيا فمضغه
فقال له ربه حين اتاه لم افطرت وهو اعلم بالذي كان قال يا رب اني كرهت ان اكلمك الا وفمي
طيب الريح قال او ما علمت يا موسي ان ريح الصايم اطيب من ريح المسك ارجع حتى تصوم
عشرا ثم ايتني ففعل موسي عليه السلام ما امره به فلما راي قوم موسي انه لم يرجع اليهم في
الاجل سائهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم
عواري وودايع ولكم فيها مثل ذلك وانا ارى ان تحتسبوا ما لكم عندهم ولا احل لكم
وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين اليهم شيا من ذلك ولا ممسكيه لانفسنا
فحفر حفيرة وامر كل قوم عندهم من ذلك من متاع او حلية ان يقذفوه في ذلك الحفيرة
ثم اوقد النار فاحرقه فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم كانوا يعبدون البقر
جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسي وبني اسرائيل حين احتملوا
فقضي له ان راى اثرا فقبض منه قبضة فمر بهرون فقال له هرون عليه السلام يا سامري
الا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه احد طوال ذلك فقال هذه قبضة من اثر الرسول
الذي جاوز بكم البحر ولا القيها لشي الا ان تدعوا الله اذا القيتها ان يكون ما اريد فالقاها
ودعا له هرون فقال اريد ان يكون عجلا اجوف ليس فيه روح له خوار قال ابن عباس
لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح يدخل من دبره ويخرج من فيه فكان ذلك
الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا
وانت اعلم به قال هذا ربكم ولكن موسي اضل الطريق فقالت فرقة لا نكذب بهذا
حتى يرجع الينا موسي فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رايناه وان لم يكن ربنا
فانا نتبع قول موسي وقالت فرقة هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولن نومن به
ولا نصدق واشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل واعلنوا التكذيب
به فقال لهم هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن قالوا فما بال موسي وعدنا
ثلثين يوما ثم اخلفنا هذه اربعون يوما قد مضت فقال سفهاوهم اخطا ربه فهو يطلبه
ويتبعه فلما كلم الله موسي قال له ما قال اخبره بما لقي قومه من بعده فرجع الى قومه غضبان
اسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن واخذ براس اخيه يجره اليه والقى الالواح من الغضب
ثم انه عذر اخاه بعذره واستغفر له فانصرف الى السامري فقال له ما حملك على ما
صنعت قال قبضت قبضة من اثر الرسول وفطنت لها وعميت عليكم فقذفتها وكذلك سولت

إلى نفسي قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه
وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ولو كان إلها لم يخلص
إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي
هرون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا
فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألوا الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في
العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده
حين فعل بهم ما فعل فقال لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء
منا وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك
رجفت بهم الأرض فقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والإنجيل فقال يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي
كتبتها لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له إن
توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في
ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهرون واطلع الله عليه من ذنوبهم
فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام
متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم
بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم
الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون
ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا
حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكر
من ثمارهم أمرا عجيبا من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا
ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل
ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا إليه فقالوا نحن أعلم بقومنا
إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا
عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال
الذين يخافون بنو إسرائيل قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل

ذلك

٨٦

ذلك لما أبى منهم المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله وسماهم كما سماهم فاسقين
وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل
عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين
ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية
ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك
الحجر منهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي صلى — منهم بالمنزل الأول
الله عليه وسلم وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث
فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل فقال كيف يفشي
عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس
فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا إسحق هل تذكر يوم
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون الإسرائيلي
الذي أفشى عليه أم الفرعوني قال إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع الإسرائيلي الذي شهد على — الذي
ذلك وحضره هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير
وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس
وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنه مما أبيح نقله
من الإسرائيليات عن كعب الأحبار وغيره ه والله أعلم وسمعت شيخنا
الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا ه

فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى
واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ه

يقول تعالى مخاطبا لموسى عليه السلام إنه لبث مقيما في أهل مدين فارا من
فرعون وملئه يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل ثم جاء موافقا لقدر الله
وإرادته من غير ميعاد والأمر كله له تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء
ولهذا قال ثم جئت على قدر يا موسى قال مجاهد أي موعد وقال عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة في قوله ثم جئت على قدر يا موسى قال على قدر الرسالة
والنبوة ه وقوله واصطنعتك لنفسي أي اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسي أي كما أريد

وأثناه وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد ثنا مهدي بن ميمون
ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقى آدم وموسى فقال موسى
أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت الذي اصطفاك الله برسالاته
واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم فوجدته قد كتب علي قبل أن يخلقني قال نعم فحج
آدم موسى ه أخرجاه ه اذهب أنت وأخوك بآياتي أي بحججي وبراهيني ومعجزاتي
ولا تنيا في ذكري قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطئا وقال مجاهد عن ابن عباس
لا تبطئا وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا في ذكري والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله
بل يذكران الله في مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا
له كما جاء في الحديث إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه ه اذهبا
إلى فرعون إنه طغى أي تمرد وطغا وتجبر على الله وعصاه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
أو يخشى هذه الآية فيها عبرة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى
صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال
يزيد الرقاشي عند قوله فقولا له قولا لينا يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف
بمن يتولاه ويناديه ه وقال وهب بن منبه قولا له إني إلى العفو والمغفرة
أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله فقولا له قولا لينا قال لا إله إلا
الله وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصري فقولا له قولا لينا اعذرا إليه قولا
له إن لك ربا ومعادا وإن بين يديك جنة ونارا ه وقال بقية عن علي بن هارون
عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي في قوله فقولا له
قولا لينا قال كنه وكذا روي عن سفيان الثوري كنه بأبي مرة ه والحاصل من أقوالهم
أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع
كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
الآية وقوله لعله يتذكر أو يخشى أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة
أو يخشى أي يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى لمن أراد أن يتذكر أو يخشى فالتذكر
الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة وقال الحسن لعله يتذكر أو يخشى
يقول لا تقل أنت يا موسى وأخوك هرون أهلكه قبل أن تعذرا إليه وههنا نذكر شعر زيد
ابن عمرو بن نفيل ويروى لأمية بن الصلت فيما ذكره ابن إسحق ه

وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له يا اذهب وهرون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
فقولا له آأنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آأنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذا بك بانيا
وقولا له آأنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا ه

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما
أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل
ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى إنا قد
أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ه

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهرون عليهما السلام أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى
شاكيين إليه إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعدي
عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد أن يفرط
يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أنه قال أو أن يطغى
يعتدي قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما
وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء واعلما أن ناصيته بيدي
فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا أبو معوية
عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى
إلى فرعون قال رب أي شيء أقول قال قل هيا شراهيا قال الأعمش فسر ذلك
الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء إسناد جيد وشيء غريب ه فأتياه فقولا إنا
رسولا ربك قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه
حينا لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد ه وذكر محمد بن إسحق بن يسار أن
موسى وأخاه هرون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان
إنا رسول رب العالمين فآذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان
لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه

فقال له ايها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجبا يزعم ان له الها غيرك ارسله اليك قال بيا بي
قال نعم قال ادخلوه فدخل ومعه اخوه هرون وفي يده عصا فلما وقف على فرعون قال اني رسول رب العالمين
فعرفه فرعون ٥ وذكر السدي انه لما قدم بلاد مصر ضاف امه واخاه وهما لا يعرفانه
وكان طعامهم ليلتيذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى يا هرون ان ربي
امرني ان اتي هذا الرجل فرعون فادعوه الى الله وامرك ان تعاونني قال افعل ما امرك ربك
فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترئ
على هذا الصنيع فاخبره السدنة والبوابون بان ههنا رجلا مجنونا يقول انه رسول الله فقال
علي به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكره الله في كتابه ٥ وقوله قد جئناك باية
من ربك اي بدلالة ومعجزة من ربك والسلام على من اتبع الهدى ولهذا لما كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم كتابا اوله بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك
مرتين وكذلك لما كتب مسيلمة الى رسول الله كتابا صورته من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
سلام عليك اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فلك المدر ولي الوبر ولكن قريش
يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولهذا
ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب وتولى اي قد اخبرنا الله فيما اوحاه الينا من الوحي المعصوم ان العذاب
متمحض لمن كذب بايات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى فاما من طغى واثر الحياة الدنيا
فان الجحيم هي الماوى وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وقال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي كذب بقلبه وتولى بفعله ٥

قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ٥

يقول تعالى مخبرا عن فرعون انه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق اله كل شيء
وربه ومليكه قال فمن ربكما يا موسى الذي بعثك وارسلك من هو فاني لا اعرفه وما علمت
من اله غيري قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
يقول خلق لكل شيء زوجه وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الانسان انسانا والحمار حمارا والشاة

شاة وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد اعطى كل شيء صورته وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد
سوى خلق كل دابة ٥ وقال سعيد بن جبير اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال اعطى كل ذي
خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب
من خلق الشاة واعطى كل ذي شيء ما ينبغي له من النكاح وهيا كل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه
شيئا من فعاله في الخلق والرزق والنكاح ٥ قال بعض المفسرين اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى هو كقوله تعالى الذي قدر فهدى اي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه اي كتب الاعمال
والاجال والارزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر احد على الخروج
منه يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما اراد ٥ قال فما بال
القرون الاولى اصح الاقوال في معنى ذلك ان فرعون لما اخبره موسى بان ربه الذي
ارسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الاولى اي الذين لم يعبدوا الله اي
فما بالهم اذا كان الامر كما تقول لم يعبدوه بل عبدوا غيره فقال له موسى في جواب ذلك وان لم يعبدوه
فان علمهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الاعمال
لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يشذ عليه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا تبارك وتعالى وصف
علمه تعالى بانه بكل شيء محيط وانه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس فان علم المخلوق يعتريه
نقصانان احدهما عدم الاحاطة بالشيء والاخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك

الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا
وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى
كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى ٥

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال الذي جعل لكم الارض مهادا
وفي قراءة بعضهم مهدا اي قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على
ظهرها وسلك لكم فيها سبلا اي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها كما قال تعالى وجعلنا فيها
فجاجا سبلا لعلكم تهتدون وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى اي من الوان
النبات من زروع وثمار من حامض وحلو ومر وسائر الانواع كلوا وارعوا انعامكم اي شيء لطعامكم
وفاكهتكم وشيء لانعامكم لاقواتها خضرا ويبيسا ان في ذلك لايات اي لدلالات وحجج وبراهين

لأولي النهى لذوي العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه ۝ منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى أي من الأرض وفيها نعيدكم أي وإليها تصيرون
إذا متم وبليتم ومنها نخرجكم تارة أخرى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا
وهذه الآية كقوله تعالى قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وفي الحديث الذي في
السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها
في القبر وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال منها نخرجكم تارة أخرى ۝ وقوله
ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات
وعاين ذلك وأبصره فكذب بها وأباها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝

ثم اخرى صح

قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه
نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة
وأن يحشر الناس ضحى ۝

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي إلقاء
عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال
هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك
فإن عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدا أي يوما
نجتمع فيه نحن وأنت فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت
معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ونوروزهم وتفرغهم من
أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة
السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال وأن يحشر الناس ضحى أي ضحوة من النهار
ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم واضح بين ليس فيه خفاء ولا ترويج
ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى ۝ قال ابن عباس وكان يوم عاشوراء ۝ وقال
السدي وقتادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير يوم سوقهم ولا منافاة ۝
قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح ۝ وقال وهب بن منبه
قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أومر بهذا إنما أمرت بمناجزتك
إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن تجعله

اي جميعهم

قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفا
وقال السدي عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستو يبين للناس
ما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى ۝

فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا
تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب
من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى
قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من
أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم
ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ۝

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان
معلومين تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينتسب إلى السحر في ذلك
الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا نافقا جدا كما قال تعالى وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم ثم أتى أي اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون
على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى
عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هارون ووقف السحرة بين يدي فرعون
صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو
يعدهم ويمنيهم يقولون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين فقال
لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا أي لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها
وأنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله فيسحتكم بعذاب أي يهلككم بعقوبة
هلاكا لا بقية له وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم قيل معناه أنهم تشاجروا
فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هو كلام نبي وقائل يقول بل هو ساحر
وقيل غير ذلك والله أعلم ۝ وقوله وأسروا النجوى أي تناجوا فيما بينهم قالوا
إن هذان لساحران هذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ومنهم من قرأ
إن هذين لساحران وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة
الأولى بما ليس هذا موضعه والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم تعلمون أن هذا الرجل وأخاه
يعنون موسى وهارون ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم أن
يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينتصرا عليه

ويخرجاكم من أرضكم وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اي ويستبدا بهذه الطريقة
وهي السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم اموال وارزاق عليها يقولون اذا غلب هذان
اهلكاكم واخرجاكم من الارض وتفردا بذلك وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم وقد تقدم
في حديث الفتون ان ابن عباس قال في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يعني ملكهم الذي هم فيه
والعيش وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا نعيم بن حماد ثنا هشيم عن عبد الرحمن بن اسحق
سمع الشعبي يحدث عن علي في قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال يصرفا وجوه الناس اليهما
وقال مجاهد ويذهبا بطريقتكم المثلى قال اولوا الشرف والعقل والاسنان وقال
ابو صالح بطريقتكم المثلى اشرافكم وسراتكم وقال عكرمة بخيركم وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ
بنو اسرائيل كانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بها لانفسهما
وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى الذي انتم عليه ٥ وقوله فاجمعوا كيدكم
ثم ائتوا صفا اي اجتمعوا كلكم صفا واحدا والقوا ما في ايديكم مرة واحدة لتبهروا الابصار
وتغلبوا هذا واخاه وقد افلح اليوم من استعلى اي منا ومنه اما نحن فقد وعدنا هذا الملك
العطاء الجزيل واما هو فينال الرياسة العظيمة ٥

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال
بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى
فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى ٥

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام انهم قالوا لموسى اما ان
تلقي اي انت اولا واما ان نكون اول من القى قال بل القوا اي انتم اولا لنرى ماذا تصنعون من السحر
وليظهر للناس جلية امرهم فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفي الاية الاخرى
انهم لما القوا قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقال تعالى سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم وقال ههنا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وذلك
انهم اودعوها من الزيبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر انها تسعى
باختيارها وانما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا وجمعا كثيرا فالقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادي
ملآن حيات يركب بعضها بعضا ٥ وقوله فاوجس في نفسه خيفة موسى اي خاف على الناس

ان يفتتنوا بسحرهم ومحالهم قبل ان يلقي ما في يمينه فاوحى الله تعالى اليه في الساعة الراهنة
ان الق ما في يمينك يعني عصاه فاذا هي تلقف ما صنعوا وذلك انها صارت تنينا عظيما هائلا ذا
قوائم وعنق ورأس واضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئا الا تلقفته
وابتلعته والسحرة والناس ينظرون الى ذلك عيانا جهرة نهارا ضحوة فقامت المعجزة واتضح
البرهان ووقع الحق وبطل السحر فلهذا قال انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث
اتى ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا محمد بن موسى الشيباني ثنا حماد بن خالد ثنا ابن
معاذ احسبه الصايغ عن الحسن عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا وجدتم الساحر فاقتلوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث اتى قال لا يؤمن حيث وجد وقد روى اصله الترمذي
موقوفا ومرفوعا فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا
علم اليقين ان هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وانه حق لا مرية فيه ولا يقدر
على هذا الا الذي يقول للشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا امنا برب العالمين
رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير كانوا اول النهار سحرة وفي
اخر النهار شهداء بررة ٥ قال محمد بن كعب كانوا ثمانين الفا ٥ وقال القسم بن ابي بزة
كانوا سبعين الفا وقال السدي بضعة وثلثين الفا ٥ وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع
عن ابي ثمامة كان سحرة فرعون تسعة عشر الفا ٥ وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا
وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي ابو الحسين
ثنا محمد بن علي بن حمزة حدثني علي بن الحسين بن واقد عن ابيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن
ابن عباس قال كانت السحرة سبعين رجلا اصبحوا سحرة وامسوا شهداء ٥ قال ابن ابي
حاتم حدثنا ابي ثنا المسيب بن واضح بمكة ثنا ابن المبارك قال قال الاوزاعي لما خر السحرة سجدا
رفعت لهم الجنة حتى نظروا اليها قال وذكر عن سعيد بن سلام ثنا اسمعيل بن عبد الله بن سليمان
عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قوله والقي السحرة سجدا قال رأوا منازلهم تبنى لهم وهم
في سجودهم ٥ وكذا قال عكرمة والقسم بن ابي بزة ٥

قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض
انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا

يفلح الساحر

وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى ۝

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين
رأى ما رأى من المعجز الباهر والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس
كلهم وغلب كل الغلب شرع في المكابرة والبهت وعدل الى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة
فتهددهم وتوعدهم وقال آمنتم له اى صدقتموه قبل ان اذن لكم اى وما امرتكم بذلك
وافتتم علي في ذلك وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم انه بهت وكذب انه لكبيركم الذي
علمكم السحر اى انتم انما اخذتم السحر عن موسى واتفقتم انتم واياه علي وعلى رعيتي لتظهروه
كما قال في الآية الاخرى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون ثم اخذ يتهددهم فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع
النخل اى لاجعلنكم مثلة ولاشهرنكم قال ابن عباس فكان اول من فعل ذلك
رواه ابن ابي حاتم ۝ وقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى اي انتم تقولون اني
وقومي على ضلالة وانتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب
ويبقى فيه ۝ فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم انفسهم في الله عز وجل
وقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين
والذي فطرنا يحتمل ان يكون قسما ويحتمل ان يكون معطوفا على البينات يعنون لا نختارك على فاطرنا
وخالقنا الذي انشانا من العدم المبدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا انت
فاقض ما انت قاض اي فافعل ما شئت وما وصلت اليه يدك انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما
تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
اى ما كان منا من الآثام خصوصا ما اكرهتنا عليه من السحر لنعارض آية الله ومعجزة نبيه ۝
وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا نعيم بن حماد ثنا سفيان بن عيينة عن ابي سعد عن عكرمة عن
ابن عباس في قوله وما اكرهتنا عليه من السحر قال اخذ فرعون اربعين غلاما من بني اسرائيل
فامر ان يعلموا السحر بالفرما قال علموهم تعليما لا يعلمهم احد في الارض قال ابن عباس فهم
من الذين آمنوا بموسى وهم الذين قالوا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر
وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ۝ وقوله والله خير وابقى اي خير لنا منك وابقى
اي ادوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن اسحق رحمه الله ۝ وقال محمد بن كعب
القرظي والله خير لنا منك ان اطيع وابقى اي منك عذابا ان عصي وروي نحوه عن ابن اسحق ايضا
والظاهر ان فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمهم الله ولهذا قال ابن عباس وغيره

من السلف اصبحوا سحرة وامسوا شهداء ۝

انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم
الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء من تزكى ۝

الظاهر من السياق ان هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحذرونه من
نقمة الله وعذابه الدائم السرمد ويرغبونه في ثوابه الابدي المخلد فقالوا انه من يات ربه
مجرما اي يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى كقوله تعالى
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وقال ويتجنبها الاشقى
الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ونادوا يا مالك ليقض
علينا ربك قال انكم ماكثون ۝ وقال الامام احمد بن حنبل حدثنا اسمعيل ثنا سعيد
ابن يزيد عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار
الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن اناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم اماتة
حتى اذا صاروا فحما اذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على انهار الجنة فيقال يا اهل
الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كان
رسول الله كان بالبادية ۝ وهكذا اخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة
وبشر بن المفضل كلاهما عن ابي مسلمة سعيد بن يزيد ۝ وقال ابن ابي حاتم ذكر عن عبد الوارث
عن عبد الصمد عن عبد الوارث قال حدثنا ابي ثنا حيان سمعت سليمان التيمي عن ابي
نضرة عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فاتى على هذه الآية
انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى قال النبي صلى الله عليه وسلم اما اهلها
الذين هم اهلها فان النار تميتهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فيجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا
يقال له الحياة او الحيوان فينبتون كما ينبت الغثاء في حميل السيل ۝ وقوله
ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات اي ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق
ضميره بقوله وعمله فاولئك لهم الدرجات العاليات والغرف الآمنات والمساكن الطيبات
قال الامام احمد حدثنا عفان انا همام ثنا زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين
السماء والارض والفردوس اعلاها درجة ومنها تخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا

رسول الله فقلوه العذر ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام ٥ وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي انا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه
قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السما والارض
فيهن الياقوت والحلي في كل درجة امير يرون له الفضل والسودد ٥ وفي الصحيحين ان اهل
عليين ليرون من فوقهم كما يرون الكوكب الغابر في افق السما لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبيا قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وفي السنن
وان ابا بكر وعمر لمنهم وانعما ٥ وقوله جنات عدن اي اقامة وهي بدل من الدرجات
العلى خالدين فيها اي ماكثين ابدا وذلك جزا من تزكى اي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك
وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاوا به من خبر وطلب ٥

ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا
في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم
من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى ٥

يقول تعالى مخبرا انه امر موسى عليه السلام حين ابى فرعون ان يرسل معه بني اسرائيل
ان يسري بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة
الكريمة وذلك ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل اصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب
فغضب فرعون غضبا شديدا وارسل في المداين حاشرين اي من يجمعون له الجند من بلدانه
ورساتيقه يقول ان هولا لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون ثم لما جمع جنده واستوسق
له جيشه ساق في طلبهم فاتبعوهم مشرقين اي عند طلوع الشمس فلما تراءى الجمعان نظر كل
من الفريقين الى الآخر قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين ووقف
موسى ببني اسرائيل البحر امامهم وفرعون امامهم ورآهم فعند ذلك اوحى الله اليه ان اضرب
لهم طريقا في البحر يبسا فضرب البحر بعصاه وقال انفلق علي باذن الله فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم اي الجبل العظيم وارسل الله على ارض البحر الريح فلفحته حتى صار يابسا
كوجه الارض ولهذا قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا اي من فرعون
ولا تخشى يعني من البحر ان يغرق قومك ثم قال تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من
اليم اي البحر ما غشيهم اي الذي هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الامر المعروف
المشهور كما قال تعالى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى وقال الشاعر
انا ابو النجم وشعري شعري اي الذي يعرف وهو مشهور وكما تقدمهم فرعون فسلكهم

في

في اليم فاضلهم وما هداهم الى سبيل الرشاد كذلك يقدمهم قومه يوم القيامة فاوردهم النار
وبئس الورد المورود ٥

يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب
الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى

يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل العظام ومننه الجسام حيث نجاهم من عدوهم
فرعون واقر اعينهم منه وهم ينظرون اليه والى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم
احد كما قال واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ٥ وقال البخاري حدثنا يعقوب
ابن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة ثنا شعبة ثنا ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم عاشورا فسالهم فقالوا هذا
اليوم الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون فقال نحن اولى بموسى فصوموه ورواه مسلم
ايضا في صحيحه ثم انه تعالى واعد موسى وبني اسرائيل بعد هلاك فرعون الى جانب
الطور الايمن وهو الذي كلمه تعالى عليه وسال فيه الرؤية واعطاه التوراة وهنالك
وفي غيبته ذلك عبد بنو اسرائيل العجل كما يقصه تعالى قريبا واما المن
والسلوى فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وغيرها فالمن حلوى
كانت تنزل عليهم من السما والسلوى طاير يسقط عليهم فياخذون من كل قدر الحاجة
الى الغد لطفا من الله ورحمة بهم واحسانا اليهم ولهذا قال تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي اي كلوا من هذا الرزق الذي
رزقتكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي في رزقي فتاخذوه من غير حله وتخالفوا
ما امرتكم به فيحل عليكم غضبي اي اغضب عليكم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس اي فقد شقي ٥ وقال شفي بن ماتع ان في
جهنم قصرا يرمى الكافر من اعلاه فيهوي في جهنم اربعين خريفا قبل ان يبلغ الصلصال
وذلك قوله ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى رواه ابن ابي حاتم ٥ وقوله
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا اي كل من تاب الي تبت عليه من اي ذنب كان
حتى انه تاب تعالى على من عبد العجل من بني اسرائيل وقوله تاب اي رجع
عما كان فيه من كفر او شرك او نفاق او معصية وقوله وآمن اي قلبه وعمل صالحا

اي بجواره ٥ وقوله ثم اهتدى قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس اي ثم لم يشكك
وقال سعيد بن جبير ثم اهتدى اي استقام على السنة والجماعة وروي نحوه عن مجاهد والضحاك
وغير واحد من السلف وقال قتادة ثم اهتدى اي لزم الاسلام حتى يموت وقال سفيان الثوري
ثم اهتدى اي علم ان لهذا ثوابا وثم ها هنا لترتيب الخبر على الخبر كقوله ثم كان من الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ٥ وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء
على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها
فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار
فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون ان لا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ٥

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون واتوا على قوم يعكفون على
اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر
ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وواعده ربه ثلثين ليلة ثم اتبعها له عشرا فتمت اربعين ليلة
اي يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام
مبادرا الى الطور واستخلف على بني اسرائيل اخاه هرون ولهذا قال تعالى وما اعجلك
عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري اي قادمون ينزلون قريبا من الطور وعجلت
اليك رب لترضى اي لتزداد عني رضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري
اخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني اسرائيل وعبادتهم العجل
الذي عمله لهم ذلك السامري وفي الكتب الاسرائيلية انه كان اسمه هرون ايضا وكتب
الله تعالى له في هذه المدة الالواح المتضمنة للتوراة كما قال وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين اي عاقبة
الخارجين عن طاعتي المخالفين لامري ٥ وقوله فرجع موسى الى قومه غضبان
اسفا اي بعد ما اخبره الله تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم هو فيما هو فيه

من

من الاعتناء بامرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرفهم وهم قوم قد عبدوا غير الله
ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم واذهانهم ولهذا رجع اليهم غضبان
اسفا والاسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان اسفا اي جزعا وقال قتادة والسدي
اسفا اي حزينا على ما صنع قومه من بعده قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اما
وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والاخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته اياكم
على عدوكم واظهاركم عليه وغير ذلك من ايادي الله عندكم افطال عليكم العهد اي في انتظار
ما وعدكم الله به ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم ام ها هنا بمعنى بل اي بل اردتم بصنيعكم هذا ان يحل عليكم غضب من ربكم
فاخلفتم موعدي قالوا اي بنو اسرائيل في جواب ما انبهم موسى وقرعهم ما اخلفنا موعدك
بملكنا اي بقدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم
عما كان بايديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقذفناها
اي القيناها عنا وقد تقدم في حديث الفتون ان هرون عليه السلام هو الذي امرهم بالقاء
الحلي في حفرة فيها نار وهي في رواية السدي عن ابي مالك عن ابن عباس انما اراد هرون
ان يجتمع الحلي كله في تلك الحفرة ويجعل حجرا واحدا حتى اذا رجع موسى عليه السلام راى
فيه ما يشاء ثم جاء السامري فالقى عليها تلك القبضة التي اخذها من اثر الرسول وسال هرون ان يدعو
الله ان يستجيب له في دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم ما يريد فاجيب فيه فقال السامري
عند ذلك اسال الله ان يكون عجلا له خوار اي صوت استدراجا وامهالا ومحنة واختبارا
ولهذا قالوا فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار ٥ وقال ابن ابي حاتم
حدثنا محمد بن عبادة بن البختري حدثنا يزيد بن هرون انا حماد عن سماك عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال
اصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم اعطه ما سال على ما في نفسه ومضى هرون
وقال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار فكان اذا خار سجدوا له واذا خار رفعوا
رؤوسهم ٥ ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال اعمل ما ينفع ولا يضر وقال السدي
كان يخور ويمشي فقالوا اي الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه هذا الهكم واله موسى
فنسي اي نسيه ها هنا وذهب يتطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد
وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنسي اي نسي ان يذكركم ان هذا الهكم وقال محمد
بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقالوا هذا الهكم واله

موسى قال فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوه شيئا قط يعني مثله يقول الله فنسي اي ترك
ما كان عليه من الاسلام يعني السامري قال الله تعالى ردا عليه وتقريعا لهم وبيانا
لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا اليه افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا
نفعا اي العجل افلا يرون انه لا يجيبهم اذا سالوه ولا اذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
اي في دنياهم ولا اخراهم قال ابن عباس رضي الله عنه لا والله ما كان خواره الا ان يدخل
الريح في دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت وقد تقدم في متن الحديث عن الحسن
البصري ان هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هولاء الجهلة انهم تورعوا عن زينة
القبط فالقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الامر الكبير كما جاء
في الحديث الصحيح عن ابن عمر انه ساله رجل من اهل العراق عن دم البعوض
اذا اصاب الثوب يعني هل يصلي فيه ام لا فقال ابن عمر رضي الله عنه انظروا الى اهل
العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الحسين وهم يسالون عن دم
البعوض ۝ ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى
يخبر تعالى عما كان من نهي هرون عليه السلام لهم عن عبادة العجل واخباره اياهم
انما هذا فتنة لكم وان ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ذو العرش المجيد
الفعال لما يريد فاتبعوني اي فيما امركم به واتركوا ما انهاكم قالوا لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى اي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون
في ذلك وحاربوه وكادوا ان يقتلوه ۝
قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت
امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي ۝
يقول مخبرا عن موسى عليه السلام حين رجع الى قومه فراى ما قد حدث فيهم
من الامر العظيم فامتلا عند ذلك غضبا والقى ما كان في يده من الالواح الالهية واخذ براس
اخيه يجره اليه وقد قدمنا في الاعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس الخبر
كالمعاينة وشرع يلوم اخاه هرون فقال ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن اي تخبرني
بهذا الامر في اول ما وقع افعصيت امري اي فيما كنت تقدمت اليك وهو قوله اخلفني في

قومي

قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن ام ترفق لهم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرايل ولم ترقب قولي هذا اعتذار من هرون عند موسى في سبب
تاخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال اني خشيت ان اتبعك فاخبرك
بهذا فيقول لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولي اي وما راعيت ما امرتك به
حيث استخلفتك فيهم قال ابن عباس وكان هايبا له مطيعا ۝
قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به
فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك
سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان
تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في
اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما
يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك
حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان السامري رجلا من اهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة
البقر في نفسه وكان قد اظهر الاسلام مع بني اسرايل وفي نفسه وكان اسم السامري
موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس انه كان من كرمان وقال قتادة كان من
قرية اسمها سامرا قال بصرت بما لم يبصروا به اي رايت جبريل حين جاء لهلاك فرعون
فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من اثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين او
اكثرهم ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث انا عبيد الله بن موسى انا
اسرايل عن السدي عن ابي بن عمارة عن علي رضي الله عنه قال ان جبريل عليه السلام لما نزل
فصعد بموسى الى السماء بصر به السامري من بين الناس فقبض قبضة من اثر الفرس
قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى اذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الالواح
وهو يسمع صرير الاقلام في الالواح فلما اخبره ان قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى
فاخذ العجل فاحرقه ۝ غريب ۝ وقال مجاهد فقبضت قبضة من اثر الرسول
قال من تحت حافر فرس جبريل قال والقبضة ملء الكف والقبصة باطراف الاصابع قال مجاهد
نبذ السامري اي القى ما كان في يده على حلية بني اسرايل فانسبك عجلا جسدا له خوار حفيف
الريح فيه فهو خواره ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن يحيى انا علي بن المديني

ابن ابي نجيح عن مجاهد وعن عكرمة ان السامري راى الرسول فالقي في روعه انك ان اخذت
من اثر هذا الفرس قبضة فالقيتها في شي فقلت له كن فكان فقبض قبضة من اثر الرسول
فيبست اصابعه على القبضة فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو اسرائيل استعاروا
حلي آل فرعون فقال لهم السامري انما اصابكم من اجل هذا الحلي فاجمعوه فجمعوه فاوقدوا
عليه فذاب فرآه السامري فالقي في روعه انك لو قذفت هذه القبضة فقلت كن فكان
فقذف القبضة وقال كن فكان عجلا له خوار فقال هذا الهكم واله موسى ولهذا قال
فنبذتها اي القيتها مع من القى وكذلك سولت لي نفسي اي حسنته واعجبها اذ ذاك قال فاذهب
فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا تماس الناس ولا يمسونك وان لك موعدا
اي يوم القيامة لن تخلفه اي لا محيد لك عنه قال قتادة ان تقول لا مساس قال عقوبة
لهم وبقاياهم اليوم لا مساس وقوله وان لك موعدا لن تخلفه قال الحسن وقتادة وابو نهيك
لن تغيب عنه وقوله وانظر الى الهك الذي اي معبودك الذي ظلت عليه عاكفا
اي اقمت على عبادته يعني العجل لنحرقنه قال الضحاك عن ابن عباس والسدي سحله بالمبارد
والقاه على النار وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم القى رماده
في البحر ولهذا قال ثم لننسفنه في اليم نسفا ه وقال ابن ابي حاتم حدثنا
ابي ثنا عبد الله بن رجا انا اسرائيل عن ابي اسحق عن عمارة بن عبد وابي عبد الرحمن
عن علي رضي الله عنه قال ان موسى لما تعجل الى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي
بني اسرائيل ثم صوره عجلا قال فعمد موسى الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها
وهو على شط نهر فلم يشرب احد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب
فقالوا لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا ه وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير
سورة البقرة وفي حديث الفتون بسط ذلك ه وقوله انما الهكم الله الذي
لا اله الا هو وسع كل شيء علما يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا الهكم انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو اي لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا تنبغي العبادة الا له فان كل شيء فقير
اليه عبد له ه وقوله وسع كل شيء علما نصب على التمييز اي هو عالم بكل شيء احاط
بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين والآيات في هذا كثيرة جدا

كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا

من

من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين
فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ه

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع
فرعون وجنوده على الجلية والامر الواقع كذلك نقص عليك الاخبار الماضية كما وقعت
من غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك من لدنا اي من عندنا وهو القرآن العظيم
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبي من الانبيا
منذ بعثوا الى ان ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كتابا مثله ولا اكمل منه ولا اجمع لخبر ما
ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ولهذا قال تعالى من اعرض عنه اي
كذب به واعرض عن اتباعه امرا وطلبا وابتغى الهدى في غيره فان الله يضله ويهديه
الى سواء الجحيم ولهذا قال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي اثما كما قال
تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وهذا عام في كل من بلغه القرآن
من العرب والعجم اهل الكتاب وغيرهم كما قال لانذركم به ومن بلغ فكل من بلغه القرآن
فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدي ومن خالفه واعرض عنه ضل وشقي في الدنيا
والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين
فيه وساء لهم يوم القيامة حملا اي وبئس الحمل حملهم ه

يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون
اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ه

ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن
ينفخ فيه وقد جاء في حديث الصور من رواية ابي هريرة انه قرن عظيم الدارة منه
بقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث كيف انعم وصاحب
القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر ان يؤذن له فقالوا يا رسول الله كيف نقول
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ه وقوله ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاهوال يتخافتون
بينهم قال ابن عباس يتسارون بينهم اي يقول بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشرا اي في
الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة ايام او نحوها قال تعالى نحن اعلم بما يقولون
اي في حال تناجيهم بينهم اذ يقول امثلهم طريقة اي العاقل الكامل فيهم ان لبثتم الا يوما

اي لقصر ما لبثوا مدة الدنيا في انفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت اوقاتها
وتعاقبت لياليها وايامها وساعاتها فانها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة
الدنيا يوم القيامه وكان غرضهم في ذلك درء قيام الحجه عليهم لقصر المدة ولهذا قال
تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم
البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير وقال تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون اي انما
لبثتم فيها قليلا لو انكم كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم فاسأتم التصرف
قدمتم الحاضر الفاني على الدائم الباقي ۝

ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون
الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا ۝ يقول تعالى ويسئلونك عن الجبال

اي هل تبقى يوم القيامه او تزول فقل ينسفها ربي نسفا اي يذهبها عن اماكنها ويمحقها
ويسيرها تسييرا فيذرها اي الارض قاعا صفصفا اي بسطا واحدا والقاع هو المستوي من
الارض والصفصف تاكيد لمعنى ذلك وقيل الذي لا نبات فيه والاول اولى وان
كان الآخر مرادا ايضا باللازم ولهذا قال لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا ترى في الارض
يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذلك قال ابن عباس وعكرمه
ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتاده وغير واحد من السلف يومئذ يتبعون
الداعي لا عوج له اي يوم يرون هذه الاحوال والاهوال يستجيبون مسارعين
الى الداعي حيث امروا بادروا اليه ولو كان هذا في الدنيا لكان انفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم
كما قال تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقال مهطعين الى الداعي يقول الكافرون
هذا يوم عسر قال محمد بن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامه في ظلمه
ويطوي السماء وتتناثر النجوم ويذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت
ياتونه فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له لا يميلون عنه ۝
وقال ابو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله وخشعت الاصوات للرحمن
قال

قال ابن عباس يعني وطي الاقدام وكذا قال عكرمه ومجاهد والضحاك والربيع بن انس وقتاده
وابن زيد وغيرهم قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا الصوت الخفي وهو روايه
عن عكرمه والضحاك وقال سعيد بن جبير فلا تسمع الا همسا الحديث وسره ووطي الاقدام
فقد جمع سعيد بين كلا القولين وهو محتمل اما وطي الاقدام فالمراد سعي الناس الى المحشر وهو مشيهم
في سكون وخضوع واما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال وقد قال تعالى يوم ياتي
لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ۝

يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له
قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما

يقول تعالى يومئذ اي يوم القيامه لا تنفع الشفاعة اي عنده الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله وكم من ملك في السماوات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون الا
لمن ارتضى وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقال يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم واكرم الخلائق على الله عز وجل انه قال اتي تحت العرش
واخر لله ساجدا ويفتح علي بمحامد لا احصيها الآن فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول يا محمد
ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فادخلهم الجنه ثم اعود فذكر اربع مرات
صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر انبياء الله وفي الحديث ايضا يقول الله تعالى اخرجوا
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اخرجوا من النار
من كان في قلبه نصف مثقال من ايمان اخرجوا من النار من كان في قلبه ما يزن ذرة من كان في
قلبه ادنى ادنى مثقال ذرة من ايمان الحديث وقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي يحيط علما بالخلائق كلهم ولا يحيطون به علما كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
وقوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت
واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو على كل شيء بدنه ويحفظ
فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير اليه لا قوام له الا به وقوله وقد خاب من حمل
ظلما اي يوم القيامه فان الله سيؤدي كل حق الى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء

وفي الحديث يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ظالم وفي الحديث اياكم والظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة لمن لقي الله وهو مشرك به فان الله تعالى يقول
ان الشرك لظلم عظيم ۝ وقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا
هضما لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو انهم لا يظلمون ولا يهضمون اي لا يزاد
في سيئاتهم ولا ينتقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير
واحد فالظلم الزيادة بان يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص ۝

وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما

يقول ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة انزلنا القرآن بشيرا
ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون اي
يتركون المآثم والمحارم والفواحش او يحدث لهم ذكرا وهو ايجاد الطاعة وفعل القربات
فتعالى الله الملك الحق اي تنزه الملك الحق الذي هو حق ووعده حق ووعيده حق ورسله حق
والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى الله ان يعذب احدا قبل الانذار
وبعثه الرسل والاعذار الى خلقه لئلا يبقى لاحد حجة ولا شبهة ۝ وقوله ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كقوله تعالى في سورة لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك
به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه
وثبت في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج
من الوحي شدة فكان مما يحرك لسانه فانزل الله هذه الآية يعني انه عليه السلام كان اذا جاءه
جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فارشده
الله تعالى الى ما هو الاسهل والاخف في حقه لئلا يشق عليه فقال لا تحرك به لسانك لتعجل
به ان علينا جمعه وقرآنه اي ان نجمعه في صدرك ثم تقرأه على الناس من غير ان تنسى منه شيئا
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وقال في هذه الآية ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما اي بل انصت فاذا فرغ الملك عليك قراءته عليك
فاقرأه بعده وقل رب زدني علما اي زدني منك علما قال ابن عيينة رحمه الله ولم
يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث ان الله تابع
الوحي على رسوله حتى كان الوحي اكثر ما كان يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ وقال

ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد
ابن ثابت عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني
وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال ۝ واخرجه الترمذي عن ابي كريب عن
عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه ۝ ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس
عن ابي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في آخره واعوذ بالله من حال اهل النار ۝

ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا
آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم
ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ۝

قال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا اسباط بن محمد حدثنا الاعمش عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال انما سمي الانسان لانه عهد اليه فنسي وكذا رواه علي بن ابي طلحة عنه ۝
وقال مجاهد والحسن ترك ۝ وقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يذكر تعالى تشريف
آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا وقد تقدم الكلام على هذه القصة
في سورة البقرة وفي الاعراف وفي الحجر والكهف وسيأتي في آخر سورة ص يذكر
فيها تعالى خلق آدم وامره الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما ويبين عداوة ابليس لبني آدم ولابيهم
قديما ولهذا قال تعالى فسجدوا الا ابليس ابى اي امتنع واستكبر فقلنا يا آدم ان هذا عدو
لك ولزوجك يعني حواء عليهما السلام فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اي اياك ان تسعى في اخراجك
منها فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك فانك هاهنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة
ولا مشقة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى انما قرن بين الجوع والعري لان الجوع ذل الباطن
والعري ذل الظاهر وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وهذان ايضا متقابلان فالظمأ حر الباطن
وهو العطش والضحى حر الظاهر ۝ وقوله فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى قد تقدم انه دلاهما بغرور وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وقد
تقدم الله تعالى الى آدم وزوجه ان يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة

فلم يزل بهما ابليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني التي من أكل منها خلد ودام مكثه وقد
جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن ابي الضحاك
سمعت ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام لا يقطعها وهي شجرة الخلد ورواه الامام أحمد ۝ وقوله فأكلا منها فبدت
لهما سوآتهما قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ابن اشكاب ثنا علي بن عاصم عن سعيد بن
ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه
لباسه فاول ما بدا منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شعره
شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحيا
ارأيت ان تبت ورجعت اعايدي الى الجنة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه ۝ وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر ايضا
وقوله فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال مجاهد يرقعان كهيئة الثوب
وكذا قال قتادة والسدي ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا جعفر بن عون ثنا
سفيان عن ابن ابي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة قال ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوآتهما ۝ وقوله وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ۝ قال البخاري حدثنا قتيبة ثنا ايوب
ابن النجار عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حاج
موسى آدم فقال له انت الذي اخرجت الناس من الجنة بذنبك واشقيتهم قال آدم يا موسى انت
الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل ان يخلقني او
قدره علي قبل ان يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ۝ وهذا الحديث
له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا يونس
ابن عبد الاعلى انا ابن وهب اخبرني انس بن عياض عن الحارث بن ابي ذباب عن يزيد بن هرمز
قال سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى
قال موسى انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في
جنته ثم اهبطت الناس الى الارض بخطيئتك قال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته
وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة
قال باربعين عاما قال افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝

قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم
مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ۝

يقول تعالى لآدم وحوا وابليس اهبطوا منها جميعا اي من الجنة كلكم وقد قدمنا
بسط ذلك في سورة البقرة بعضكم لبعض عدو قال آدم وذريته وابليس وذريته
وقوله فاما يأتينكم مني هدى قال ابو العالية الانبيا والرسل والبيان فمن اتبع
هداي فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا اي في الدنيا فلا طمانينة له ولا انشراح
لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وان تنعم ظاهره ولبس ما شاء واكل ما شاء وسكن
حيث شاء فان قلبه ما لم يخلص الى اليقين والهدى في قلق وحيرة وشك فلا يزال في
ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فان له معيشة
ضنكا قال كل مال اعطيته عبدا من عبادي قل او كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو
الضنك في المعيشة ويقال ايضا ان قوما ضلالا اعرضوا عن الحق وكانوا في سعة
من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس
مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء
الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك ۝ وقال الضحاك هو العمل
السيء والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار ۝ وقال سفيان بن عيينة عن ابي حازم
عن ابي سلمة عن ابي سعيد في قوله معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف
اضلاعه فيه قال ابو حاتم الرازي النعمان بن ابي عياش يكنى ابا سلمة وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابو زرعة ثنا صفوان ثنا الوليد ثنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن ابن الهيثم عن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله فان له معيشة ضنكا قال ضمة القبر الموقوف
اصح وقال ابن ابي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان ثنا اسد بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج
ابو السمح عن ابن حجيرة اسمه عبد الرحمن عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن في

قبره في روضة خضرا ويرحب له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر
اتدرون فيما انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله
ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون
تنينا اتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس ينفخون في جسمه
ويلسعونه ويخدشونه الى يوم يبعثون ٥ رفعه منكر جدا ٥ وقال البزار حدثنا محمد بن يحيى
الازدي ثنا محمد بن عمرو ثنا هشام بن سعد عن سعيد بن ابي هلال عن ابن حجيرة عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال المعيشة الضنك الذي قال الله
تعالى انه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة ٥ وقال ايضا
حدثنا ابو زرعة ثنا ابو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر اسناد جيد ٥ وقوله
ونحشره يوم القيامة اعمى قال مجاهد وابو صالح والسدي لا حجة له وقال عكرمة عمي عليه
كل شيء الا جهنم ويحتمل ان يكون المراد ان يبعث او يحشر الى النار اعمى البصر والبصيرة
ايضا كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم
كلما خبت زدناهم سعيرا ولهذا يقول رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي لما اعرضت عن ايات الله وعاملتها
معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها واعرضت عنها واغفلتها كذلك نعاملك اليوم
معاملة من ينساك فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فان الجزاء من جنس العمل فاما
نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وان
كان متوعدا عليه من جهة اخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الاكيد والوعيد الشديد
في ذلك قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن يزيد بن ابي زياد
عن عيسى بن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من رجل قرأ القرآن فنسيه الا لقي الله يوم يلقاه وهو اجذم ٥ ثم رواه الامام احمد
من حديث يزيد بن ابي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر مثله سوا ٥

وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه
ولعذاب الآخرة اشد وابقى ٥

يقول تعالى وهكذا نجازي المسرفين المكذبين بايات الله في الدنيا والآخرة لهم عذاب في

الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق ولهذا قال ولعذاب الآخرة اشد
وما لهم من الله من واق وابقى اي اشد الما من عذاب الدنيا وادوم عليهم فهم مخلدون
فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة ٥

افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في
مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى

يقول تعالى افلم يهد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به يا محمد كم اهلكنا من الامم المكذبين بالرسل
قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا اثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم
فيها يمشون فيها ان في ذلك لآيات لاولي النهى اي العقول الصحيحة والالباب المستقيمة كما
قال تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال في سورة الم السجدة اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما واجل مسمى اي لولا الكلمة السابقة من الله وهو انه لا يعذب احدا الا بعد
قيام الحجة عليه والاجل المسمى الذي ضربه تعالى لهؤلاء المكذبين الى مدة معينة لجاءهم العذاب
بغتة ولهذا قال لنبيه مسليا له فاصبر على ما يقولون اي من تكذيبهم لك وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير
ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر
ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم
ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ هذه الآية ٥ وقال
حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رويبة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ٥ رواه مسلم من حديث
عبد الملك بن عمير به ٥ وفي المسند والسنن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الفي سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وان اعلاهم
منزلة لمن ينظر الى الله في اليوم مرتين ٥ وقوله ومن اناء الليل فسبح اي من ساعاته
فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء واطراف النهار في مقابلة اناء الليل لعلك ترضى

كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيح يقول الله تعالى يا اهل الجنة فيقولون
لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول اني اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل من ذلك فيقول احل
عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وفي الحديث الاخر يقال يا اهل الجنة ان
لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون وما هو الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا
ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم خيرا من
النظر اليه وهي الزيادة ٥

ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى
وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن
نرزقك والعاقبة للتقوى ٥

يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه لا تنظر الى ما هولاء المترفون
واشباههم ونظراوهم فيه من النعيم فانما هو زهرة زايلة ونعمة حايلة لنختبرهم بذلك وقليل من
عبادي الشكور وقال مجاهد ازواجا منهم يعني الاغنيا فقد اتاك خيرا مما اتاهم كما قال في الاية
الاخرى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
وكذلك ما ادخره تعالى لرسوله في الدار الاخرة امر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى ولهذا قال تعالى ورزق ربك خير وابقى ٥ وفي الصحيح ان عمر بن
الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساه
حين الى منهن فراه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت الا صبرة من قرظ
واهبة معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال
يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت صفوة الله من خلقه فقال اوفي شك انت
يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فكان صلوات الله عليه وسلامه
ازهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها اذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر
لنفسه شيا لغد ٥ وقال ابن ابي حاتم اخبرنا يونس اخبرني ابن وهب اخبرني
مالك عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اخوف ما اخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول
الله قال بركات الارض ٥ وقال قتادة والسدي زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة

الدنيا ٥ وقال قتادة لنفتنهم فيه لنبتليهم ٥ وقوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
اي انقذهم من عذاب الله باقام الصلاة واصطبر انت على فعلها كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن صالح ثنا ابن وهب
اخبرني هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب كان يبيت عنده انا ويرفا
وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فربما لم يقم فنقول لا يقوم الليلة كما كان يقوم وكان اذا
استيقظ اقام يعني اهله وقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ٥ وقوله لا نسالك رزقا
نحن نرزقك اي اذا اقمت الصلاة اتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ولهذا قال لا نسالك
رزقا نحن نرزقك ٥ قال الثوري لا نسالك رزقا اي لا نكلفك الطلب وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابو سعيد الاشج ثنا حفص بن غياث عن هشام عن ابيه انه كان اذا دخل على اهل
الدنيا فراى من دنياهم طرفا فاذا رجع الى اهله فدخل الدار قرا ولا تمدن عينيك الى قوله
نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله ٥ قال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا ابي
ثنا عبد الله بن ابي زياد القطواني ثنا سيار ثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اصابه خصاصة نادى اهله يا اهلاه صلوا صلوا ٥ قال ثابت وكانت الانبيا اذا نزل بهم امر فزعوا
الى الصلاة ٥ وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زايدة عن ابيه عن
ابي خالد الوالبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا ابن ادم تفرغ لعبادتي
املا صدرك غنا واسد فقرك وان لم تفعل ملات صدرك شغلا ولم اسد فقرك ٥ وروى ابن
ماجه من حديث الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل
الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله في اي
اوديته هلك ٥ وروى ايضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن ابان
عن ابيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله
عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة نيته جمع
له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ٥ والعاقبة للتقوى اي وحسن العاقبة
في الدنيا والاخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت الليلة
كانا في دار عقبة بن رافع وانا اتينا برطب من رطب ابن طاب فاولت ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والرفعة
وان ديننا قد طاب ٥
وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف

الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي ومن اهتدى ٥

يقول تعالى مخبرا عن الكفار في قولهم لولا اي هلا ياتينا محمد باية من ربه اي بعلامة دالة على صدقه في انه رسول الله قال الله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى يعني القرآن العظيم الذي انزله الله عليه وهو امي لا يحسن الكتابة ولم يدارس اهل الكتاب وقد جا فيه اخبار الاولين بما كان منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيح منها فان القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح ويبين خطا المكذوب فيها وعليها وهذه الاية كقوله تعالى في سورة العنكبوت وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة وانما ذكر ها هنا اعظم الايات التي اعطيها عليه السلام وهو القرآن وله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه ثم قال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اي لو انا اهلكنا هؤلاء المكذبين قبل ان نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا قبل ان تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى يبين تعالى ان هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون وقال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ثم قال تعالى قل يا محمد

لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده كل متربص اي منا ومنكم فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي اي الطريق المستقيم ومن اهتدى الى سبيل الرشاد وهذا كقوله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقال سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ٥ آخر تفسير سورة طه ويتلوه ذلك تفسير سورة الانبيا

تفسير سورة الانبيا عليهم السلام وهي مكية

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبيا هن من العتاق الاول وهن من تلادي ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا
الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون قال
ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم
بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر [فلياتنا باية صح] كما
ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون ٥

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وان الناس في غفلة منها اي لا يعملون لها ولا يستعدون من اجلها ٥ وقال النسائي حدثنا احمد بن نصر ثنا هشام بن عبد الملك ابو الوليد الطيالسي ثنا ابو معوية ثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة معرضون قال في الدنيا ٥ وقال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ٥ وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني ابي نواس الشاعر انه قال اشعر الناس الشيخ الطاهر ابو العتاهية حيث يقول

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن ٥

فقيل له من اين اخذ هذا قال من قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ٥ وروي في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عامر بن ربيعة انه نزل به رجل من العرب فاكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجاء الرجل فقال إني استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا ما في العرب واد أفضل
منه وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة
لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ثم أخبر تعالى أنهم لا يصغون إلى الوحي الذي أنزله الله عز وجل على رسوله والخطاب
مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أي جديد إنزاله
إلا استمعوه وهم يلعبون كما قال ابن عباس ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد
حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرؤونه محضا
لم يشب رواه البخاري بنحوه ۵ وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أي قائلين فيما بينهم خفية
هل هذا إلا بشر مثلكم يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستبعدون كونه نبيا لأنه بشر
مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قالوا أفتأتون السحر وأنتم تبصرون أي أفتتبعونه فتكونون
كمن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب
قل ربي يعلم القول في السماء والأرض أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي
أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله
إلا الذي يعلم السر في السماوات والأرض ۵ وقوله وهو السميع العليم
لأقوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعيد وقوله بل قالوا
أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر هذا إخبار عما تعنت به الكفار وإلحادهم واختلافهم
فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا وتارة يجعلونه
شعرا وتارة يجعلونه أضغاث أحلام وتارة يجعلونه مفترى كما قال انظر كيف ضربوا
لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقوله فليأتنا بآية كما أرسل
الأولون يعنون كناقة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله تعالى وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات
إلا تخويفا ولهذا قال تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون أي ما أتينا
قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم
بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك كلا بل إن الذين حقت عليهم
كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم هذا كله وقد شاهدوا
من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه

عليهم

عليهم أجمعين قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زهير بن عباد ثنا ابن لهيعة ثنا الحارث
ابن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول كنا في
المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرئ بعضنا بعضا القرآن فجاء عبد الله بن أبي بن
سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع واتكأ وكان صبيحا فصيحا جدلا فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتينا
بآية كما جاء الأولون جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور وصالح بالناقة وجاء عيسى بالإنجيل
وبالمائدة فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قوموا بنا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نستغيث به من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنه لا يقام لي إنما يقام لله عز وجل فقلنا يا رسول الله إنا لقينا من هذا المنافق فقال إن جبريل
قال لي اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها فبشرني أنه بعثني
إلى الأحمر والأسود وأمرني أن أنذر الجن وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر
وذكر اسمي في الأذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعل الرعب أمامي وآتاني الكوثر وجعل
حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة ووعدني المقام المحمود والناس مهطعين مقنعي رؤوسهم
وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب
وآتاني السلطان والملك وجعلني في أعلا غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقي أحد
إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا هذا حديث غريب جدا

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل
الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم
ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ۵

يقول تعالى رادا على من أنكر بعثة الرسل من البشر وما أرسلنا قبلك إلا رجالا
نوحي إليهم أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن منهم أحد من الملائكة
كما قال في الآية الأخرى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى وقال تعالى
قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري وقوله تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا
ذلك فقالوا أبشر يهدوننا ولهذا قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون أي سلوا
أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أو ملائكة
إنما كانوا بشرا وذلك من تمام نعم الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول
البلاغ منهم والأخذ عنهم ۵ وقوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي بل قد كانوا

اجسادا ياكلون الطعام كما قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق اي قد كانوا بشرا من البشر ياكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون
الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضاير لهم ولا ناقص منهم كما توهمه المشركون
في قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ناكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
وقوله وما كانوا خالدين اي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد وخاصتهم انهم يوحى اليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملايكة عن الله بما
يحكمه في خلقه مما يامر به وينهى عنه وقوله ثم صدقناهم الوعد اي الذي وعدهم
ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده ففعل ذلك ولهذا قال فانجيناهم ومن نشا
واهلكنا المسرفين اي المكذبين بما جات الرسل به ٥

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم
قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما
آخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا
وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون
قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم
حتى جعلناهم حصيدا خامدين ٥

يقول تعالى منبها على شرف القرآن ومحرضا لهم على معرفة قدره لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم
افلا تعقلون اي هذه النعمة وتتلقوها بالقبول كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف
تسالون ٥ وقوله وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة هذه صيغة تكثير كما
قال وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وقال تعالى وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة
فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد وقوله وانشانا بعدها
قوما آخرين اي امة اخرى بعدهم فلما احسوا باسنا اي تيقنوا ان العذاب واقع بهم
كما وعدهم نبيهم اذا هم منها يركضون اي يفرون هاربين لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه
من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة قال قتادة استهزا بهم لعلكم تسالون
اي عما كنتم فيه من اداء شكر النعم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم
ذلك فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي فما زالت تلك المقالة
هي

وهي الاعتراف بالظلم هجيراهم حتى حصدناهم حصدا وخمدت حركاتهم واصواتهم خمودا ٥

وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا
ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل
مما تصفون وله من في السماوات والارض ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ٥

يخبر تعالى انه خلق السماوات والارض بالحق اي بالعدل والقسط ليجزي الذين
اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وانه لا يخلق ذلك عبثا ولا لعبا كما قال وما
خلقنا السماوات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال ابن ابي نجيح
عن مجاهد لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا يعني من عندنا يقول وما خلقنا جنة ولا
نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقال الحسن وقتادة وغيرهما لو اردنا ان نتخذ لهوا اللهو المراة
بلسان اهل اليمن وقال ابراهيم النخعي لاتخذناه من الحور العين ٥ وقال عكرمة
والسدي المراد باللهو هاهنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان وهو كقوله تعالى لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا سبحانه هو الله الواحد القهار فنزه نفسه عن
اتخاذ الولد مطلقا لا سيما عما يقولون من الافك والباطل من اتخاذ عيسى او العزير
او الملايكة سبحان الله عما يقولون علوا كبيرا ٥ وقوله ان كنا فاعلين قال
قتادة والسدي وابراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم اي ما كنا فاعلين ٥ وقال مجاهد
كل شي في القرآن ان فهو انكار ٥ وقوله بل نقذف بالحق على الباطل اي نبين
الحق فيدحض الباطل ولهذا قال فيدمغه فاذا هو زاهق اي ذاهب مضمحل ولكم
الويل اي ايها القايلون لله ولد مما تصفون اي تقولون وتفترون ثم اخبر تعالى عن عبودية
الملايكة له ودوبهم في طاعته ليلا ونهارا فقال وله من في السماوات والارض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته اي لا يستنكفون عنها كما قال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقوله
ولا يستحسرون اي لا يتعبون ولا يملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم دايبون
في العمل ليلا ونهارا مطيعون قصدا وعملا قادرون عليه كما قال لا يعصون الله ما امرهم

ويفعلون ما يؤمرون وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن ابي دلامة البغدادي ثنا
عبد الوهاب بن عطاء ثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه اذ قال لهم هل تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع
من شي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع
شبر الا وعليه ملك ساجد او قايم ٥ غريب ولم يخرجوه ٥ ثم رواه يعني ابن ابي حاتم
من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة مرسلا ٥ وقال محمد بن اسحق عن
حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال جلست الى كعب الاحبار وانا
غلام فقلت له ارايت قول الله للملايكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون اما يشغلهم
عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل فقال من هذا الغلام فقالوا من بني عبد المطلب
قال فقبل راسي ثم قال يا بني انه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس اليس تتكلم وانت تتنفس
وانت تمشي وانت تتنفس ٥

ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون
لا يسال عما يفعل وهم يسالون ٥

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه الهة فقال بل اتخذوا الهة من الارض هم
ينشرون اي اهم يحيون الموتى وينشرونهم من الارض اي لا يقدرون على شي من ذلك
فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه ثم اخبر تعالى انه لو كان في الوجود الهة غيره لفسدت
السماوات والارض فقال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا كقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون وقال ها هنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي عما يقولون
ان له ولدا او شريكا سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويافكون علوا
كبيرا ٥ وقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون اي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه
ولا يعترض احد عليه لعظمته وجلاله وكبريايه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه وهم يسالون
اي وهو سايل خلقه عما يعملون كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وهذا
كقوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه ٥

ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر
من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون

دبا

وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ٥

يقول تعالى بل اتخذوا من دونه الهة قل يا محمد هاتوا برهانكم اي دليلكم على ما
تقولون هذا ذكر من معي يعني القران وذكر من قبلي يعني الكتب المتقدمة على خلاف
ما تقولون وتزعمون فكل كتاب انزل على كل نبي ارسل ناطق بانه لا اله الا الله ولكن انتم
ايها المشركون لا تعلمون الحق فانتم معرضون عنه ولهذا قال وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كما قال واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت فكل نبي بعثه الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة
شاهدة بذلك ايضا والمشركون لا برهان لهم وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ٥

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين

يقول تعالى ردا على من زعم ان له تعالى وتقدس ولدا من الملايكة كمن قال ذلك من العرب
ان الملايكة بنات الله فقال سبحانه بل عباد مكرمون اي الملايكة عباد الله مكرمون عنده
في منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون اي لا يتقدمون بين يديه بامر ولا يخالفونه فيما امرهم به بل يبادرون
الى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ٥
وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له في ايات كثيرة في معنى ذلك وهم من
خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه اي من ادعى منهم انه اله من دون الله اي
مع الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي كل من قال ذلك وهذا شرط
والشرط لا يلزم وقوعه كقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله لين
اشركت ليحبطن عملك ٥

اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شي حي افلا يومنون
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها

فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السما سقفا محفوظا
وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ٥

يقول تعالى منبها على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الاشيا وقهره لجميع المخلوقات فقال اولم ير الذين كفروا اي الجاحدين لالهيته العابدين معه غيره الم يعلموا ان الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق ان يعبد غيره او يشرك به ما سواه اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا اي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتدا الامر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والارض سبعا وفصل بين سما الدنيا والارض بالهوا فامطرت السما وانبتت الارض ولهذا قال وجعلنا من الما كل شي حي افلا يؤمنون وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيا فشيا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشا ففي كل شي له اية تدل على انه واحد قال سفين الثوري عن ابيه عن عكرمة قال سيل ابن عباس الليل كان قبل النهار فقال ارايتم السموات والارض حين كانتا رتقا هل كان بينهما الا ظلمة ذلك لتعلموا ان الليل قبل النهار وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن ابي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن ابي محمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رجلا اتاه يساله عن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال اذهب الى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فاخبرني ما قال لك قال فذهب الى ابن عباس فساله فقال ابن عباس نعم كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت فلما خلق للارض اهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ابن عمر الان علمت ان ابن عباس قد اوتي في القران علما صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت اقول ما يعجبني جراة ابن عباس على تفسير القران فالان علمت انه اوتي في القران علما وقال عطية العوفي كانت هذه رتقا لا تمطر فامطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت فانبتت وقال اسمعيل ابن ابي خالد سالت ابا صالح الحنفي عن قوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السما واحدة ففتق منها سبع سموات وكانت الارض واحدة ففتق منها سبع ارضين وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن الارض والسما متماستين وقال سعيد بن جبير بل كانت السما والارض ملتزقتين فلما رفع السما وابرز منها الارض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما بهذا الهوا

وقوله

وقوله وجعلنا من الما كل شي حي اي اصل كل الاحيا منه وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو الجماهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن ابي ميمونة عن ابي هريرة انه قال يا نبي الله اذا رايتك قرت عيني وطابت نفسي فاخبرنا عن كل شي قال كل شي خلق من ما ٥ وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن ابي ميمونة عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اني اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني فانبيني عن كل شي فقال كل شي خلق من الما قال قلت انبيني عن امر اذا عملت به دخلت الجنة قال افش السلام واطعم الطعام وصل الارحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام ٥ ورواه ايضا عن عبد الصمد وعفان وبهز عن همام ٥ تفرد به احمد وهذا اسناد على شرط الصحيحين الا ان ابا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له ٥ وقد رواه سعيد بن ابي عروبة عن قتادة مرسلا فالله اعلم ٥ وقوله وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ارسى الارض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس اي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لانها غامرة في الما الا مقدار الربع فانه باد للهوا والشمس ليشاهد اهلها السما وما فيها من الايات الباهرات والحكم والدلالات ولهذا قال ان تميد اي لئلا تميد بهم وقوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا اي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر الى قطر واقليم الى اقليم كما هو المشاهد في الارض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وبين البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة ليسلك الناس فيها من هاهنا الى هاهنا ولهذا قال لعلهم يهتدون وقوله وجعلنا السما سقفا محفوظا اي على الارض وهي كالقبة عليها كما قال والسما بنيناها بايد وانا لموسعون وقال والسما وما بناها افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والبنا هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس اي خمسة دعايم وهذا لا يكون الا في الخيام على ما تعهده العرب محفوظا اي عاليا محروسا ان ينال وقال مجاهد مرفوعا وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي ابن الحسين حدثنا احمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثني ابي عن ابيه عن اشعث يعني ابن اسحق القمي عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله ما هذه السما قال هذا موج مكفوف عنكم ٥ اسناد غريب ٥ وقوله وهم عن اياتها معرضون اي لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها الا الذي قدرها وسخرها وسيرها وقد ذكر ابن

الي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكر والاعتبار ان بعض عباد بني اسرائيل تعبد ثلثين سنة وكان الرجل منهم
اذا تعبد ثلثين سنة اظلته غمامة فلم ير ذلك الرجل شيئا مما كان يحصل لغيره فشكي ذلك الي امه فقالت
له يا بني لعلك اذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما اعلمه قالت فلعلك هممت قال ولا هممت
قالت فلعلك رفعت بصرك الي السما ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيرا قالت فمن ههنا اتيت
ثم قال منبها علي بعض اياته وهو الذي خلق الليل والنهار اي هذا في ظلامه وسكونه
وهذا بضيائه وانسه يطول هذا تارة ثم يقصر اخري وعكسه الاخر والشمس والقمر هذه لها نور
يخصها وفلك بذاته وزمان علي حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور اخر وفلك اخر وسير اخر
وتقدير اخر وكل في فلك يسبحون اي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل
في الفلكة وكذا قال مجاهد قال فلا يدور المغزل الا بالفلكة ولا الفلكة الا بالمغزل كذلك النجوم
والشمس والقمر لا يدورون الا به ولا يدور الا بهن ۵ كما قال تعالي فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ۵

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
كل نفس ذايقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون ۵ يقول تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك

اي يا محمد الخلد في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقد استدل
بهذه الاية الكريمة من ذهب من العلما الي ان الخضر عليه السلام مات وليس بحي الي الان لانه
بشر سوا كان وليا او نبيا او رسولا وقد قال الله تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت اي يا محمد فهم الخالدون اي يؤملون ان يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل الي
فنا ولهذا قال كل نفس ذايقة الموت ۵ وقد روي عن الشافعي رحمه الله انه انشد
او استشهد بهذين البيتين ۵

تمني رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد
فقل للذي يبقي خلاف الذي مضي تهيا لاخري مثلها فكان قد

وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة اي نختبركم بالمصايب تارة وبالنعم اخري لننظر من يشكر
ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم
بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغني والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية
والهدي والضلالة ۵ وقوله والينا ترجعون اي فنجازيكم باعمالكم ۵

واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر

آلهتكم

آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان
من عجل سأريكم اياتي فلا تستعجلون ۵

يقول تعالي لنبيه صلوات الله وسلامه عليه واذا راك الذين كفروا يعني كفار قريش
كابي جهل واشباهه ان يتخذونك الا هزوا اي يستهزون بك وينتقصونك يقولون اهذا الذي
يذكر الهتكم يعنون اهذا الذي يسب الهتكم ويسفه احلامكم قال الله تعالي وهم بذكر الرحمن
هم كافرون بالله ومع هذا يستهزون برسول الله كما قال في الاية الاخري واذا راوك ان
يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ۵ وقوله خلق الانسان من عجل كما قال
في الاية الاخري وكان الانسان عجولا اي في الامور قال مجاهد خلق الله ادم بعد كل شي
من اخر النهار من يوم خلق الخلق فلما احيا الروح عينيه ولسانه وراسه لم يبلغ اسفله قال رب
استعجل بخلقي قبل غروب الشمس ۵ وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد
بن هارون انا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط
منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها مومن يصلي وقبض اصابعه يقللها يسال الله
خيرا الا اعطاه اياه قال ابو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة
هي اخر ساعات من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها ادم قال الله تعالي خلق الانسان من عجل
سأريكم اياتي فلا تستعجلون ۵ والحكمة في ذكر عجلة الانسان ههنا انه لما ذكر المستهزين
بالرسول صلوات الله عليه وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك
فقال الله تعالي خلق الانسان من عجل لانه تعالي يملي للظالم حتي اذا اخذه لم يفلته يوجل ثم يعجل
وينظر ثم لا يوخر ولهذا قال سأريكم اياتي اي نقمتي وحكمي واقتداري علي من عصاني فلا تستعجلون

ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ينصرون بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون

يخبر تعالي عن المشركين انهم يستعجلون ايضا بوقوع العذاب بهم تكذيبا وجحودا وكفرا
وعنادا واستبعادا فقال ويقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين قال الله تعالي لو يعلم الذين كفروا
حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم اي لو تيقنوا انها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا به
لو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم لهم من جهنم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال في هذه الآية حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم وقال سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار فالعذاب يحيط بهم من جميع جهاتهم ولا هم ينصرون اي لا ناصر لهم كما قال وما لهم من الله من واق ٥ وقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم اي تاتيهم النار بغتة اي فجاة فتبهتهم اي تذعرهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون فلا يستطيعون ردها اي ليس لهم حيلة في ذلك ولا هم ينظرون اي لا يوخر عنهم ذلك ساعة واحدة ٥

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون

يقول تعالى مسليا لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون يعني من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه كما قال ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار وكلايته وحراسته بعينه التي لا تنام فقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي بدل الرحمن يعني غيره ٥ كما قال الشاعر ٥

جارية لم تلبس المرققا ولم تذق من البقول الفستقا ٥ اي لم تذق بدل البقول الفستقا ٥ وقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي لا يعترفون بنعمه عليهم واحسانه اليهم بل يعرضون عن آياته والآية ثم قال ام لهم آلهة تمنعهم وتكلاوهم غيرنا ليس الامر كما توهموا ولا كما زعموا ولهذا قال لا يستطيعون نصر انفسهم اي هذه الآلهة التي استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصر انفسهم وقوله ولا هم منا يصحبون قال العوفي عن ابن عباس ولا هم منا يصحبون اي يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون يمنعون ٥

بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع

الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ٥

يقول تعالى مخبرا عن المشركين انما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال انهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا انهم على شيء ثم قال واعظا لهم افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اختلف المفسرون في معناه وقد اسلفناه في سورة الرعد واحسن ما فسر بقوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الاسلام على الكفر والمعنى افلا يعتبرون بنصر الله لاوليائه على اعدائه واهلاكه الامم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال افهم الغالبون يعني بل هم المغلوبون الاسفلون الاخسرون الاذلون ٥ وقوله قل انما انذركم بالوحي اي انما انا مبلغ عن الله ما انذرتكم به من العذاب والنكال ليس ذلك الا عما اوحاه الله الي ولكن لا يجدي هذا عمن اعمى الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون وقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن انا كنا ظالمين اي ولئن مس هؤلاء المكذبين ادنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم وانهم كانوا ظالمين لانفسهم في الدنيا ٥ وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا اي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة الاكثر على انه انما هو ميزان واحد وانما جمع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين كما قال تعالى ولا يظلم ربك احدا وقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ٥ وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن اسحق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر ابن يحيى عن ابي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من امتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون قال لا يا رب قال افلك عذر او حسنة فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول بلى

اعمى لعله

اليوم

ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله فيقول احضروه فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول
انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
قال ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم ٥ ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد
به وقال الترمذي حسن غريب ٥ وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن
لهيعة عن عمرو بن يحيى عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع
في كفة فيوضع ما احصي عليه في كفة حتى يميل به الميزان قال فيمايل به الميزان قال فيبعث
به الى النار قال فاذا ادبر به اذا صائح عند الرحمن يقول لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتى ببطاقة
فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان ٥ وقال الامام
احمد ايضا حدثنا ابو نوح قراد انا ليث بن سعد عن مالك بن انس عن
الزهري عن عروة عن عائشة ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس
بين يديه فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واضربهم
واشتمهم فكيف انا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسب ما خانوك وعصوك
وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان
كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم
فوق ذنوبهم اقتص منك الفضل الذي بقي قبلك فجعل الرجل يبكي بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما له ما يقرا كتاب
الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما اجد شيئا خيرا من فراق
هولاء يعني عبيده اني اشهدك انهم احرار كلهم ٥

ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا للمتقين
الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون
وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون ٥

قد تقدم التنبيه على ان الله تعالى كثيرا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات
الله عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان قال مجاهد
يعني الكتاب وقال ابو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله

بين الحق والباطل وقال ابن زيد يعني النصر ٥ وجامع القول في ذلك ان الكتب
السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال
والحرام وعلى ما يحصل نورا في القلوب وهداية وخوفا وانابة وخشية ولهذا قال الفرقان
وضيا وذكرا للمتقين اي تذكيرا لهم وعظة ثم وصفهم فقال الذين يخشون ربهم بالغيب
كقوله من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب وقوله ان الذين يخشون ربهم
بالغيب لهم مغفرة واجر كبير وهم من الساعة مشفقون اي خائفون وجلون ثم قال
تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه يعني القران العظيم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد افانتم له منكرون اي افتنكرونه وهو في غاية
الجلاء والظهور ٥

ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ
قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي
فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين ٥

يخبر تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام انه اتاه رشده من قبل اي من صغره الهمه
الحق والحجة على قومه كما قال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وما يذكر من
الاخبار عنه في ادخال ابيه له في السرب وهو رضيع وانه خرج به بعد ايام فنظر
الى الكواكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها
احاديث بني اسرائيل فما وافق منها الحق مما بايدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته
الصحيح وما خالف شيئا من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه
ولا نكذبه بل نجعله وقفا وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف
في روايتها وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ولو كانت
فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة والذي
نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الاحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع
الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فانهم لا تفرقة عندهم بين
صحيحها وسقيمها كما حرره الايمة الحفاظ المتقنون من هذه الامة والمقصود هنا ان الله

بيانه
كان

تعالى اخبر انه قد آتى ابراهيم رشده من قبل اي من قبل ذلك وقوله وكنا به عالمين
اي وكان اهلاً لذلك ثم قال اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
هذا هو الرشد الذي اوتيه من صغره الانكار على قومه في عبادة الاصنام من دون
الله عز وجل فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ۝ قال ابن ابي حاتم حدثنا
الحسن بن محمد الصباح ثنا ابو معويه الضرير ثنا سعيد بن طريف عن الاصبغ بن نباته
قال مر علي على قوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان
يمس احدكم جمراً حتى يطفى خير له من ان يمسها اي معتكفون على عبادتها قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين لم تكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ولهذا قال لقد كنتم انتم
وآباؤكم في ضلال مبين اي الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم
فانتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم فلما سفه احلامهم وضلل آباءهم واحتقر
آلهتهم قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله
لاعباً او محقاً فيه فانا لم نسمع به قبلك قال بل ربكم رب السماوات والارض
الذي فطرهن اي ربكم الذي لا اله غيره هو الذي خلق السماوات وما حوت من المخلوقات
الذي ابتدا خلقهن وهو الخالق لجميع الاشياء وانا على ذلكم من الشاهدين اي وانا
اشهد انه لا اله غيره ولا رب سواه ۝

وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم
جذاذاً الا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا ءانت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون ۝

ثم اقسم الخليل قسماً اسمع بعض قومه ليكيدن اصنامهم على ادامهم وتكسيرهم
بعد ان يولوا مدبرين اي الى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون اليه قال السدي
لما اقترب وقت ذلك العيد قال ابوه يا بني لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا
فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه الى الارض وقال اني سقيم
فجعلوا يمرون عليه وهو صريع فيقولون مه فيقول اني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي
ضعفاؤهم قال تالله لاكيدن اصنامكم فسمعه اولئك ۝ وقال ابو اسحق عن ابي الاحوص

عن عبد الله قال لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم مروا عليه فقالوا يا ابراهيم الا تخرج معنا
قال اني سقيم وقد كان بالامس قال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعه
ناس منهم وقوله فجعلهم جذاذاً اي حطاماً كسرها كلها الا كبيراً لهم يعني الا الصنم
الكبير عندهم كما قال فراغ عليهم ضرباً باليمين وقوله لعلهم اليه يرجعون ذكروا
انه وضع القدوم في يد كبيرهم لعلهم يعتقدون انه هو الذي غار لنفسه وانف ان يعبد
معه هذه الاصنام الصغار فكسرها قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين
اي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل باصنامهم من الاهانة والاذلال الدال
على عدم الاهيتها وعلى سخافة عابديها قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين اي في
صنيعه هذا قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم اي قال من سمعه يحلف انه ليكيدنهم
سمعنا فتى اي شاباً يذكرهم يقال له ابراهيم ۝ قال ابن ابي حاتم حدثنا
محمد بن عوف ثنا سعيد بن منصور ثنا جرير بن عبد الحميد ثنا قابوس عن ابيه عن ابن عباس
قال ما بعث الله نبياً الا شاباً ولا اوتي العلم عالم الا وهو شاب وتلا هذه الآية
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ۝ وقوله قالوا فاتوا به على اعين الناس
اي على رؤس الاشهاد في الملا الاكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الاكبر
لابراهيم عليه السلام ان يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة
هذه الاصنام التي لا تدفع عن نفسها ضراً ولا تستطيع لها نصراً فكيف يطلب منها شي من
ذلك قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا يعني الذي تركه
لم يكسره فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما اراد بهذا ان يبادروا من تلقاء انفسهم
فيعترفوا انهم لا ينطقون وان هذا لا يصدر عن هذا الصنم لانه جماد وفي الصحيحين
من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب الا غير ثلث ثنتين في ذات الله
قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم قال وبينا هو يسير في ارض جبار من
الجبابرة ومعه سارة اذ نزل منزلاً فاتى الجبار رجل فقال انه قد نزل هاهنا رجل بامراة من احسن الناس فارسل اليه فجاء فقال ما هذه المراة منك قال هي اختي قال اذهب
فارسل بها الي فانطلق الى سارة فقال ان هذا الجبار قد سالني عنك فاخبرته
انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله وانه ليس في الارض مسلم
غيري وغيرك فانطلق بها ابراهيم ثم قام يصلي فلما ان دخلت عليه فراها اهوى اليها

فتناولها فاخذ اخذا شديدا فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فارسل فاهوى اليها فتناولها
فاخذ بمثلها او اشد فعل ذلك الثالثة فاخذ فذكر مثل المرتين الاولتين فقال ادعي الله فلا اضرك
فدعت له فارسل ثم دعا ادنى حجابه فقال انك لم تاتني بانسان ولكنك اتيتني بشيطان اخرجها واعطها
هاجر فاخرجت واعطيت هاجر فاقبلت فلما احس ابراهيم بمجيئها انفتل من صلاته وقال مهيم قالت
كفى الله كيد الكافر الفاجر واخدمني هاجر ٥ قال محمد بن سيرين كان ابو هريرة اذا حدث
بهذا الحديث قال فتلك امكم يا بني ماء السماء ٥

فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على
رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون ٥

يقول تعالى مخبرا عن قوم ابراهيم انهم حين قال لهم ما قال فرجعوا الى انفسهم اي
بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لالهتهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي في ترككم لها
مهملة لا حافظ عندها ثم نكسوا على رؤسهم اي اطرقوا في الارض فقالوا لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون قال قتادة ادركت القوم حيرة سوء فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
وقال السدي ثم نكسوا على رؤسهم اي في الفتنة وقال ابن زيد اي في الراي
وقول قتادة اظهر في المعنى انهم انما ذلك حيرة وعجزا ولهذا قالوا له لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فكيف تقول لنا سلوهم ان كانوا ينطقون وانت تعلم انها لا تنطق فعندها
قال لهم ابراهيم لما اعترفوا بذلك افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم
اي اذا كانت لا تنطق وهي لا تضر ولا تنفع فلم تعبدونها من دون الله اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون اي افلا تتدبرون ما انتم فيه من الضلال والكفر الغليظ
الذي لا يروج الا على جاهل ظالم فاجر فاقام عليهم الحجة والزمهم بها ولهذا قال تعالى وتلك
حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه الاية ٥

قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ٥

لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا الى استعمال جاه ملكهم
فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين فجمعوا حطبا كثيرا جدا قال السدي حتى ان كانت
المراة لتمرض فتنذر لئن عوفيت ان تحمل حطبا لحريق ابراهيم ثم جعلوه في جوبة من الارض

فاضرموها نارا فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار قط مثلها وجعلوا ابراهيم عليه
السلام في كفة المنجنيق باشارة رجل من اعراب فارس من الاكراد قال شعيب الجبائي
اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فلما القوه قال حسبي الله
ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين
القي في النار وقالها محمد حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل ٥ وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا ابو هشام حدثنا اسحق
ابن سليمان عن ابي جعفر عن عاصم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما القي ابراهيم عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وانا في الارض
واحد اعبدك ٥ وروي انه لما جعلوا يوثقونه قال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد
ولك الملك لا شريك لك ٥ وقال شعيب الجبائي كان عمره اذ ذاك ست
عشرة سنة فالله اعلم ٥ وذكر بعض السلف انه عرض له جبريل وهو في الهوا فقال
الك حاجة قال اما اليك فلا ٥ وقال سعيد بن جبير ويروى عن ابن عباس ايضا قال
لما القي ابراهيم في النار جعل خازن المطر يقول متى اومر بالمطر فارسله قال فكان امر الله
اسرع من امره قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لم يبق نار في الارض الا
طفيت ٥ وقال كعب الاحبار لم ينتفع احد يومئذ بنار ولم تحرق النار من ابراهيم
سوى وثاقه ٥ وقال الثوري عن الاعمش عن شيخ عن علي بن ابي طالب قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لا تضريه وقال ابن عباس وابو العالية لولا ان الله عز وجل
قال وسلاما لاذى ابراهيم بردها وقال جويبر عن الضحاك كوني بردا وسلاما على ابراهيم
قال صنعوا له حظيرة من حطب جزل فاشعلوا فيه النار من كل جانب فاصبح ولم يصبه
منها شيء حتى اخمدها الله ٥ قال ويذكرون ان جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق فلم يصبه
منها شيء غيره ذلك ٥ وقال السدي كان معه فيها ملك الظل ٥ وقال ابن ابي حاتم
حدثنا علي بن الحسين ثنا يوسف بن موسى ثنا مهران ثنا اسمعيل بن ابي خالد عن المنهال بن عمرو
قال اخبرت ان ابراهيم القي في النار قال فكان فيها اما خمسين واما اربعين قال ما كنت
اياما وليالي قط اطيب عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت
فيها ٥ وقال ابو زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة قال ان احسن شيء قال ابو
ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يرشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك
يا ابراهيم وقال قتادة لم يات يومئذ دابة الا اطفات عنه النار الا الوزغ ٥ وقال الزهري

امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا عبيد الله بن اخي
ابن وهب حدثنا عمي حدثنا جرير بن حازم ان نافعا حدثه قال حدثتني مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي
قالت دخلت على عائشة فرايت في بيتها رمحا فقلت يا ام المومنين ما تصنعين بهذا الرمح فقالت
نقتل به هذه الاوزاغ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم حين القي في النار لم يكن في
الارض دابة الا تطفي النار عنه غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتله ۝ وقوله واردوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اي المغلوبين الاسفلين
لانهم ارادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فغلبوا هنالك ۝ وقال عطية العوفي
لما القي ابراهيم في النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت في ابهامه فاحرقته مثل الصوفة

ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة
يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وكانوا لنا عابدين ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه
من القرية التي كانت تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ۝

يقول تعالى مخبرا عن ابراهيم انه سلمه الله من نار قومه واخرجه من بين اظهرهم مهاجرا
الى بلاد الشام الى الارض المقدسة منها كما قال الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب
في قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال الشام وما من ماء عذب الا يخرج من تحت
الصخرة وكذا قال ابو العالية ايضا وقال قتادة كان بارض العراق فانجاه الى الشام
وكان يقال الشام عقار دار الهجرة وما نقص من الارض زيد في الشام وما نقص
من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي ارض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى عليه السلام
وبها يهلك المسيح الدجال ۝ وقال كعب الاحبار في قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
الى حران ۝ وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي
ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على ان لا يغيرها ۝ رواه
ابن جرير وهو غريب والمشهور انها ابنة عمه وانه خرج بها مهاجرا من بلاده ۝
وقال العوفي عن ابن عباس الى مكة الا تسمع قوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين ۝ وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال عطاء ومجاهد
عطية وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عتيبة النافلة ولد الولد يعني ان يعقوب

ولد اسحق كما قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
سال واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فاعطاه الله اسحق وزاده يعقوب نافلة ۝
وكلا جعلنا صالحين اي الجميع اهل خير وصلاح وجعلناهم ايمة اي يقتدى بهم يهدون بامرنا
اي يدعون الى الله باذنه ولهذا قال واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء
الزكاة من باب عطف الخاص على العام وكانوا لنا عابدين اي فاعلين لما يامرون الناس
به ثم عطف بذكر لوط ابن هاران بن ازر كان قد امن بابراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر
معه كما قال تعالى فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فاتاه الله حكما وعلما واوحي اليه
وجعله نبيا وبعثه الى سدوم واعمالها فكذبوه وخالفوه فاهلكهم الله ودمر عليهم كما قص
خبرهم في غير ما موضع من كتابه العزيز ولهذا قال ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبايث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ۝

ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه واهله
من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين ۝

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما
كذبوه قد عادته اني مغلوب فانتصر وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولهذا قال ها هنا اذ نادى من قبل
فاستجبنا له ونجيناه واهله اي الذين امنوا معه كما قال واهلك الا من سبق عليه القول
ومن امن وما امن معه الا قليل ۝ وقوله من الكرب العظيم اي من الشدة
والتكذيب والاذى فانه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله عز وجل
فلم يومن به منهم الا القليل وكانوا يتصدون لاذاه ويتواصون قرنا بعد قرن وجيلا بعد
جيل على خلافه ۝ وقوله ونصرناه من القوم اي ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم
الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين اي اهلكهم الله بعامة ولم يبق على وجه
الارض منهم احدا كما دعا عليهم نبيهم ۝

وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه
غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن
والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم

...شاكرين ولسليمان الريح عاصفة
تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين ومن الشياطين
من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين ٥
قال ابو اسحق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد نبتت عناقيده وكذا
قال شريح وقال ابن عباس النفش الرعي وقال شريح والزهري وقتادة النفش بالليل زاد قتادة
والهمل بالنهار ٥ وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب وهرون بن ادريس الاصم قالا ثنا المحاربي
عن اشعث عن ابي اسحق عن مرة عن ابن مسعود في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
اذ نفشت فيه غنم القوم قال كرم قد انبتت عناقيده فافسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب
الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم
فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم
كما كان دفع الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله ففهمناها سليمان (لعله دفعت)
وهكذا روى العوفي عن ابن عباس ٥ وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد حدثني
خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لاصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال (لعله حكم ارتضى)
لهم سليمان كيف قضى بينكم فاخبروه فقال لو وليت امركم لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك
داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم قال ادفع الغنم الى اصحاب الحرث فيكون لهم اولادها
والبانها وسلاؤها ومنافعها ويبذر اصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي
كان عليه اخذ اصحاب الحرث الحرث وردوا الغنم الى اصحابها ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا
ابي ثنا سعيد بن سليمان ثنا خديج عن ابي اسحق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي
نفشت فيه غنم القوم انما كان كرما نفشت فيه الغنم فلم تدع فيه ورقة ولا عنقودا
من عنب الا اكلته فاتوا داود فاعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاها
اهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى اهل الغنم الكرم ليعمروه ويعالجوه حتى يعود
كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى اهل الغنم غنمهم واهل الكرم كرمهم ٥ وهكذا قال
شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد ٥ وقال ابن جرير حدثنا
ابن ابي زياد ثنا يزيد بن هرون انا اسمعيل عن عامر قال جا رجلان الى شريح فقال احدهما
ان شاة هذا قطعت غزلا لي فقال شريح نهارا ام ليلا فان كان نهارا فقد برئ صاحب
الشاة وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرا وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية ٥
وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الامام احمد وابو داود وابن ماجه من حديث الليث
ابن

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك
هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرني يونس بن سليم قال املى علي يونس بن
يزيد الايلي عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر
ابن الخطاب يقول كان اذا انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه
كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا
تهنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر ٥ وكذا رواه الترمذي
في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به وقال النسائي منكر لا نعرف
احدا رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه ٥ وقال النسائي في تفسيره اخبرنا قتيبة
ابن سعيد ثنا جعفر عن ابي عمران عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعايشه يا ام المومنين كيف كان
خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فقرات
قد افلح المومنون حتى انتهت والذين هم على صلاتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٥ وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وابي العالية وغيرهم لما خلق الله
جنة عدن وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون قال كعب لما اعد
لهم فيها من الكرامة وقال ابو العالية فانزل الله ذلك في كتابه وقد روي ذلك
عن ابي سعيد الخدري مرفوعا فقال ابو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى ثنا المغيرة
ابن سلمة ثنا وهيب عن الجريري عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فدخلتها الملايكة فقالت طوبى لك
منزل الملوك ثم قال وحدثنا بشر بن آدم ثنا يونس بن عبيد الله العمري ثنا عدي بن الفضل
ثنا الجريري عن ابي نضرة عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وملاطها المسك قال ابو بكر ورايت في موضع آخر في هذا الحديث
حايط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر فقال لها تكلمي فقالت قد افلح
المومنون فقالت الملايكة طوبى لك منزل الملوك ثم قال البزار لا نعلم احدا رفعه الا عدي بن

الفضل والعشر وهو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت قال الحافظ ابو القسم الطبراني حدثنا
احمد بن علي بن هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر
ثم قال لها تكلمي قالت قد افلح المؤمنون ۝ وبقية عن الحجازيين ضعيف ۝ وقال الطبراني
حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة ثنا منجاب بن الحرث ثنا حماد بن عيسى العبسي عن
اسمعيل السدي عن ابي صالح عن ابن عباس يرفعه لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها
ثمارها وشق فيها انهارها ثم نظر اليها فقال افلح المؤمنون قال وعزتي لا يجاورني فيك بخيل
وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البزار ثنا محمد بن زياد الكلبي ثنا بعيش
ابن حسين عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضا ولبنة من ياقوتة حمرا ولبنة
من زبرجد خضرا ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي
قالت قد افلح المؤمنون فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۝ فقوله
قد افلح المؤمنون اي فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف
الذين هم في صلاتهم خاشعون قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس خائفون ساكنون وكذا
روي عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري ۝ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الخشوع خشوع القلب وكذا قال ابراهيم النخعي وقال الحسن البصري كان خشوعهم في
قلوبهم فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا الجناح ۝ وقال محمد بن سيرين كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السما في الصلاة فلما نزلت هذه الآية
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون خفضوا ابصارهم الى موضع سجودهم
قال ابن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد اعتاد النظر
فليغمض رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ۝ ثم روى ابن جرير عنه وعن عطا بن ابي رباح
ايضا مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية ۝
والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها
وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الامام
احمد والنسائي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حبب الي الطيب والنسا
وجعلت قرة عيني في الصلاة ۝ وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر

عن

عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن رجل من اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا بلال ارحنا بالصلاة ۝ وقال احمد ايضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي
ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن ابي الجعد عن ابن محمد بن الحنفية قال دخلت مع
ابي على صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية ايتيني بوضوء لعلي اصلي فاستريح
فرآنا انكرنا ذلك عليه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بلال ارحنا بالصلاة
وقوله والذين هم عن اللغو معرضون اي عن الباطل وهو يشمل الشرك كما قاله
بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما لا فائدة فيه من الاقوال والافعال كما قال تعالى
واذا مروا باللغو مروا كراما قال قتادة اتاهم والله من امر الله ما وقفهم عن ذلك ۝
وقوله والذين هم للزكاة فاعلون الاكثرون على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال
مع ان هذه مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة والظاهر ان التي فرضت
بالمدينة انما هي ذات النصب والمقادير الخاصة والا فالظاهر ان اصل الزكاة كان
واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام وهي مكية واتوا حقه يوم حصاده وقد
يحتمل ان يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله تعالى قد
افلح من زكاها وقد خاب من دساها وكقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
على احد القولين في تفسيرها وقد يحتمل ان يكون كلا الامرين مرادا وهو زكاة النفوس
وزكاة الاموال فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا
والله اعلم ۝ وقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون والذين قد حفظوا
فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا او لواط ولا يقربون سوى ازواجهم التي احلها الله لهم
وما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك فاولئك هم العادون من السراري
ومن تعاطى ما احله الله فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورا ذلك
اي غير الازواج والاما فاولئك هم العادون اي المعتدون وقال ابن جرير حدثني
ابن بشار ثنا عبد الاعلى ثنا سعيد عن قتادة ان امراة اتخذت مملوكها وقالت تاولت كتاب الله
او ما ملكت ايمانهم قال فاتي بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له ناس من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم تاولت آية من كتاب الله على غير وجهها قال فغرب العبد
وجز راسه وقال انت بعده حرام على كل مسلم ۝ هذا اثر غريب منقطع ذكره ابن
جرير في اول تفسير سورة المائدة وهو ههنا اليق وانما حرمها على الرجال معاملة

لها بنقيض قصدها والله أعلم ۝ وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على
تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او
ما ملكت ايمانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم العادون وقد استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور
حيث قال حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع
العالمين ويدخلهم النار أول الداخلين الا ان يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه
الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذي
جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره ۝ هذا حديث غريب واسناده فيه
من لا يعرف لجهالته والله أعلم ۝ وقوله والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
اي اذا ائتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها الى اهلها واذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات
المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا
وعد أخلف واذا ائتمن خان ۝ وقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون اي
يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اي العمل احب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال
الجهاد في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين وفي مستدرك الحاكم قال الصلاة في اول
وقتها ۝ وقال ابن مسعود ومسروق في قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
يعني مواقيت الصلاة وكذا قال ابو الضحى وعلقمة بن قيس وسعيد بن جبير وعكرمة وقال
قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله تعالى ذكر هذه الصفات الحميدة
بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على افضليتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا
ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن ۝ ولما وصفهم تعالى
بالقيام بهذه الصفات الحميدة والافعال الرشيدة قال اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله الجنة
فسلوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة ومنه تفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن ۝
وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل
في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله اولئك هم الوارثون ۝ وقال ابن جريج

عن

عن ليث عن مجاهد اولئك هم الوارثون قال ما من عبد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار
فاما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار واما الكافر فيهدم بيته
الذي في الجنة ويبنى بيته الذي في النار ۝ وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك ۝ فالمؤمنون
يرثون منازل الكفار لانهم كلهم خلقوا لعبادة الله تعالى فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم
من العبادة وترك اولئك ما امروا به مما خلقوا له احرز هؤلاء نصيب اولئك لو كانوا
اطاعوا ربهم عز وجل بل ابلغ من هذا ايضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي بردة
بن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب
امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظ له قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا
فكاكك من النار فاستحلف عمر بن عبد العزيز ابا بردة بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات
ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحلف له ۝ قلت وهذه الآية
كقوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وكقوله تلك الجنة
التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس
وقال بعض السلف لا يسمى البستان فردوسا الا اذا كان فيه عنب فالله اعلم ۝

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون
ثم انكم يوم القيامة تبعثون ۝

يقول تعالى مخبرا عن ابتداء خلق الانسان من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام
خلقه من صلصال من حمإ مسنون وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن ابي يحيى عن
ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء وقال مجاهد من سلالة اي من مني آدم
قال ابن جرير وانما سمي آدم طينا لانه مخلوق منه وقال قتادة استل آدم
من الطين وهذا اظهر في المعنى واقرب الى السياق فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب
وهو الصلصال من الحمإ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال هو الذي خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عوف ثنا قسامة
ابن زهير عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع

من جميع الارض فجا بنو آدم على قدر الارض جا منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك
والخبيث والطيب وبين ذلك وقد رواه ابو داود من طرق عن عوف الاعرابي به بنحوه
وقال الترمذي حسن صحيح ۝ ثم جعلناه نطفة هذا الضمير عايد على جنس
الانسان كما قال في الاية الاخرى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من
من ماء مهين اي ضعيف كما قال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين يعني الرحم
معد لذلك مهيا له الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون اي الى مدة معلومة واجل معين
حتى استحكم وتنقل من حال الى حال وصفة الى صفة ولهذا قال ههنا ثم خلقنا النطفة علقة
اي ثم صيرنا النطفة وهي الما الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترايب المراة
وهي عظام صدرها ما بين الترقوة الى الثدوة فصارت علقة حمرا على شكل العلقة مستطيلة
قال عكرمة وهي دم فخلقنا العلقة مضغة وهي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا
تخطيط فخلقنا المضغة عظاما يعني شكلناها ذات راس ويدين ورجلين بعظامها
وعصبها وعروقها وقرا اخرون فخلقنا المضغة عظما قال ابن عباس وهو عظم
الصلب وفي الصحيح من حديث ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسد ابن ادم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب
فكسونا العظام لحما اي وجعلنا على ذلك ما يستره ويقويه ثم انشاناه خلقا اخر اي ثم
نفخنا فيه الروح فتحول وصار خلقا اخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فتبارك
الله احسن الخالقين ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا جعفر بن مسافر
ثنا يحيى بن حسان ثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم ثنا زيد بن علي عن ابيه عن علي بن ابي طالب
قال اذا تمت النطفة اربعة اشهر بعث اليها ملك فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث وذلك قوله
ثم انشاناه خلقا اخر يعني نفخ الروح وروي عن ابي سعيد الخدري انه نفخ الروح قال ابن عباس ثم
انشاناه خلقا اخر يعني نفخنا فيه الروح وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وابو العالية
والربيع بن انس والسدي والضحاك وابن زيد واختاره ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس
ثم انشاناه خلقا اخر يعني ننقله من حال الى حال الى ان خرج طفلا ثم نشا صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا
ثم كهلا ثم شيخا هما وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ولا منافاة فانه من ابتدا نفخ الروح فيه شرع
في هذه التنقلات والاحوال والله اعلم ۝ وقال الامام احمد في مسنده حدثنا ابو
معاوية ثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه في اربعين يوما ثم يكون
علقة

علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات
رزقه واجله وعمله وهل هو شقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل اهل
النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنة فيدخلها ۝ اخرجاه
من حديث سليمان بن مهران الاعمش ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن
سنان ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن خيثمة قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان النطفة اذا وقعت
في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث اربعين يوما ثم تتحدر في الرحم فتكون علقة ۝
وقال احمد ايضا حدثنا حسين بن الحسن ثنا ابو كدينة عن عطا بن السايب عن القسم بن
عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله قال مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث اصحابه
فقالت قريش يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لاسالنه عن شي لا يعلمه الا نبي قال فجا حتى جلس
فقال يا محمد مم يخلق الانسان فقال يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المراة فاما
نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المراة فنطفة رقيقة منها اللحم
والدم فقام اليهودي فقال هكذا كان يقول من قبلك ۝ وقال الامام احمد حدثنا
سفين عن عمرو عن ابي الطفيل عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين ليلة فيقول يا رب ماذا شقي ام سعيد
اذكر ام انثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله واثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد
على ما فيها ولا ينقص وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفين بن عيينة عن عمرو هو
ابن دينار به ومن طرق اخر عن ابي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن اسيد ابي سريحة
الغفاري بنحوه والله اعلم ۝ وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا احمد بن عبدة ثنا
حماد بن زيد ثنا عبيد الله بن ابي بكر عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بالرحم ملكا
فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله خلقها قال يا رب اذكر
او انثى شقي او سعيد فما الرزق والاجل قال فذلك يكتب في بطن امه ۝ اخرجاه في الصحيحين
من حديث حماد بن زيد به ۝ وقوله فتبارك الله احسن الخالقين يعني حين ذكر
قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال الى حال وشكل الى شكل حتى تصورت
الى ما صارت اليه من الانسان السوي الكامل الخلق قال فتبارك الله احسن الخالقين ۝
قال ابن ابي حاتم حدثنا يونس بن حبيب ثنا ابو داود ثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن زيد
عن انس قال قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي ووافقني في اربع نزلت

هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت انا فتبارك الله احسن
الخالقين فنزلت فتبارك الله احسن الخالقين ۝ وقال ايضا حدثنا ابي حدثنا آدم بن
ابي اياس حدثنا شعيب عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت قال املى علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله
خلقا آخر فقال معاذ فتبارك الله احسن الخالقين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له معاذ مم ضحكت يا رسول الله قال بها ختمت فتبارك الله احسن الخالقين ۝ جابر بن يزيد الجعفي
ضعيف جدا وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك ان هذه السورة مكية وزيد بن ثابت
انما كتب الوحي بالمدينة وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة ايضا فالله اعلم ۝
وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون يعني بعد هذه النشاة الاولى من العدم تصيرون
الى الموت ثم انكم يوم القيامة تبعثون يعني النشاة الآخرة ثم الله ينشئ النشاة الآخرة يعني يوم
المعاد وقيام الارواح والاجساد فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله ان خيرا فخير
وان شرا فشر ۝

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ۝

لما ذكر تعالى خلق الانسان عطف بذكر خلق السماوات السبع وكثيرا ما يذكر تعالى
خلق السماوات والارض مع خلق الانسان كما قال تعالى لخلق السماوات والارض اكبر من خلق
الناس وهكذا في اول الم السجدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صبيحة
يوم الجمعة في اولها خلق السماوات والارض ثم بيان خلق الانسان من سلالة من طين وفيها
امر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد فقوله سبع طرائق قال مجاهد يعني السماوات
السبع وهذه كقوله تعالى تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن الم تروا كيف خلق
الله سبع سماوات طباقا قال الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وهكذا قال هاهنا ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين اي ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وهو سبحانه لا يحجب
عنه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا جبل الا يعلم ما في وعره ولا بحر الا يعلم ما في قعره
يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والاشجار وما تسقط من ورقة
الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ۝
وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به

لقادرون

لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم
فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون
وعليها وعلى الفلك تحملون ۝

يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعد ولا تحصى في انزاله القطر من السماء بقدر اي
بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الارض والعمران ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار بل بقدر
الحاجة اليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى ان الاراضي التي تحتاج ماء كثيرا لزرعها
ولا تحتمل دمنتها انزال المطر عليها يسوق اليها الماء من بلاد اخرى كما في ارض مصر ويقال لها
الارض الجرز يسوق الله اليها ماء النيل معه طين احمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان
امطارها فياتي الماء يحمل طينا احمر فيسقي ارض مصر ويقر الطين على ارضهم ليزدرعوا فيه
لان ارضهم سباخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور ۝
وقوله فاسكناه في الارض اي جعلنا الماء اذا نزل من السحاب يخلد في الارض وجعلنا في
الارض قابلية له تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى وقوله وانا على ذهاب
به لقادرون اي لو شئنا ان لا تمطر لفعلنا ولو شئنا لصرفناه عنكم الى السباخ والبراري
والقفار لفعلنا ولو شئنا لجعلناه اجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا ولو شئنا لجعلناه
لا ينزل في الارض بل ينجر على وجهها لفعلنا ولو شئنا لجعلناه اذا نزل فيها يغور الى مدى
لا تصلون اليه ولا تنتفعون به لفعلنا ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب
عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الارض ويسلكه ينابيع في الارض فيفتح العيون
والانهار ويسقي به الزروع والثمار وتشربون منه ودوابكم وانعامكم وتغتسلون منه
وتتطهرون وتتنظفون فله الحمد والمنة ۝ وقوله فانشانا لكم به جنات من
نخيل واعناب يعني فاخرجنا لكم بما انزلنا من السماء جنات اي بساتين وحدائق ذات بهجة
اي ذات منظر حسن وقوله من نخيل واعناب اي فيها نخيل واعناب وهذا
ما كان يالف اهل الحجاز ولا فرق بين الشيء ونظيره وكذلك في حق كل اهل اقليم عندهم
من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره وقوله لكم فيها فواكه كثيرة
اي من جميع الثمار كما قال ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
ومنها تاكلون كانه معطوف على شيء مقدر تقديره تنظرون الى حسنه ونضجه

ومنها تاكلون وقوله وشجرة تخرج من طور سيناء يعني الزيتونة والطور هو الجبل
وقال بعضهم انما يسمى طورا اذا كان فيه شجر فان عري عنها سمي جبلا لا طورا والله
اعلم وطور سيناء هو طور سينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام
وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون وقوله تنبت بالدهن قال
بعضهم الباء زائدة تقديره تنبت الدهن كما في قول العرب القى فلان بيده اي يده
واما على قول من يضمن الفعل فتقديره تخرج بالدهن او تاتي بالدهن ولهذا قال
وصبغ اي ادم قاله قتادة للاكلين اي فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ كما قال
الامام احمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن عيسى عن عطا الشامي عن ابي اسيد
واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلوا الزيت وادهنوا فانه من شجرة مباركة ه وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره
حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة ورواه الترمذي
وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق قال الترمذي ولا نعرفه الا من حديثه وكان
يضطرب فيه فربما ذكر فيه عمر وربما لم يذكره ه وقال ابو القسم الطبراني
حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنا ابي ثنا سفين بن عيينة حدثني الصعب بن حكيم
ابن شريك بن نملة عن ابيه عن جده قال ضفت عمر بن الخطاب ليلة فاطعمني عشوة من
راس بعير بارد واطعمنا زيتا وقال هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع
كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الانعام
من المنافع وذلك انهم يشربون من البانها الخارجة من بين فرث ودم وياكلون من حملانها
ويلبسون من اصوافها واوبارها واشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الاحمال الثقال الى البلاد
النائية عنهم كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم
لرؤوف رحيم وقال تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون
وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ه

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من
قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم

ولو شا الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ه

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه الله الى قومه لينذرهم عذاب الله وباسه
الشديد وانتقامه ممن اشرك به وخالف امره وكذب رسله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره افلا تتقون اي الا تخافون من الله في اشراككم به فقال الملأ وهم السادة والاكابر منهم ما
هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم يعنون يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة
وهو بشر مثلكم فكيف اوحي اليه دونكم ولو شا الله لانزل ملائكة اي لو اراد ان يبعث نبيا لبعث
ملكا من عنده ولم يكن بشرا ما سمعنا بهذا اي ببعثة البشر في آبائنا الاولين يعنون اسلافهم واجدادهم
والدهور الماضية وقولهم ان هو الا رجل به جنة اي مجنون فيما يزعمه من ان الله ارسله اليكم واختصه
من بينكم بالوحي فتربصوا به حتى حين اي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه

قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا ووحينا فاذا جا امرنا وفار التنور
فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من
سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب
انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ان في ذلك
لايات وان كنا لمبتلين ه

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام انه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى
مخبرا عنه في الآية الاخرى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر وقال هاهنا رب انصرني بما كذبون
فعند ذلك امره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها وان يحمل فيها من كل زوجين
اثنين اي ذكرا وانثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وان يحمل فيها
اهله الا من سبق عليه القول منهم اي سبق فيه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من اهله كابنه
وزوجته والله اعلم ه وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي عند
معاينة انزال المطر العظيم لا ياخذنك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تاخيرهم لعلهم
يؤمنون فاني قد قضيت انهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت
هذه القصة مبسوطة في سورة هود بما يغني عن اعادة ذلك هاهنا وقوله فاذا استويت

انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كما قال وجعل لكم من
الفلك ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال
تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها فذكر الله تعالى عند ابتدا سيره وعند انتهائه
وقال تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله ان في ذلك
لايات اي ان في هذا الصنيع وهو انجا المومنين واهلاك الكافرين لايات اي لحجج ودلالات
واضحات على صدق الانبياء فيما جاؤا به عن الله تعالى وانه تعالى فاعل لما يشا قادر على كل شي
عليم بكل شي وقوله وان كنا لمبتلين اي لمختبرين للعباد بارسال المرسلين ٥

ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملا من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات
لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين
ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمومنين
قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثا فبعدا للقوم الظالمين ٥

يخبر تعالى انه انشا بعد قوم نوح قرنا اخرين قيل المراد بهم عاد كانوا مستخلفين
بعدهم وقيل المراد بهولاء قوم ثمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق وانه تعالى ارسل فيهم
رسولا منهم فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وابوا من اتباعه لكونه بشرا
مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقا الله في القيامة وانكروا المعاد الجثماني وقالوا
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات بعيد بعيد
ذلك ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اي فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والاخبار بالمعاد
وما نحن له بمومنين قال رب انصرني بما كذبون اي استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم
فاجاب دعاه قال عما قليل ليصبحن نادمين اي بمخالفتك وعنادك فيما جيتهم به فاخذتهم
الصيحة بالحق اي وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظاهر انه اجتمع عليهم

صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة تدمر كل شي بامر ربها فاصبحوا لا يرى
الا مساكنهم وقوله فجعلناهم غثا اي صرعى هلكى كغثا السيل وهو الشي الحقير
التافه الهالك لا ينتفع بشي منه فبعدا للقوم الظالمين كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين اي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله
فليحذر السامعون ان يكذبوا رسولهم ٥

ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين ما تسبق من امة
اجلها وما يستاخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جا
امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
احاديث فبعدا لقوم لا يومنون ٥

يقول تعالى ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي امما وخلائق ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون يعني بل يوخذون حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه السابق قبل
كونهم امة بعد امة وقرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وخلفا بعد سلف ثم ارسلنا رسلنا
تترى قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذه كقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
وقوله كلما جا امة رسولها كذبوه يعني جمهورهم واكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون وقوله فاتبعنا بعضهم بعضا اي
اهلكناهم كقوله وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وجعلناهم احاديث اي اخبارا واحاديث للناس
كقوله فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق الاية فبعدا للقوم لا يومنون ٥

ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى
فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا
انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون

يخبر تعالى انه بعث رسوله موسى عليه السلام واخاه هرون الى فرعون وملايه
بالايات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وان فرعون وقومه وملايه استكبروا
عن اتباعهما والانقياد لامرهما لكونهما بشرين كما انكرت الامم الماضية بعثة الرسل من البشر
تشابهت قلوبهم فاهلك الله فرعون وملاه وغرقهم في يوم واحد اجمعين وانزل على موسى الكتاب
وهو التوراة فيها احكامه واوامره ونواهيه وذلك بعد ما قصم الله فرعون والقبط

واحدهم احد عشر مقتدر وبعد ان انزل الله التوراة لم يهلك امة بعامة بل امر المومنين بقتال
الكافرين كما قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصاير
للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ثم قال تعالى

وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ۝

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام انه جعلهما
اية للناس اي حجة قاطعة على قدرته على ما يشا فانه خلق ادم من غير اب ولا ام وخلق
حوا من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وانثى
وقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الضحاك عن ابن عباس الربوة
المكان المرتفع من الارض وهو احسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير
وقتادة وقال ابن عباس قوله ذات قرار يقول ذات خصب ومعين يعني ما ظاهرا
وقال مجاهد ربوة مستوية وقال سعيد بن جبير ذات قرار ومعين استوى الما فيها وقال
مجاهد وقتادة ومعين الما الجاري ۝ ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة
في اي ارض الله هي فقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ليس الربا الا بمصر والما حين يرسل
تكون الربا عليها القرى ولولا الربا غرقت القرى وروي عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جدا
وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن
سعيد بن المسيب في قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي دمشق ۝ قال وروي عن
عبد الله بن سلام والحسن وزيد بن اسلم وخالد بن معدان نحو ذلك وقال ابن ابي حاتم حدثنا
ابو سعيد الاشج ثنا وكيع عن اسراييل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين
قال انهار دمشق وقال ليث بن ابي سليم عن مجاهد واويناهما الى ربوة قال عيسى بن مريم وامه حين اويا
الى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن ابي عبد الله بن عم ابي هريرة
قال سمعت ابا هريرة يقول في قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة وفلسطين ۝
وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ثنا رواد بن الجراح
ثنا عباد بن عباد الخواص ابو عتبة ثنا الشيباني عن ابن وعلة عن كريب السحولي عن مرة البهزي قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لرجل انك تموت بالربوة فمات بالرملة وهذا حديث غريب جدا
واقرب الاقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله واويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين قال المعين الما الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا
وكذا قال الضحاك وقتادة الى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله اعلم هو الاظهر

لان المذكور في الاية الاخرى والقران يفسر بعضه بعضا وهو اولى ما يفسر به ثم الاحاديث
الصحيحة ثم الاثار ۝

يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا
امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في
غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ۝

يامر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام اجمعين بالاكل من الحلال والقيام
بالصالح من الاعمال فدل هذا على ان الحلال عون على العمل الصالح فقام الانبيا عليهم السلام
بهذا اتم القيام وجمعوا بين كل خير قولا وعملا ودلالة ونصحا فجزاهم الله عن العباد خيرا قال
الحسن البصري في قوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال اما والله ما امروا باصفركم ولا احمركم
ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن انتهوا الى الحلال منه وقال سعيد بن جبير والضحاك كلوا من الطيبات
يعني الحلال وقال ابو اسحق السبيعي عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم
ياكل من غزل امه وفي الصحيح ما من نبي الا رعى الغنم قالوا وانت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها
على قراريط لاهل مكة وفي الصحيح ان داود عليه السلام كان ياكل من كسب يده وفي الصحيحين
ان احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب القيام الى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى ۝ وقال ابن ابي
حاتم حدثنا ابي ثنا ابو اليمان الحكم بن نافع ثنا ابو بكر بن ابي مريم عن ضمرة بن حبيب ان ام عبد الله
بنت شداد بن اوس بعثت الى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره وهو صايم وذلك في
اطول النهار وشدة الحر فرد اليها رسولها اني كانت لك الشاة فقالت اشتريته من مالي فشرب
منه فلما كان من الغد اتته ام عبد الله فقالت يا رسول الله بعثت اليك بلبن مرثية لك
من طول النهار وشدة الحر فرددت الي الرسول فيه فقال لها بذلك امرت الرسل لا ناكل الا
طيبا ولا نعمل الا صالحا ۝ وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسند الامام
احمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن ابي حازم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر
المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم
وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر

ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فأنى
يستجاب لذلك . قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق
وقوله وإن هذه أمتكم أمة واحدة أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد
وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولهذا قال وأنا ربكم فاتقون وقد تقدم الكلام على ذلك
في سورة الأنبياء وأن قوله أمة واحدة منصوب على الحال . وقوله فتقطعوا أمرهم بينهم
زبرا الأمم الذين بعثت إليهم الأنبياء كل حزب بما لديهم فرحون أي يفرحون بما هم فيه من الضلال
لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ولهذا قال متهددا لهم ومتوعدا فذرهم في غمرتهم أي غيهم وضلالهم
حتى حين أي إلى حين حينهم وهلاكهم كما قال فمهل الكافرين أمهلهم رويدا وقال تعالى ذرهم
يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون يعني أيظن هؤلاء المغرورون أنما نعطيهم من الأموال
والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجا وإنظارا
وإملاء ولهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها
في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وقال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقال
تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي
متين وقال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا
ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا وقال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون
والآيات في هذا كثيرة . قال قتادة في قوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم يا ابن آدم فلا
تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح وقال الإمام أحمد
حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم
وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين
فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه
قالوا وما بوائقه يا نبي الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه
ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار إن الله لا يمحو السيء بالسيء

١٢٠

ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث .

إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك
يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون .

يقول تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي هم مع إحسانهم وإيمانهم
وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري إن المؤمن
جمع إحسانا وشفقة وإن المنافق جمع إساءة وأمنا . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون
أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات
ربها وكتبه أي أيقنت أن ما كان إنما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو إن
كان أمرا فمما يحبه ويرضاه وإن كان نهيا فهو مما يكرهه ويأباه وإن كان خبرا فهو حق كما قال الله
والذين هم بربهم لا يشركون أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدا
صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه لا نظير له ولا كفؤ وقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن
يكونوا قد قصروا بشروط الإعطاء وهذا من باب الإشفاق والاحتياط كما قال الإمام
أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت
يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر
وهو يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف الله
وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه وقال لا يا بنت
الصديق ولكنهم الذين يصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون
قال الترمذي وروي هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو هذا . وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي
والحسن البصري في تفسير هذه الآية . وقد قرأ آخرون هذه الآية والذين يأتون ما أتوا
وقلوبهم وجلة أي يفعلون ما يفعلون وهم خائفون وروي هذا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قرأ كذلك . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرية حدثنا إسماعيل
المكي حدثني أبو خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها
فقالت مرحبا بأبي عاصم ما يمنعك أن تزورنا أو تلم بنا فقال أخشى أن أملك فقالت ما كنت

لتفعل قالت جئت أسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأها فقالت أية آية قال الذين يؤتون ما آتوا والذين يأتون ما أتوا فقالت أيتهما أحب
إليك فقلت والذي نفسي بيده لأحدهما أحب من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فيها قالت أيهما
قلت الذين يأتون ما أتوا فقالت أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها
وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف ۝ إسمعيل بن مسلم المكي ضعيف والمعنى على القراءة الأولى
وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر لأنه قال أولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك أن لا يكونوا من
السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله أعلم ۝

ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم
لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون
ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا
هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون
قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون
مستكبرين به سامرا تهجرون ۝

يقول تعالى مخبرا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفسا
إلا وسعها أي إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب
مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعني كتاب الأعمال
وهم لا يظلمون أي لا يبخسون من الخير شيئا وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده
المؤمنين ۝ ثم قال منكرا على الكفار والمشركين من قريش بل قلوبهم في غمرة أي غفلة وضلالة
من هذا أي القرآن والذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ۝ وقوله ولهم أعمال
من دون ذلك هم لها عاملون ۝ قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم أعمال أي سيئة
من دون ذلك يعني الشرك هم لها عاملون قال لا بد أن يعملوها وكذا روي عن مجاهد والحسن
وغير واحد وقال آخرون ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أي قد كتب عليهم
أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحق عليهم كلمة العذاب روي نحو هذا عن مقاتل
بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوي حسن ۝ وقد قدمنا في
حديث ابن مسعود فوالذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ۝ وقوله حتى إذا أخذنا مترفيهم

بالعذاب إذا هم يجأرون يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه
ونقمته بهم إذا هم يجأرون أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى وذرني والمكذبين أولي
النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال تعالى كم أهلكنا
قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ۝ وقوله لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون
أي لا يجيركم مما حل بكم سواء جأرتم أو سكتم لا محيد ولا مناص ولا وزر لزم الأمر ووجب
العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون
أي إذا دعيتم أبيتم وإن طلبتم امتنعتم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ۝ وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون في تفسيره قولان
أحدهما أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه استكبارا عليه
واحتقارا له ولأهله فعلى هذا الضمير في به ثلاثة أقوال أحدها أنه الحرم بمكة ذموا لأنهم
كانوا يسمرون به بالهجر من الكلام والثاني أنه ضمير القرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن
بالهجر من الكلام إنه سحر إنه شعر إنه كهانة إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ۝ والثالث أنه محمد
صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة ويضربون له الأمثال الباطلة
من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون وكل ذلك باطل بل هو عبد الله ورسوله
الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء ۝ وقيل المراد بقوله مستكبرين
به أي بالبيت يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا بهم كما قال النسائي في التفسير من سننه
أخبرنا أحمد بن سليمان أنا عبيد الله عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه سمع سعيد بن جبير
يحدث عن ابن عباس أنه قال إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامرا تهجرون
فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرا قال كانوا يسمرون ولا يعمرونه ويهجرونه
وقد أطنب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله ۝

أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم
بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو
خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وإن الذين لا
يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا

مَا بِهِم مِن ضر للجواب وطغيانهم يعمهون ٥

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم ايمانهم وقد دبرهم وفي اعراضهم عنه مع انهم
قد خصوا بهذا الكتاب الذي نزل الله على رسول اكمل منه ولا اشرف لا سيما وآباؤهم الذين ماتوا
في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا اتاهم نذير فكان اللايق بهولاء ان يقابلوا النعمة التي اسداها
الله اليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والعمل بمقتضاها آناء الليل واطراف النهار كما فعله النجبا
منهم ممن اسلم واتبع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم ٥ وقال قتادة افلم يدبروا
القول اذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكنهم
اخذوا بما تشابه فهلكوا عند ذلك ٥ ثم قال منكرًا على الكافرين من قريش ام لم يعرفوا رسولهم
فهم له منكرون اي ام لا يعرفون محمدا وصدقه وامانته وصيانته التي نشا بها فيهم افيقدرون
على انكار ذلك والمباهتة فيه ولهذا قال جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه للنجاشي ايها الملك
ان الله بعث الينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وامانته وهكذا قال المغيرة بن شعبة
لنايب كسرى حين بارزهم ولذلك قال ابو سفيان بن صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين سال
واصحابه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وامانته وكانوا بعد كفارا لم يسلموا
ومع هذا ما امكنهم الا الصدق فاعترفوا بذلك ٥ وقوله ام يقولون به جنة
يحكي قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تقول القرآن اي افتراه من عنده وان به
جنونا لا يدري ما يقول واخبر عنهم ان قلوبهم لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن
فانه قد اتاهم من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع اهل الارض ان ياتوا بمثله فما
استطاعوا ولا يستطيعون ابد الآبدين ولهذا قال بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
يحتمل ان يكون هذه جملة حالية اي في حال كراهة اكثرهم للحق ويحتمل ان يكون خبرية مستانفة
والله اعلم ٥ وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له اسلم فقال
الرجل انك لتدعوني الى امر انا له كاره فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم وان كنت كارها وذكر لنا
انه لقي رجلا فقال له اسلم فتصعده ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو انت
في طريق وعر وعث فلقيت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك الى طريق
واسع سهل اكنت متبعه قال نعم فقال والذي نفس محمد بيده انك لفي اوعر من ذلك
الطريق لو كنت عليه واني لادعوك لاسهل من ذلك لو دعيت اليه وذكر لنا ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم لقي رجلا فقال اسلم فتصعده ذلك فقال له نبي الله ارايت فتييك احدهما اذا حدثك
صدقك واذا ائتمنته ادى اليك اهو احب اليك ام فتاك الذي اذا حدثك كذبك واذا ائتمنته خانك

قال

قال بل فتاي الذي اذا حدثني صدقني واذا ائتمنته ادى لي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذاكم انتم
عند ربكم ٥ وقوله ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن قال
مجاهد وابو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو اجابهم الله الى ما في انفسهم من الهوى
وشرع الامور على وفق ذلك لفسدت السماوات والارض ومن فيهن اي لفساد اهوائهم واختلافها كما اخبر
عنهم في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال
اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
وكان الانسان قتورا وقال ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يوتون الناس نقيرا ففي هذا كله تبيين
عجز العباد واختلاف ارائهم واهوائهم وانه تعالى هو الكامل في جميع صفاته واقواله وافعاله
وشرعه وقدره وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس فلا اله غيره ولا رب سواه ثم قال
بل اتيناهم بذكرهم يعني القرآن فهم عن ذكرهم معرضون وقوله ام تسالهم خرجا قال
الحسن اجرا وقال قتادة جعلا فخراج ربك خير اي انت لا تسالهم اجرة ولا جعلا ولا شيا على دعوتك
اياهم الى الهدى بل انت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال قل ما سالتكم من اجر فهو لكم
ان اجري الا على الله وقال قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال قل لا اسالكم عليه
اجرا الا المودة في القربى وقال تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
وان الذين لا يومنون بالآخرة عن الصراط لناكبون قال الامام احمد حدثنا حسن بن
موسى ثنا حماد بن سلمه عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاه فيما يرى النايم ملكان فقعد احدهما عند رجليه والآخر عند راسه
فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اضرب مثل هذا ومثل امته فقال ان مثله ومثل امته
كمثل قوم سفر انتهوا الى راس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون
به فبيناهم كذلك اذا اتاهم رجل في حلة حبرة فقال ارايتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء <لعله حياضًا رواء>
اتتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فاكلوا وشربوا وسمنوا
فقال لهم الم القكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء ان تتبعوني
فقالوا بلى قال فان بين ايديكم رياضا اعشب من هذه وحياضا هي اروى من هذه فاتبعوني قال
فقالت طايفة صدق والله لنتبعنه وقالت طايفة قد رضينا بهذا نقيم عليه ٥ وقال الحافظ ابو
يعلى الموصلي حدثنا زهير ثنا يونس بن محمد ثنا يعقوب بن عبد الله الاشعري ثنا حفص
ابن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إني ممسك بحجزكم عن النار هلم عن النار وتغلبوني وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب
فأوشك أن أرسل بحجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتردون علي معا وأشتاتا أعرفكم بأسمائكم وبسيماكم
كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله فيذهب بكم ذات الشمال فأناشد فيكم رب
العالمين أي رب قومي أي رب أمتي فيقال يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا
يمشون القهقرى على أعقابهم فلا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي
يا محمد يا محمد فأقول لا أملك شيئا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرا له
رغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة
يحمل فرسا لها حمحمة فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ولا أعرفن أحدكم
يجيء يوم القيامة يحمل سقاء من أدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ۝
قال علي بن المديني هذا حديث حسن الإسناد إلا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه
غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي ۝ قلت بل قد روى عنه أيضا أشعث بن إسحاق وقال
فيه يحيى بن معين صالح ووثقه النسائي وابن حبان ۝ وقوله وإن الذين لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون أي لعادلون جائرون منحرفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق
إذا زاغ عنها ۝ وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أزاح عللهم وأفهمهم القرآن لما انقادوا له ولاستمروا على
كفرهم وطغيانهم كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون
وقال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف كان يكون
قال الضحاك عن ابن عباس كل ما فيه لو فهو مما لا يكون أبدا ۝

ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه
مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة
قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا
تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن

وآباؤنا

وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ۝

يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة بل استمروا على ضلالهم
وغيهم فما استكانوا أي خشعوا وما يتضرعوا أي دعوا كما قال فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال ابن أبي حاتم حدثنا
علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن حمزة المروزي ثنا علي بن الحسين ثنا أبي عن يزيد يعني النحوي عن
عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله
والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون ۝ وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبيه
به وأصل هذا الحديث في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش
حين استعصوا فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ۝ وقال ابن أبي حاتم
حدثنا علي بن الحسين ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان حدثني
وهب بن عمر بن كيسان قال حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الأبناء ألا أنشدك بيتا من
شعر يا أبا عبد الله فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد أخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال وصام وهب ثلاثا متواصلا فقيل له ما
هذا الصوم يا أبا عبد الله قال أحدث لنا فأحدثنا يعني زيادة عبادة ۝ وقوله
حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم
الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا من كل خير
وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده في أن جعل لهم السمع
والأبصار والأفئدة وهي العقول والفهوم التي يدركون بها ويعتبرون بما في الكون من الآيات
الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه الفاعل المختار لما يشاء ۝ وقوله قليلا ما تشكرون
أي وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليقة وذرئه لهم
في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الأولين
منهم والآخرين لميقات يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا
ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت
الأمم وله اختلاف الليل والنهار أي عن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر

طلبا حثيثا متعاقبان لا يفترقان ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقوله افلا تعقلون اي افليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل شيء وخضع له كل شيء ۝ ثم قال مخبرا عن منكري البعث الذين اشبهوا من قبلهم من المكذبين بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون يعني يستبعدون ذلك بعد صيرورتهم الى البلى لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يعنون الاعادة محال انما يخبر بها من تلقاها عن كتب الاولين واختلافهم وهذا الانكار والتكذيب منهم كقوله تعالى اخبارا عنهم ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الآيات ۝

قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ۝

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى انه الذي لا اله الا هو ولا تنبغي العبادة الا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ان يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين بالربوبية وانه لا شريك له فيها ومع هذا قد اشركوا معه في الالهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا انهم يقربونهم اليه زلفى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال قل لمن الارض ومن فيها اي من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات وسائر صنوف المخلوقات ان كنتم تعلمون سيقولون لله اي فيعترفون لك بان ذلك لله وحده لا شريك له فاذا كان ذلك قل افلا تذكرون اي لا تذكرون انه لا تليق العبادة الا للخالق الرازق لا لغيره قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم اي من خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الاقطار منها والجهات

ومن

ومن هو رب العرش العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه ابو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شان الله اعظم من ذلك ان عرشه على سماواته هكذا واشار بيده مثل القبة وفي الحديث الآخر ما السماوات السبع والارضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة ولهذا قال بعض السلف ان مسافة ما بين قطري العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين الف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين الف سنة وقال الضحاك عن ابن عباس انما سمي عرشا لارتفاعه وقال الاعمش عن كعب الاحبار ان السماوات في العرش كالقنديل المعلق بين السماء والارض وقال مجاهد ما السماوات والارض في العرش الا كحلقة في ارض فلاة ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا العلا بن سالم ثنا وكيع ثنا سفيان الثوري عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال العرش لا يقدر احد قدره ۝ وفي رواية الا الله عز وجل وقال بعض السلف العرش من ياقوتة حمراء ۝ ولهذا قال هاهنا ورب العرش العظيم يعني الكبير وقال في آخر السورة رب العرش الكريم اي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة حمراء ۝ وقال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه ۝ وقوله سيقولون لله قل افلا تتقون اي اذا كنتم تعترفون بانه رب السماوات ورب العرش افلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره واشراككم به ۝ قال ابو بكر عبد الله بن محمد ابن ابي الدنيا القرشي في كتاب التفكر والاعتبار حدثني اسحق بن ابراهيم ثنا عبد الله ابن جعفر اخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث عن امراة كانت في الجاهلية على راس جبل معها ابن لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا امه من خلقك قالت الله قال فمن خلق ابي قالت الله قال فمن خلقني قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبل قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فاني اسمع لله شانا ثم القى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا الحديث قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا هذا الحديث ۝ قلت في اسناده عبد الله بن جعفر المديني والد الامام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فالله اعلم ۝ قل من بيده ملكوت كل شيء اي بيده الملك ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لا والذي نفسي بيده وكان اذا اجتهد في اليمين يقول لا ومقلب القلوب فهو سبحانه الخالق
المالك المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون كانت العرب اذا كان السيد فيهم
فاجار احدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه ان يجير عليه لئلا يفتات عليه ولهذا قال وهو يجير
ولا يجار عليه اى وهو السيد العظيم الذي لا اعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه
الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشا لم يكن وقال الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون
اي لا يسال عما يفعل لعظمته وكبريائه وقهره وغلبته وعزته وحكمته وعدله والخلق كلهم يسالون
عن اعمالهم كما قال تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون ۝ وقوله سيقولون لله
اى سيعترفون ان السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له
قل فانى تسحرون اي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم
بذلك ثم قال تعالى بل اتيناهم بالحق وهو الاعلام بانه لا اله الا الله واقمنا الادلة الصحيحة
الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكاذبون اى في عبادتهم مع الله غيره لا دليل لهم على ذلك
كما قال في آخر السورة ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه
انه لا يفلح الكافرون والمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم الى ما هم فيه من الافك والضلال
وانما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم واسلافهم الحيارى الجهال كما قالوا انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مقتدون ۝

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ۝

ينزه تعالى نفسه عن ان يكون له ولد او شريك في الملك فقال وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اى لو قدر تعدد الالهة لانفرد كل منهم
بما يخلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهد ان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي
والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل
منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى
وعبروا عنه بدليل التمانع وهو انه لو فرض صانعان فصاعدا فاراد واحد تحريك جسم
واراد الآخر سكونه فان لم يحصل مراد كل منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع
اجتماع مراديهما للتضاد وما جاء هذا المحال الا من فرض التعدد فيكون محالا فاما
ان حصل مراد احدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكنا لانه
لا

لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهورا ولهذا قال ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
اى عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد والشريك علوا كبيرا عالم الغيب والشهادة اى يعلم
ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس وتعالى
وعز وجل

قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني
في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن
اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون

يقول تعالى آمرا نبيه ان يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم رب اما تريني ما يوعدون
اي ان عاقبتهم وانا شاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الامام
احمد والترمذي وصححه واذا اردت بقوم فتنة فتوفني اليك غير مفتون ۝ وقوله
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون اى لو شئنا لاريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن
ثم قال مرشدا له الى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسيء اليه
ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال ادفع بالتي هي احسن
السيئة وهذا كما قال في الآية الاخرى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اى ما يلهم هذه الوصية
او الخصلة او الصفة الا الذين صبروا اى على اذى الناس فعاملوهم بالجميل مع اسدائهم
اليهم القبيح وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اى في الدنيا والآخرة ۝ وقوله وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين امره ان يستعيذ من الشياطين لانهم لا تنفع معهم الحيل
ولا ينقادون بالمعروف وقد قدمنا عند الاستعاذة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ۝ وقوله
واعوذ بك رب ان يحضرون اي في شيء من امري ولهذا امر بذكر الله في ابتداء الامور
وذلك مطردة للشيطان عند الاكل والجماع والذبح وغير ذلك من الامور ولهذا روى ابو
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك ان يتخبطني الشيطان
عند الموت ۝ وقال الامام احمد حدثنا يزيد انا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع
بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان

من الهدم واعوذ بك من التردي واعوذ بك

يحضرون قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ان يقولها عند نومه ومن كان
منهم صغيرا لا يعقل ان يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه ورواه ابو داود والترمذي والنسائي
من حديث محمد بن اسحق وقال الترمذي حسن غريب ○

حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين او المفرطين في امر الله تعالى
وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة الى الدنيا ليصلح ما كان افسده في مدة حياته ولهذا قال
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا كما قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل
ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من
الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون وقال تعالى وانذر
الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وقال تعالى يوم يقول الذين نسوه من
قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون ○ وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون وقال تعالى وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى
مرد من سبيل وقال تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به
تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير وقال تعالى وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من
من نصير فذكر تعالى انهم يسالون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور
ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات العذاب في الجحيم
وقوله هاهنا كلا انها كلمة هو قائلها فكلا حرف ردع وزجر اي لا نجيبه الى ما طلب
ولا نقبل منه وقوله انها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم اي لا بد
ان يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ويحتمل ان يكون ذلك علة لقوله كلا اي انها كلمة اي سؤاله
الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا ولكان يكذب

في مقالته هذه كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال محمد بن كعب
القرظي حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول
الجبار كلا انها كلمة هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة اذا سمعت الله يقول كلا
فانما يقول كذبت ○ قال قتادة في قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال
كان العلاء بن زياد يقول لينزلن احدكم نفسه انه قد حضره الموت فاستقال ربه فاقاله
فليعمل بطاعة الله عز وجل وقال قتادة والله ما تمنى ان يرجع الى اهل ولا الى عشيرة
ولكن تمنى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا امنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة الا
بالله ○ وعن محمد بن كعب نحوه ○ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا احمد بن يونس
ثنا فضيل يعني ابن عياض عن ليث عن طلحة بن مصرف عن ابي حازم عن ابي هريرة
قال اذا وضع يعني الكافر في قبره فيرى مقعده من النار فيقول رب ارجعون
اتوب واعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره
قال فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوي اليه هوام الارض حياتها وعقاربها ○
وقال ايضا حدثنا ابي ثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام ثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب
عن عائشة انها قالت ويل لاهل المعاصي من اهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود
او دهم حية عند راسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب
في البرزخ الذي قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وقال ابو صالح وغيره
في قوله ومن ورائهم يعني امامهم وقال مجاهد البرزخ الحاجز بين الدنيا والاخرة
وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والاخرة ليس مع اهل الدنيا ياكلون ويشربون
ولا مع اهل الاخرة يجازون باعمالهم وقال ابو صخر البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم
في الاخرة فهم مقيمون الى يوم يبعثون ○ وفي قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم تهديد
لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال من ورائهم جهنم وقال ومن ورائه
عذاب غليظ وقوله الى يوم يبعثون اي يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في
الحديث فلا يزال معذبا فيها اي في الارض ○

فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسالون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

يخبر تعالى انه اذا نفخ في الصور نفخة النشور وقام الناس من القبور فلا انساب بينهم
اي لا تنفع الانساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه قال الله تعالى ولا يسال حميم
حميما يبصرونهم اي لا يسال القريب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الاوزار ما قد اثقل
ظهره وهو كان اعز الناس عليه كان في الدنيا ما التفت اليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضه
قال الله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه وقال ابن مسعود اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم نادى
مناد الا من كان له مظلمة فليجى فليأخذ حقه قال فيفرح والله المرء ان يكون له الحق على والده
او ولده او زوجته وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا
انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن ابي حاتم وقال الامام احمد حدثنا
ابو سعيد مولى بني هاشم ثنا عبد الله بن جعفر ثنا حدثتنا ام بكر بنت المسور بن مخرمة
عن عبيد الله بن ابي رافع عن المسور هو ابن مخرمة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب تنقطع
الا نسبي وسببي وصهري وهذا الحديث له اصل في الصحيحين عن المسور ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما اذاها
وقال الامام احمد حدثنا ابو عامر ثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن ابي
سعيد الخدري عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر ما بال
رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنفع قومه بلى والله ان رحمي موصولة في
الدنيا والاخرة واني ايها الناس فرط لكم فاذا جئتم قال رجل يا رسول الله انا فلان بن فلان
وقال اخر انا فلان بن فلان فاقول لهم اما النسب فقد عرفت ولكنكم احدثتم بعدي وارتددتم
القهقرى وقد ذكرنا في مسند امير المومنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة
عنه رضي الله عنه انه لما تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب قال اما والله ما بي الا اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا
سببي ونسبي رواه الطبراني والبزار والهيثم بن كليب والبيهقي والحافظ الضياء في المختارة
وذكرنا انه اصدقها اربعين الفا اعظاما واكراما رضي الله عنه فقد روى الحافظ
ابن عساكر في ترجمة ابي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق ابي القسم البغوي حدثنا سليمان بن عمر بن الاقطع ثنا ابراهيم بن عبد السلام
عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري وروي فيها من طريق عمار
ابن سيف عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا سالت ربي
ان لا اتزوج الى احد من امتي ولا يتزوج الى احد منهم الا كان معي في الجنة فاعطاني ذلك
ومن حديث عمار بن سيف عن هشام بن اسمعيل عن عبد الله بن ابي اوفى مرفوعا نحوه
قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون اي من رجحت حسناته
على سيئاته ولو بواحدة قاله ابن عباس فاولئك هم المفلحون الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا
الجنة وقال ابن عباس اولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا
ومن خفت موازينه اي ثقلت سيئاته على حسناته فاولئك الذين خسروا انفسهم اي
خابوا وهلكوا وفازوا بالصفقة الخاسرة وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا
اسمعيل بن ابي الحرث ثنا داود بن المحبر ثنا صالح المري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد
ومنصور بن زاذان عن انس بن مالك يرفعه قال ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن ادم
فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلايق سعد
فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلايق
شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا اسناده ضعيف فان داود بن المحبر
متروك ولهذا قال في جهنم خالدون اي ماكثون فيها دائمون مقيمون لا يظعنون
تلفح وجوههم النار كما قال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم ولا هم ينصرون وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا فروة بن ابي
المغراء ثنا محمد بن ابي سليمان بن الاصبهاني عن ابي سنان ضرار بن مرة عن عبد الله بن ابي
الهذيل عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جهنم لما سيق اليها اهلها تلقتهم لهبها
ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب وقال ابن مردويه حدثنا
احمد بن محمد بن يحيى القزاز ثنا الخضر بن علي بن يونس القطان ثنا عمر بن ابي الحرث بن الخضر القطان
ثنا سعيد بن سعيد المقبري عن اخيه عن ابيه عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قول الله تلفح وجوههم النار قال تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على اعقابهم
وقوله وهم فيها كالحون قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون
وقال الثوري عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وهم فيها كالحون
قال الم تر الى الراس المشيط الذي قد بدا اسنانه وقلصت شفتاه وقال الامام احمد
اخبرنا علي بن اسحق انا عبد الله بن المبارك انا سعيد بن يزيد عن ابي السمح عن ابي الهيثم

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن صحيح غريب

ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ۝

هذا تقريع من الله تعالى لأهل النار وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك فقال ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون أي قد أرسلت إليكم الرسل وأنزلت الكتب وأزحت شبهكم ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين أي قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها فضللنا عنها ولم نرزقها ثم قالوا ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون أي ردنا إلى الدار الدنيا فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قالوا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير أي لا سبيل إلى الخروج لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون ۝

قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ۝

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار يقول اخسئوا فيها أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ولا تكلمون أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي قال العوفي عن ابن عباس اخسئوا فيها ولا تكلمون قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

على الله

نا عبيدة بن سليمان المروزي نا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم إنكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم قال فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان عن سلمة بن كهيل نا أبو الزعراء قال قال عبد الله بن مسعود إذا أراد الله أن لا يخرج منهم أحدا يعني من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يا رب فيقول من عرف أحدا فليخرجه فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول أنا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فعند ذلك يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر ۝ ثم قال تعالى مذكرا لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه فقال إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلي حتى أنسوكم ذكري أي حملكم بغضهم على أن نسيتم معاملتي وكنتم منهم تضحكون أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون أي يلمزونهم استهزاء ثم أخبر تعالى عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين فقال إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون أي جعلتهم هم الفائزون أي جعلتهم هم الفائزون بالسعادة والسلامة والجنة الناجون من النار ۝

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم ۝

يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله وعبادته لو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون قال كم لبثتم

في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين اي الحاسبين قال
ان لبثتم الا قليلا اي مدة يسيرة على تقدير لو انكم كنتم تعلمون اي لما آثرتم الفاني على الباقي
ولما تصرفتم لانفسكم هذا التصرف السيء ان استحقيتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة
ولو انكم صبرتم على عبادته وطاعته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا قال ابن ابي حاتم
حدثنا ابي حدثنا محمد بن الوزير حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن ايفع عن عبد الكلاعي انه سمعه
يخطب الناس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار قال يا اهل الجنة كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال لنعم
ما اتجرتم في يوم او بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ثم يقول
يا اهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فيقول بئس ما اتجرتم
في يوم او بعض يوم ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين ۝ وقوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اي افظننتم انكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا ارادة منكم
ولا حكمة لنا وانكم الينا لا ترجعون اي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال ايحسب الانسان
ان يترك سدى يعني مهملا وقوله فتعالى الله الملك الحق اي تقدس عن ان يخلق شيئا
عبثا فانه الملك الحق المنزه عن ذلك لا اله الا هو رب العرش الكريم فذكر العرش لانه
سقف جميع المخلوقات ووصفه بانه كريم اي حسن المنظر بهي الشكل كما قال وانبتنا فيها من
كل زوج كريم قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا اسحق
ابن سليمان شيخ من اهل العراق انا شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص
قال كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ان حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد
فانكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل
بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والارض
الم تعلموا انه لا يامن عذاب الله غدا الا من حذر هذا اليوم وخافه وباع نافدا بباق قليلا بكثير خوفا بامان
الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيكون من بعدكم للباقين حتى تردوا الى خير الوارثين
ثم انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى اجله
حتى تغيبوه في صدع من الارض في بطن صدع غير ممهد ولا موسد قد فارق الاحباب
وباشر التراب وواجه الحساب مرتهن بعمله غني عما ترك فقير الى ما قدم فاتقوا الله
قبل انقضاء مواثيقه ونزول الموت بكم ثم رفع طرف ردائه على وجهه فبكى وابكى
من حوله ۝ وقال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى بن نصر الخولاني ثنا ابن وهب

اخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش بن عبد الله ان رجلا مصابا مر به على ابن مسعود
فقرا في اذنه هذه الآية افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق
حتى ختم السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرات في اذنه فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال ۝
وروى ابو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن ابراهيم
الحرث عن ابيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وامرنا ان نقول اذا نحن
امسينا واصبحنا افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون قال فقراناها فغنمنا
وسلمنا ۝ وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا اسحق بن وهب العلاف الواسطي ثنا ابو عبد الرحمن
المقرئ ثنا سلم بن سلام ثنا بكر بن خنيس عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله
بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امان لامتي من الغرق اذا ركبوا في السفن
بسم الله الملك الحق وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم

ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر
وارحم وانت خير الراحمين ۝

يقول تعالى متوعدا من اشرك به غيره وعبد معه سواه ومخبرا ان من اشرك
بالله لا برهان له اي لا دليل له على قوله فقال ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وهذه
جملة معترضة وجواب الشرط في قوله فانما حسابه عند ربه اي الله يحاسبه على ذلك
ثم اخبر انه لا يفلح الكافرون اي لديه يوم القيامة فلا فلاح لهم ولا نجاة قال قتادة ذكر
لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل ما تعبد قال اعبد الله وكذا وكذا حتى عد اصناما
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فايهم اذا اصابك ضر فدعوته كشفه عنك قال الله عز وجل
قال فايهم اذا كانت لك حاجة فدعوته اعطاكها قال الله عز وجل قال فما حملك ان تعبد
هؤلاء معه اردت شكره بعبادة هؤلاء معه ام حسبت ان تغلب عليه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يعلمون بعد واسلم لقيت رجلا خصمني هذا مرسل من هذا الوجه ۝ وقد
روى ابو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن ابيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحو ذلك ۝ وقوله وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
هذا ارشاد من الله الى هذا الدعاء فالغفر اذا اطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس

والرحمة معنا بما ان يسدده ويوفقه في الاقوال والافعال . آخر سورة المومنون

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النور وهي مدنية

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم
تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون
بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المومنين .

يقول تعالى هذه سورة انزلناها فيه تنبيه الى الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها وفرضناها
قال مجاهد وقتادة اي بينا الحرام والحلال والامر والنهي والحدود قال البخاري
ومن قرا فرضناها يقول فرضنا عليكم وعلى من بعدكم وانزلنا فيها آيات بينات اي مفسرات
واضحات لعلكم تذكرون ثم قال تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة هذه
الاية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد وللعلماء فيه تفصيل ونزاع فان الزاني لا يخلو اما
ان يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج او محصنا وهو الذي قد وطي في نكاح صحيح وهو حر
بالغ عاقل فاما اذا كان بكرا لم يتزوج فان حده جلد مائة كما في الاية ويزاد على ذلك
ان يغرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده
ان التغريب الى راي الامام ان شا غرب وان شا لم يغرب وحجة الجمهور في ذلك
ما ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن
ابي هريرة وزيد بن خالد عن الاعرابيين اللذين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما
يا رسول الله ان ابني كان عسيفا يعني اجيرا على هذا فزنا بامراته فافتديت منه بمائة شاة
ووليدة فسالت اهل العلم فاخبروني ان على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امراة
هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله
الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا انيس لرجل
من اسلم الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها وفي
هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة اذا كان بكرا لم يتزوج فاما ان كان محصنا
فانه يرجم كما قال الامام مالك حدثني ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ان ابن عباس اخبره ان عمر قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اما بعد ايها الناس ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل

عليه آية الرجم فقراناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى
ان يطول بالناس زمان ان يقول قايل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك
فريضة انزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء
اذا قامت البينة او الحبل او الاعتراف . اخرجاه في الصحيحين من حديث
مالك مطولا وهذا قطعة منه فيها مقصودنا هنا وروى الامام احمد عن هشيم عن
الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف ان عمر
خطب الناس فسمعته يقول الا وان اناسا يقولون ما بال الرجم وفي كتاب الله الجلد وقد
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ولولا ان يقول قايلون ويتكلم متكلمون
ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لاثبتها كما نزلت واخرجه النساي من حديث
عبيد الله بن عبد الله . وقد روى احمد ايضا عن هشيم عن علي بن زيد عن يوسف
ابن مهران عن ابن عباس قال خطب عمر بن الخطاب فذكر الرجم فقال لا تخدعن
عنه فانه حد من حدود الله الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ولولا
ان يقول قايلون زاد عمر في كتاب الله ما ليس فيه لكتبت في ناحية من المصحف وشهد
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم
ورجمنا بعده الا وانه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم والدجال وبالشفاعة
وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا . وروى احمد ايضا عن
يحيى القطان عن يحيى الانصاري عن سعيد بن المسيب عن عمر اياكم ان تهلكوا عن آية الرجم
الحديث ورواه الترمذي من حديث سعيد عن عمر وقال صحيح وقال الحافظ ابو يعلى
الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يزيد بن زريع ثنا ابن عون عن محمد
هو ابن سيرين قال نبيت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد
كنا نقرا والشيخ والشيخة فارجموهما البتة قال مروان الا كتبتها في المصحف قال ذكرنا ذلك
وفينا عمر بن الخطاب فقال اشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فاتاه فذكر ذلك الرجل الرجم فقال يا رسول الله اكتبني
آية الرجم قال لا استطيع الان هذا او نحوه وقد رواه النساي عن محمد بن المثنى عن غندر
عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به وهذه
طرق كلها متعاضدة ودالة على ان آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولا به والله اعلم
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم المراة وهي زوجة الرجل الذي استاجر الاجير

لما زنت مع الاجير ورجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية وكل هولاء لم ينقل عن النبي
صلى الله عليه وسلم جلدهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحاح المتعددة الطرق والالفاظ
بالاقتصار على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلما
واليه ذهب ابو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله وذهب الامام احمد رحمه الله الى انه يجب ان
يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للاية والرجم للسنة كما روي عن امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه لما اتي بشراحة وكانت قد زنت وهي محصنة فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة
ثم قال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى الامام
احمد ومسلم واهل السنن الاربعة من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله
الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل
الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ۝ وقوله
ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله اي في حكم الله لا ترحموهما وترافوا بهما في شرع الله
وليس المنهي عنه الرافة الطبيعية على ترك الحد فانه لا يجوز ذلك قال مجاهد ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله قال اقامة الحدود اذا رفعت الى السلطان فتقام ولا تعطل وكذا
روي عن سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح ۝ وقد جاء في الحديث تعافوا الحدود
فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب وفي الحديث الاخر لحد يقام في الارض خير
لاهلها من ان يمطروا اربعين صباحا ۝ وقيل المراد ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم وليس المراد الضرب المبرح ۝
قال عامر الشعبي ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال رحمة في شدة الضرب
وقال عطا ضرب ليس بالمبرح وقال سعيد بن ابي عروبة عن حماد بن ابي سليمان
يجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلع ثيابه ثم تلا ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقلت
هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني في اقامة الحد وفي شدة الضرب
وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي ثنا وكيع عن نافع بن عمر
عن ابن ابي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ان جارية لابن عمر زنت فضرب رجليها
قال نافع اراه قال وظهرها قال قلت ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال يا بني ورايتني
اخذتني بها رافة ان الله لم يامرني ان اقتلها ولا ان اجعل جلدها في راسها وقد اوجعت
حيث ضربت ۝ وقوله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر اي فافعلوا ذلك اقيموا
الحدود على من زنا وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مبرحا ليرتدع هو ومن يصنع

مثله بذلك وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة انه قال يا رسول الله اني لاذبح الشاة
وانا ارحمها فقال ولك في ذلك اجر ۝ وقوله وليشهد عذابهما طايفة
من المومنين هذا فيه تنكيل للزانيين اذا جلدا بحضرة الناس فان ذلك يكون ابلغ في
زجرهما وانجع في ردعهما فان في ذلك تقريعا وتوبيخا وفضيحة اذا كان الناس حضوره
قال الحسن البصري في قوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين يعني علانية
ثم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وليشهد عذابهما طايفة من المومنين الطايفة الرجل
فما فوقه وقال مجاهد الطايفة رجل الى الف وكذا قال عكرمة ولهذا قال احمد
ان الطايفة تصدق على واحد وقال عطا بن ابي رباح اثنان وبه قال اسحق بن
راهويه وكذا قال سعيد بن جبير طايفة من المومنين يعني رجلين فصاعدا وقال الزهري
ثلاثة نفر فصاعدا وقال عبد الله بن وهب عن الامام مالك في قوله وليشهد
عذابهما طايفة من المومنين قال الطايفة اربعة نفر فصاعدا لانه لا يكون شهادة في
الزنا دون اربعة شهدا فصاعدا وبه قال الشافعي وقال ربيعة خمسة وقال
الحسن البصري عشرة وقال قتادة امر الله ان يشهد عذابهما طايفة من المومنين
اي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابي ثنا يحيى بن عثمان ثنا بقية قال سمعت نصر بن علقمة في قوله وليشهد
عذابهما طايفة من المومنين قال ليس ذلك للفضيحة انما ذاك ليدعا الله لهما بالتوبة والرحمة

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين ۝

هذا خبر من الله تعالى بان الزاني لا يطا الا زانية او لا يطاوعه على مراده
من الزنا الا زانية عاصية او مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك الزانية لا
ينكحها الا زان اي عاص بزناه او مشرك لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثوري
عن حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
قال ليس هذا بالنكاح انما هو الجماع لا يزني بها الا زان او مشرك ۝ وهذا اسناد
صحيح عنه وقد روي عنه من غير وجه ايضا وقد روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد
بن جبير وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك
وقوله وحرم ذلك على المومنين اي تعاطيه والتزويج بالبغايا او تزويج العفايف
بالفجار من الرجال قال ابو داود الطيالسي حدثنا قيس عن ابي حصين

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحرم ذلك على المومنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله
على المومنين نكاح البغايا وتقدم في ذلك فقال وحرم ذلك على المومنين ومثل هذه الاية قوله
تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان ٥ وقوله محصنين غير مسافحين
ولا متخذي اخدان الآية ٥ ومن ها هنا ذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله الى انه لا يصح
العقد من الرجل العفيف على المراة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب فان تابت صح العقد
عليها والا فلا وكذلك لا يصح تزويج المراة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة
صحيحة لقوله تعالى وحرم ذلك على المومنين ٥ وقال الامام احمد حدثنا
عارم ثنا معتمر بن سليمان قال قال ابي ثنا الحضرمي عن القسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو ان رجلا
من المسلمين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراة يقال لها ام مهزول كانت تسافح
وتشترط له ان تنفق عليه قال فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ذكر له امرها
قال فقرا عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ٥ وقال
النساي اخبرنا عمرو بن علي ثنا المعتمر بن سليمان عن ابيه عن الحضرمي عن القسم بن محمد
عن عبد الله بن عمرو قال كانت امراة يقال لها ام مهزول وكانت تسافح فاراد رجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوجها فانزل الله عز وجل والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين ٥ وقال الترمذي حدثنا
عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة عن عبيد الله بن الاخنس اخبرني عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده قال كان رجل يقال له مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة
قال وكانت امراة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وانه وعد رجلا من
اسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهيت الى ظل حايط من حوايط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت
عناق فابصرت سواد ظلي تحت الحايط فلما انتهت الي عرفت فقالت مرثد فقلت مرثد
فقالت مرحبا واهلا هلم فبت عندنا الليلة قال قلت يا عناق حرم الله الزنا قالت يا
اهل الخيام هذا الرجل يحمل اسراكم قال فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت الى غار
او كهف فدخلت فجاوا حتى قاموا على راسي فبالوا فظل بولهم على راسي وعماهم الله عني قال
ثم رجعوا ورجعت الى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى الاذخر ففككت عنه
اكبله فجعلت احمله ويعييني حتى قدمت المدينة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انكح عناقا انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيا
حتى نزلت الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرثد الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين فلا تنكحها قال الترمذي هذا حديث حسن
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ورواه ابو داود والنساي في كتاب النكاح من
سننهما من حديث عبيد الله بن الاخنس به ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا
ابي ثنا مسدد ابو الحسن ثنا عبد الوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله
وهكذا اخرجه ابو داود في سننه عن مسدد وابي معمر عبد الله بن عمرو كلاهما
عن عبد الوارث به ٥ وقال الامام احمد حدثنا يعقوب ثنا عاصم بن محمد بن زيد
ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن اخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال
اشهد لسمعت سالما يقول قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون
الجنة ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان بما
اعطى ٥ ورواه النساي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد
العمري عن عبد الله بن يسار به ٥ وقال الامام احمد ايضا حدثنا يعقوب
ثنا ابي ثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الاجدع عمن حدثه عن سالم
بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حرم الله
عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في اهله الخبث ٥ وقال ابو داود
الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار
عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ديوث ٥
يستشهد به لما قبله من الاحاديث ٥ وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن
عمار ثنا سلام بن سوار ثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت انس بن مالك يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج
الحراير ٥ في اسناده ضعف ٥ قال الامام ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري
في كتاب الصحاح في اللغة الديوث القنذع وهو الذي لا غيرة له ٥ فاما الحديث
الذي رواه الامام ابو عبد الرحمن النساي في كتاب النكاح من سننه اخبرنا محمد بن اسمعيل
ابن علية عن يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة وغيره عن هرون بن رياب عن
عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم
رفعه الى ابن عباس وهرون لم يرفعه قالا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

فقال ان عندي امراة من احب الناس الي وهي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال لا صبر لي عنها
قال استمتع بها ۞ ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوي
وهرون اثبت منه وقد ارسل الحديث وهو ثقة وحديثه اولى بالصواب من حديث عبد
الكريم قلت وهو ابن ابي المخارق البصري المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خالفه
هرون بن رئاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل اولى كما قال النسائي لكن
قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن اسحق بن راهويه عن النضر بن شميل عن حماد بن سلمة
عن هرون بن رئاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسندا فذكره فهذا الاسناد
رجاله على شرط مسلم الا ان النسائي بعد روايته له قال وهذا خطأ والصواب مرسل
ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي ايضا وابو داود عن الحسين بن حريث
انا الفضل بن موسى انا الحسين بن واقد عن عمارة بن ابي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا اسناد جيد وقد اختلف الناس في
هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي وكما قال الامام احمد هو حديث
منكر وقال ابن قتيبة انما اراد انها سخية لا تمنع سائلا وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم
فقال وقيل سخية تعطي ورد هذا بانه لو كان المراد لقال لا ترد يد ملتمس ۞
وقيل المراد ان سجيتها لا ترد يد لامس لا ان المراد ان هذا واقع منها وانها تفعل الفاحشة
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياذن في مصاحبة من هذه صفتها فان زوجها والحالة
هذه يكون ديوثا وقد تقدم الوعيد على ذلك ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها
ممانعة ولا مخالفة لمن اراده لو خلا بها احد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقها فلما
ذكر انه يحبها اباح له البقاء معها لان محبته لها محققة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار
الى الضرر العاجل لتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى اعلم ۞ قالوا فاما اذا حصلت توبة
فانه يحل التزويج كما قال الامام ابو محمد بن ابي حاتم رحمه الله حدثنا ابو سعيد
الاشج ثنا ابو خالد عن ابن ابي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس قال سمعت ابن عباس
وسأله رجل فقال اني كنت ألم بامراة آتي منها ما حرم الله عز وجل فرزق الله عز وجل من ذلك
توبة فاردت ان اتزوجها فقال اناس ان الزاني لا ينكح الا زانية فقال ابن عباس ليس هذا
في هذه انكحها فما كان من اثم فعلي ۞ وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية
منسوخة قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج ثنا ابو خالد عن يحيى بن سعيد
عن سعيد بن المسيب قال ذكر عنده الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
قال

قال كان يقال نسختها التي بعدها وانكحوا الايامى منكم قال كان يقال الايامى من
المسلمين وهكذا رواه الامام ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له
عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك ايضا الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ۞
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك
هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
هذه الآية فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة
فاذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه ايضا وليس في هذا نزاع بين العلماء فاما
ان اقام القاذف بينة على صحة ما قاله درئ عنه الحد ولهذا قال تعالى ثم لم ياتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون فاوجب
على القاذف اذا لم يقم بينة على صحة ما قاله ثلثة احكام احدها ان يجلد ثمانين جلدة
الثاني ان ترد شهادته دائما الثالث ان يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس
ثم قال تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اختلف
العلماء في هذا الاستثناء هل يعود الى الجملة الاخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى
مردود الشهادة دائما وان تاب او يعود الى الجملتين الثانية والثالثة اما الجلد فقد
ذهب وانقضى سواء تاب او اصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك
والشافعي واحمد بن حنبل الى انه اذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص
عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف ايضا وقال الامام ابو حنيفة
انما يعود الاستثناء الى الجملة الاخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة
ابدا وممن ذهب اليه من السلف القاضي شريح وابراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول
وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وان تاب الا ان يعترف
على نفسه بانه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته والله اعلم ۞
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ
عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا

فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم

هذه الآية الكريمة فيها فرج للازواج وزيادة مخرج اذا قذف احدهم زوجته
وتعسر عليه اقامة البينة ان يلاعنها كما امر الله عز وجل وهو ان يحضرها
الى الامام فيدعي عليها بما رماها به من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فاذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من
العلماء وحرمت عليه ابدا ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ولا يدرا عنها الا ان تلاعن
فتشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين اي فيما رماها به والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال تعالى ويدرا عنها العذاب يعني الحد ان تشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من
الصادقين فخصها بالغضب لان الغالب ان الرجل لا يتجشم فضيحة اهله ورميها بالزنا الا
وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها
ان غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه ثم ذكر تعالى
لطفه بخلقه ورافته بهم في شرعه لهم الفرج والمخرج من شدة ما يكونون فيه
من الضيق فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لحرجتم ولشق عليكم كثير من اموركم
وان الله تواب على عباده وان كان بعد الحلف والايمان المغلظة حكيم فيما يشرعه
ويامر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية
وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت من الصحابة فقال الامام احمد حدثنا
يزيد انا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات
ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا قال سعد بن عبادة
وهو سيد الانصار اهكذا انزلت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور والله ما
تزوج امراة قط فاجترا رجل منا ان يتزوجها من شدة غيرته فقال سعد والله يا رسول
الله اني لاعلم انها حق وانها من الله ولكني تعجبت اني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل
لم يكن لي ان اهيجه ولا احركه حتى اتي باربعة شهداء فوالله لا اتي بهم حتى يقضي حاجته قال فما
لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من ارضه عشاء
فوجد عند اهله رجلا فراى بعينيه وسمع باذنيه فلم يهجه حتى اصبح فغدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرايت بعيني

وسمعت

وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الانصار
فقالت قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الان يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن امية
ويبطل شهادته في الناس فقال هلال والله اني لارجو ان يجعل الله لي منها مخرجا
وقال هلال يا رسول الله اني قد ارى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم اني لصادق
فوالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ انزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي وكان اذا انزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد جلده يعني فامسكوا عنه حتى فرغ
من الوحي فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين الآية فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشر
يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال قد كنت ارجو ذلك من ربي عز وجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليها فارسلوا اليها فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهما وذكرهما واخبرهما ان عذاب الآخرة اشد من عذاب الدنيا فقال
هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليها فقالت كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فلما كان في
الخامسة قيل يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان هذه
الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها
فشهد في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اتقي الله فان
عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة عليك العذاب فتلكات
ساعة ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليها ان
كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان لا يدعى ولدها لاب
ولا يرمى ولدها ومن رماها او رمى ولدها فعليه الحد وقضى ان لا قوت لها من اجل
انهما يتفرقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال ان جاءت به اصيهب اريسح
حمش الساقين فهو لهلال وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الاليتين
فهو للذي رميت به فجاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الاليتين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شان ٥ قال عكرمة فكان بعد
ذلك اميرا على مصر وكان يدعى لامه ولا يدعى لاب ٥ ورواه ابو داود عن الحسن بن علي
عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرا ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها
من وجوه كثيرة فمنها ما قال البخاري حدثني محمد بن بشار ثنا ابن ابي عدي

عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امرأته
عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك
فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله
ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل فانزل عليه والذين يرمون ازواجهم فقرأ حتى بلغ
ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليهما فجاء هلال فشهد
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت
فلما كان عند الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا
انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابصروها
فان جاءت به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن انفرد
به البخاري من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره
وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا يونس بن محمد ثنا صالح
وهو ابن عمر ثنا عاصم يعني ابن كليب عن ابيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل
يردده حتى انزل الله والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم حتى فرغ من
الآيتين فارسل اليهما فدعاهما فقال ان الله عز وجل قد انزل فيكما فدعا الرجل
فقرأ عليه فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ثم امر به فامسك على فيه
فوعظه فقال له كل شيء اهون عليك من لعنة الله ثم ارسله فقال لعنة الله عليه ان كان
من الكاذبين ثم دعاها فقرأ عليها فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم امر
بها فامسك على فيها فوعظها وقال ويحك كل شيء اهون من غضب الله ثم ارسلها
فقالت غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله
لاقضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة اكثر غاشية منه فقال
ان جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا وان جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا فجاءت به يشبه الذي
قذفت به وقال الامام احمد حدثنا يحيى ثنا عبد الملك بن ابي سليمان قال سمعت سعيد
ابن جبير قال سئلت عن المتلاعنين ايفرق بينهما في امارة ابن الزبير فما دريت ما اقول
فقمت من مكاني الى منزل ابن عمر فقلت ابا عبد الرحمن المتلاعنان ايفرق بينهما فقال

سبحان

سبحان الله ان اول من سأل عن ذلك فلان بن فلان قال يا رسول الله ارأيت الرجل
يرى امرأته على فاحشة فان تكلم تكلم بامر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك
فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك اتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به فانزل الله هؤلاء
الآيات في سورة النور والذين يرمون ازواجهم حتى بلغ ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فبدأ بالرجل فوعظه وذكره واخبره ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة فقال والذي
بعثك بالحق ما كذبتك ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها واخبرها ان عذاب الدنيا اهون من
عذاب الآخرة فقالت والذي بعثك بالحق انه لكاذب قال فبدأ بالرجل فشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ثنى بالمرأة فشهدت
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير عن عبد الملك بن ابي سليمان به واخرجاه في الصحيحين
من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ه وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن
حماد ثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابرهيم عن عبد الله قال كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد
فقال رجل من الانصار احدنا اذا رأى مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه
وان سكت سكت على غيظ والله لئن اصبحت صالحا لاسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فسأله فقال يا رسول الله احدنا اذا رأى مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه وان
سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال فانزل آية اللعان فكان ذلك الرجل اول من
ابتلي به انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الاعمش به ه
وقال احمد ايضا حدثنا ابو كامل ثنا ابرهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد
قال جاء عويمر الى عاصم بن عدي فقال سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت رجلا وجد
رجلا مع امرأته فقتله ايقتل به ام كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل فقال عويمر والله لآتين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلأسألنه فاتاه فوجده قد انزل عليه فيها قال فدعا بهما فلاعن بينهما قال عويمر
ان انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت عليها قال ففارقها قبل ان يأمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان
جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا قد صدق وان جاءت به احيمر
كأنه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه اخرجاه في الصحيحين وبقية
الجماعة الا الترمذي من طرق عن الزهري به ه وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا

قال فلقيه عويمر فقال ما صنعت
قال ما صنعت انك لم تأتني
بخير سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل

اسحق بن الضيف ثنا النضر بن شميل ثنا يونس بن ابي اسحق عن ابيه عن زيد بن يثيع عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لو رايت مع ام رومان رجلا ما كنت فاعلا به
قال كنت والله فاعلا به شرا قال فانت يا عمر قال كنت والله قاتله كنت اقول لعن الله الاعجز
وانه خبيث قال فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدآء الا انفسهم ثم قال
لا نعلم احدا اسنده الا النضر بن شميل عن يونس بن ابي اسحق ثم رواه من حديث الثوري
عن ابي اسحق عن زيد بن يثيع مرسلا فالله اعلم وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا
مسلم بن ابي مسلم الجرمي ثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن انس بن مالك
قال لاول لعان كان في الاسلام ان شريك بن سحما قذفه هلال بن امية بامراته فرفعته الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة شهود والا فحد في ظهرك
فقال يا رسول الله ان الله يعلم اني لصادق ولينزلن الله عليك ما يبرى به ظهري من الجلد
فانزل الله اية اللعان والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدآء الا انفسهم الى اخر الاية
قال فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد بالله انك لمن الصادقين فيما رميتها به
من الزنا فشهد بذلك اربع شهادات بالله ثم قال له في الخامسة ولعنة الله عليك ان كنت
من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قومي
فاشهدي بالله انه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك اربع شهادات
ثم قال لها في الخامسة وغضب الله عليك ان كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا
فقالت فلما كان في الرابعة او الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا انها ستعترف ثم قالت
لا افضح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وقال انظروا فان جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحما وان جاءت به ابيض
سبطا قضي العينين فهو لهلال بن امية فجاءت به ادم جعدا حمش الساقين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شان

ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا
لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم

هذه الايات العشر كلها نزلت في شان عايشة ام المومنين رضي الله عنها
حين رماها اهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية
التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله عليه فانزل الله براتها صيانة لعرض الرسول

علي

عليه افضل الصلاة والسلام فقال ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم اي جماعة يعني ما هو واحدا
ولا اثنين بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين
فانه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في اذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه
اخرون منهم وبقي الامر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القران وسياق ذلك في
الاحاديث الصحيحة قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن
الزهري قال اخبرني سعيد بن المسيب عن عروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك
ما قالوا فبراها الله وكلهم حدثني بطايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض
واثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد الحديث الذي حدثني وبعضهم يصدق بعضا
ذكروا ان عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد ان يخرج سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
معه قالت عايشة فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الحجاب فانا احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى
اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل ودنونا من المدينة اذن ليلة
بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني
اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست
عقدي فحبسني ابتغاوه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه على
بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه قالت وكانت النسا اذ ذاك خفافا لم يهبلن
ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه
وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر
الجيش فجيت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت
ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان
صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى
سواد انسان نايم فاتاني فعرفني حين راني وقد كان يراني قبل ان يضرب علي الحجاب
فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته فوطي على يدها فركبتها فانطلق يقود
بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شاني

وكان الذي تولى كبره عبد الله بن ابي بن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا
شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في
وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما
يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعدما
نقهت وخرجت مع ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك
قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التنزه وكنا نتاذى بالكنف
ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف
وامها ابنة صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب
فاقبلت انا وابنة ابي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت
تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا قالت اي هنتاه الم تسمعي
ما قال قلت وما ذا قال قالت فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت
الى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت اتاذن لي ان آتي ابوي
قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله فجئت ابوي فقلت لامي
يا امتاه ما يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة
عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت قلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا
قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما
في فراق اهله قالت فاما اسامة بن زيد فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا
واما علي بن ابي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال الجارية تصدقك
قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شيء يريبك
من عايشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ان رايت عليها امرا قط اغمصه عليها
اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتي الداجن فتاكله فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما
علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي
فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال اعذرك الله منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا

عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا امرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد
الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا
تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت
لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا
ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله يخفضهم حتى سكتوا وسكت
قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقا لي دمع ولا
اكتحل بنوم وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي
استاذنت علي امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن على ذلك
دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما
قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك
الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم
تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما
احس منه قطرة قلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما ادري
ما اقول لرسول الله فقلت لامي اجيبي رسول الله فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله قالت
فقلت وانا جارية حديثة السن لا احفظ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم
بهذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني
بريئة لا تصدقوني واني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وانا والله
حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني
وحي يتلى ولشاني كان احقر في نفسي من ان يتكلم الله في بامر يتلى ولكن كنت ارجو
ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من اهل البيت احد حتى انزل الله على نبيه فاخذه ما كان
ياخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي
من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك
كان اول كلمة تكلم بها ان قال ابشري يا عايشة اما الله فقد براك فقالت لي امي قومي
اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله عز وجل هو الذي انزل براءتي وانزل الله عز وجل ان

الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فانزل الله هذه الايات في براءتي قالت فقال ابو بكر
رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق عليه شيئا بعد
الذي قال لعايشه فانزل الله عز وجل ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعه الى الا تحبون ان
يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان
ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا قالت عايشه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال زينب
بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن امري ما علمت او ما رايت فقالت يا رسول الله احمي
سمعي وبصري والله ما علمت الا خيرا قالت عايشه وهي التي كانت تساميني من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنه بنت جحش تحارب لها
فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذا ما انتهى الينا من امر هولاء الرهط ٥ اخرجه البخاري
ومسلم في صحيحيهما من حديث الزهري وهكذا رواه ابن اسحق عن الزهري كذلك
قال وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عايشه وحدثني عبد الله بن
ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري عن عمرة عن عايشه بنحو ما تقدم والله اعلم ٥
ثم قال البخاري وقال ابو اسامه عن هشام بن عروه اخبرني ابي عن عايشه رضي الله عنها
قالت لما ذكر من شاني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيبا فتشهد
فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي وايم الله ما علمت
على اهلي من سوء وابنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا دخل بيتي قط الا وانا حاضر
ولا غبت في سفر الا غاب معي فقام سعد بن عباده الانصاري فقال ايذن لي يا رسول الله ان
اضرب اعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت ام حسان من رهط ذلك الرجل فقال كذبت
اما والله ان لو كانوا من الاوس ما احببت ان تضرب اعناقهم حتى كاد ان يكون بين الاوس
والخزرج شر في المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي
ومعي ام مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت اي ام تسبين ابنك وسكتت ثم عثرت
الثانيه فقالت تعس مسطح فقلت لها اي ام تسبين ابنك ثم عثرت الثالثه فقالت تعس
مسطح فانتهرتها فقالت والله ما اسبه الا فيك فقلت في اي شاني قالت فبقرت لي الحديث
فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله فرجعت الى بيتي كان الذي خرجت له لا اجد قليلا
ولا كثيرا ووعكت وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني الى بيت ابي فارسل معي الغلام
فدخلت الدار فوجدت ام رومان في السفل وابا بكر فوق البيت يقرا فقالت امي ما جاء بك
يا بنيه فاخبرتها وذكرت لها الحديث واذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني قلت وقد علم به ابي قالت

نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم ورسول الله فاستعبرت وبكيت فسمع
ابو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرا فنزل فقال لامي ما شانها قالت بلغها الذي ذكر من شانها
ففاضت عيناه وقال اقسمت عليك اي بنيه الا رجعت الى بيتك فرجعت ولقد
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسال عني خادمي فقالت لا والله ما علمت عليها عيبا
الا انها كانت ترقد حتى تدخل الشاه فتاكل خميرها او عجينها وانتهرها بعض اصحابه
فقال اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسقطوا لها به فقالت سبحان الله
والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ الامر ذلك الرجل
الذي قيل له فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط قالت عايشه فقتل شهيدا
في سبيل الله قالت واصبح ابواي عندي فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفني ابواي عن يميني وعن شمالي فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اما بعد يا عايشه ان كنت قارفت سوءا او ظلمت فتوبي الى الله فان الله يقبل
التوبه عن عباده قالت وجاءت امراه من الانصار وهي جالسه بالباب فقلت الا
تستحيي من هذه المراه ان تذكر شيئا فوعظ رسول الله صلى الله فالتفت الى ابي فقلت اجبه
قال فماذا اقول فالتفت الى امي فقلت اجيبيه قالت اقول ماذا فلما لم يجيبا تشهدت فحمدت
الله واثنيت عليه بما هو اهله ثم قلت اما بعد فوالله لين قلت لكم اني لم افعل والله يشهد
اني لصادقه ما ذاك بنافعي عندكم لقد تكلمتم به واشربته قلوبكم وان قلت اني قد
فعلت والله يعلم اني لم افعل لتقولن قد باءت به على نفسها واني والله ما اجد لي ولكم
مثلا والتمست اسم يعقوب فلم اقدر عليه الا ابا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه
واني لاتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول البشرى يا عايشه فقد
انزل الله براءتك قالت فكنت اشد ما كنت غضبا فقال لي ابواي قومي اليه فقلت لا
والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما ولكن احمد الله تعالى الذي انزل براءتي لقد سمعتموه فما انكرتموه
ولا غيرتموه وكانت عايشه تقول اما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل
الا خيرا واما اختها حمنه بنت جحش فهلكت فيمن هلك وكان الذي يتكلم فيه مسطح
وحسان بن ثابت واما المنافق عبد الله بن ابي بن سلول فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه
وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنه قالت وحلف ابو بكر ان لا ينفع مسطحا بنافعه
ابدا فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى اخر الايه يعني ابا بكر والسعه

ان يؤتوا اولي القربى يعني مسطحا الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
قال ابو بكر بلى والله يا ربنا انا نحب ان تغفر لنا وعاد له بما كان يصنع هكذا رواه البخاري
من هذا الوجه معلقا بصيغة الجزم عن ابي اسامة حماد بن اسامة احد الائمة الثقات
وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن ابي اسامة به مطولا مثله او نحوه ورواه ابن
ابي حاتم عن ابي سعيد الاشج عن ابي اسامة ببعضه ٥ وقال الامام احمد حدثنا
هشيم انا عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن عائشة قالت لما نزل عذري من السماء جاءني النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا بحمدك ٥ وقال الامام احمد حدثنا
ابن ابي عدي عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن عمرة عن عائشة قالت لما نزل عذري
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل امر برجلين وامراة فضربوا
حدهم واخرجه اهل السنن الاربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند ابي
داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فهذه طرق متعددة
عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها وقد روي
في حديث امها ام رومان رضي الله عنها فقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم
انا حصين عن ابي وائل عن مسروق عن ام رومان قالت بينا انا عند عائشة اذ دخلت
عليها امراة من الانصار فقالت فعل الله بابنها وفعل فقالت عائشة ولم قالت انه كان فيمن
حدث الحديث قالت عائشة واي حديث قالت كذا وكذا قالت وقد بلغ ذاك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت نعم وبلغ ابا بكر قالت نعم قالت فخرت عائشة رضي الله عنها مغشيا
عليها فما افاقت الا وعليها حمى بنافض قالت فقمت فدثرتها قالت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما شان هذه قلت يا رسول الله اخذتها حمى بنافض قال فلعله من حديث تحدث
به قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن اعتذرت
اليكم لا تعذروني فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون
قالت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرها فرجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم معه ابو بكر فدخل فقال يا عائشة ان الله قد انزل عذرك فقالت بحمد الله لا
بحمدك فقال لها ابو بكر اتقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وكان
فيمن حدث الحديث رجل كان يعوله ابو بكر فحلف ابو بكر ان لا يصله فانزل الله ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال ابو بكر بلى فوصله تفرد به البخاري دون
مسلم من طريق حصين وقد رواه البخاري عن موسى بن اسماعيل عن ابي عوانة عن محمد بن سلام

عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به وفي لفظ ابي عوانة حدثتني ام رومان وهذا
صريح في سماع مسروق منها وقد انكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب
البغدادي وذلك لما ذكره اهل التاريخ انها ماتت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الخطيب وقد كان مسروق يرسل فيقول سئلت ام رومان ويسوقه فلعل بعضهم
كتب سئلت بالف فاعتقد الراوي انها سالت فظنه متصلا قال الخطيب وقد
رواه البخاري كذلك ولم يظهر له علته كذا قال والله اعلم ورواه بعضهم عن مسروق عن
عبد الله بن مسعود عن ام رومان فالله اعلم ٥ فقوله ان الذين جاؤوا بالافك
اي بالكذب والبهت والافتراء عصبة اي جماعة منكم لا تحسبوه شرا لكم اي يا آل ابي بكر
بل هو خير لكم اي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة
واظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة ام المؤمنين حيث انزل تعالى براءتها في
القرآن العظيم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولهذا
لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وهي في سياق الموت قال لها ابشري
فانك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ولم يتزوج بكرا غيرك ونزل براءتك
من السماء ٥ وقال ابن جرير في تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطي
ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت
عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب انا التي نزل تزويجي قال وقالت عائشة
انا الذي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة
ما قلت حين ركبتيها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين ٥
وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي لكل من تكلم في هذه القضية
ورمى ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب
والذي تولى كبره قيل ابتدا به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه
له عذاب عظيم اي على ذلك ثم الاكثرون على ان المراد بذلك انما هو عبد الله بن ابي بن
سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير
واحد وقيل بل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا انه وقع في
صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لايراده كبير فائدة فانه من الصحابة
الذين لهم فضائل ومناقب وماثر واحسن ماثره انه كان يذب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معك

وقال الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق قال كنت عند عايشه فدخل حسان ابن ثابت فامرت فالقي له وساده فلما خرج قلت لعايشه ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي روايه قيل لها اتاذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت واي عذاب اشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله ان يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي روايه انه انشدها عندما دخل عليها شعرا يمتدحها به فقال

حصان رزان ما تزن بريبه   وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت اما انت فلست كذلك وفي روايه لكنك لست كذلك ٥ وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعه ثنا مسلمه بن علقمه ثنا داود عن عامر عن عايشه انها قالت ما سمعت بشي احسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنه قوله لابي سفيان يعني ابن الحرث بن عبد المطلب

هجوت محمدا واجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء
اتشتمه ولست له بكفو   فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه   وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا ام المومنين اليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النسا قيل اليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت اليس قد اصابه عذاب عظيم اليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف يعني الضربه التي ضربها اياه صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه انه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد ان يقتله ٥

ولولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم
خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاوا عليه باربعه شهدا
فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون

هذا تاديب من الله المومنين في قضيه عايشه رضي الله عنها حين افاض بعضهم في ذلك الكلام السي وما ذكر في شان الافك فقال لولا يعني هلا اذ سمعتموه اي ذلك الكلام الذي رميت به ام المومنين ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا اي قاسوا ذلك الكلام على انفسهم فان كان لا يليق بهم فام المومنين اولى بالبراه منه بطريق الاولى والاحرى وقد قيل انها نزلت في ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري وامراته

رضي الله عنها كما قال الامام محمد بن اسحق بن يسار عن ابيه عن بعض رجال بني النجار ان ابا ايوب خالد بن زيد قالت له امراته ام ايوب يا ابا ايوب اما تسمع ما يقول الناس في عايشه رضي الله عنها قال نعم وذلك الكذب اكنت فاعله ذلك يا ام ايوب قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعايشه والله خير منك قال فلما نزل القران ذكر الله عز وجل من قال في الفاحشه ما قال من اهل الافك ان الذين جاوا بالافك عصبه منكم وذلك حسان واصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال ولولا اذ سمعتموه ظن المومنون الايه اي كما قال ابو ايوب وصاحبته ٥

وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن ابي حبيب عن داود بن الحصين عن ابي سفيان عن افلح مولى ابي ايوب ان ام ايوب قالت لابي ايوب الا تسمع ما يقول الناس في عايشه قال بلى وذلك الكذب افكنت يا ام ايوب فاعله ذلك قالت لا والله قال فعايشه والله خير منك فلما نزل القران وذكر اهل الافك قال الله عز وجل لولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين يعني ابا ايوب حين قال لام ايوب قال ويقال انما قالها ابي بن كعب ٥ وقوله وقالوا هذا افك مبين اي هلا ظنوا الخير فان ام المومنين اهله واولى به هذا ما يتعلق بالباطن وقالوا اي بالسنتهم هذا افك مبين اي كذب ظاهر على ام المومنين فان الذي وقع لم يكن ريبه وذلك ان مجي ام المومنين راكبه جهره على راحله صفوان بن المعطل في وقت الظهيره والجيش بكماله يشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم لو كان هذا الامر فيه ريبه لم يكن هكذا جهره ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رووس الاشهاد بل كان يكون هذا لو قدر خفيه مستورا فتعين ان ما جا به اهل الافك مما رموا به ام المومنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونه الفاحشه والصفقه الخاسره قال الله تعالى لولا اي هلا جاوا عليه اي على ما قالوه باربعه شهدا يشهدون على صحه ما جاوا به فاذ لم ياتوا بالشهدا فاولئك عند الله هم الكاذبون اي في حكم الله كذبه فاجرون ٥

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخره لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

يقول ولولا فضل الله عليكم في الدنيا والاخره ايها الخايضون في شان عايشه بان قبل توبتكم وانابتكم اليه في الدنيا وعفا عنكم لايمانكم بالنسبه الى الدار الاخره لمسكم فيما افضتم فيه اي من قضيه الافك عذاب عظيم وهذا فيمن عنده ايمان رزقه الله بسببه

التوبة اليه كمسطح وحسان وحمنه بنت جحش اخت زينب بنت جحش فاما من خاض
فيه من المنافقين كعبد الله بن ابي بن سلول واضرابه فليس اوليك مرادين في هذه
الايه ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه وهكذا
شان ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبه او ما يقابله
من عمل صالح يوازنه او يرجح عليه ثم قال تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قال مجاهد وسعيد بن
جبير اي يرويه بعضكم عن بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكره
بعضهم كذا وقرا اخرون اذ تلقونه بالسنتكم وفي صحيح البخاري عن عايشه انها كانت
تقراوها كذلك وتقول هو من ولق القول يعني الكذب الذي يستمر صاحبه فيه والقراه
الاولى اشهر وعليها الجمهور ولكن الثانيه مرويه عن ام المومنين عايشه ه قال
ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج ثنا ابو اسامه عن نافع بن عمر عن ابن ابي
مليكه عن عايشه انها كانت تقول اذ تلقونه وتقول هو ولق القول قال ابن ابي مليكه
هي اعلم به من غيرها ه وقوله وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي
تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اي تقولون ما تقولون
في شان ام المومنين وتحسبون ذلك يسيرا سهلا ولو لم تكن زوجه النبي صلى الله عليه وسلم
الامي خاتم الانبيا وسيد المرسلين فعظيم عند الله ان يقال في زوجه رسوله ما قيل فالله تعالى
لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجه نبي من انبيايه ذلك حاشى وكلا ولما لم فكيف
يكون هذا في سيده نسا الانبيا وزوجه سيد ولد ادم على الاطلاق في الدنيا والاخره
ولهذا قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين ان الرجل ليتكلم بالكلمه
من سخط الله لا يدري ما تبلغ يهوي بها في النار ابعد ما بين السما والارض وفي
روايه لا يلقي لها بالا ه

ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مومنين ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ه

هذا تاديب اخر بعد الاول الامر بالظن خيرا اي اذا ذكر ما لا يليق من القول في شان
الخيره فاولى ينبغي الظن بهم خيرا وان لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم ان علق بنفسه شي من ذلك
وسوسه او خيالا فلا ينبغي ان يتكلم به فان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تقل
او تعمل ه اخرجاه في الصحيحين وقال الله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون

١٤١
لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي لنا ان نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لاحد سبحانك هذا
بهتان عظيم اي سبحان الله ان يقال هذا الكلام على زوجه رسوله وحليله خليله ثم قال
تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي فيما يستقبل ولهذا قال ان كنتم مومنين
اي ان كنتم تومنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم فاما من كان
متصفا بالكفر فذاك له حكم اخر ثم قال ويبين الله لكم الايات اي يوضح لكم الاحكام
الشرعيه والحكم القدريه والله عليم حكيم اي عليم بما يصلح عباده حكيم في
شرعه وقدره ه

ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشه في الذين
امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخره
والله يعلم وانتم لا تعلمون ه

وهذا تاديب ثالث لمن سمع شيا من الكلام السيء فقام بذهنه منه شي وتكلم
به فلا يكثر منه ويشيعه ويذيعه فقد قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشه في الذين امنوا اي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح لهم عذاب اليم في الدنيا اي بالحد
وفي الاخره بالعذاب والله يعلم وانتم لا تعلمون اي فردوا الامور اليه ترشدوا ه
وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون ابو محمد
المراي ثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا توذوا عباد الله
ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عوره اخيه المسلم طلب الله عورته
حتى يفضحه في بيته ه

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم
يايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا ولكن الله يزكي من يشا والله سميع عليم ه

يقول تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله روف رحيم اي لولا هذا
لكان امرا اخر ولكنه تعالى روف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب اليه من
هذه القضيه وطهر من طهر منهم بالحد الذي اقيم عليهم ثم قال يايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني طرايقه ومسالكه وما يامر به ومن يتبع خطوات

الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر فهذا تنفير وتحذير من ذلك بافصح العبارة وابلغها واوجزها واحسنها قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس خطوات الشيطان عمله وقال عكرمه نزغاته وقال قتاده كل معصيه فهي من خطوات الشيطان وقال مسروق سال رجل ابن مسعود فقال اني حرمت ان اكل طعاما وسماه فقال هذا من نزغات الشيطان كفر عن يمينك وكل وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده هذا من نزغات الشيطان وافتاه ان يذبح كبشا وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد حدثنا حسان بن عبد الله المصري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن ابي رافع قال غضبت على امراتي فقالت هي يوما يهوديه ويوما نصرانيه وكل مملوك لها حر ان لم تطلق امراتك فاتيت عبد الله فقال انما هذه من نزغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت ام سلمه وهي يوميذ افقه امراه بالمدينه واتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك ثم قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا اي لولا هو يرزق من يشا التوبه اليه والرجوع اليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من اخلاق رديه كل بحسبه لما حصل احد لنفسه زكا ولا خيرا ولكن الله يزكي من يشا اي من خلقه ويضل من يشا ويرديه في مهالك الضلال والغي وقوله والله سميع عليم اي سميع لاقوال عباده عليم بهم بمن يستحق الهدى او الضلال

ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعه ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم

يقول تعالى ولا ياتل من الاليه وهي الحلف اي لا يحلف اولوا الفضل منكم اي الطول والصدقه والاحسان والسعه اي الجده ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله اي لا يحلفوا ان لا يصلوا اقرباهم المساكين المهاجرين وهذا في غايه الترفق والعطف على صله الارحام ولهذا قال وليعفوا وليصفحوا اي عما تقدم منهم من الاسا والاذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لانفسهم وهذه الايه نزلت في الصديق حين حلف ان لا ينفع مسطح بن اثاثه بنافعه بعد ما قال في عايشه ما قال كما تقدم في الحديث فلما انزل الله براه ام المومنين وطابت النفوس المومنه واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المومنين في ذلك واقيم الحد على من اقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنه يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن اثاثه فانه كان ابن خاله الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما ينفق عليه ابو بكر رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد ولق ولقه تاب الله عليه منها وكان الصديق رضي الله عنه معروفا بالمعروف له الفضل والايادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الايه الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم اي فان الجزا من جنس العمل فكما تغفر عن المذنب اليك يغفر لك وكما تصفح نصفح عنك فعند ذلك قال الصديق بلى والله انا نحب يا ربنا ان تغفر لنا ثم رجع الى مسطح ما كان يصله من النفقه وقال والله لا انزعها منه ابدا في مقابله ما كان قال والله لا انفعه بنافعه ابدا فلهذا كان الصديق هو الصديق

ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوميذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج الغالب المومنات فامهات المومنين اولى بالدخول في هذا من كل محصنه ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عايشه بنت الصديق رضي الله عنها وقد اجمع العلما رحمهم الله قاطبه على ان من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به الذين ذكروا في هذه الايه فانه كافر لانه معاند للقران وفي بقيه امهات المومنين قولان اصحهما انهن كهي والله اعلم وقوله لعنوا في الدنيا والاخره ولهم عذاب عظيم كقوله ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخره واعد لهم عذابا مهينا وقد ذهب بعضهم الى انها خاصه بعايشه فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا عبد الله بن خراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين يرمون المحصنات الغافلات قال نزلت في عايشه خاصه وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وقد ذكره ابن جرير عن عايشه فقال حدثنا احمد بن عبده الضبي حدثنا ابو عوانه عن عمر بن ابي سلمه عن ابيه قال قالت عايشه رميت بما رميت به وانا غافله فبلغني بعد ذلك قالت فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس اذ اوحي اليه قالت وكان اذا اوحي اليه اخذه كهيه السبات وانه اوحي اليه وهو جالس

عندي ثم استوى جالسًا يمسح على وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت فقلت بحمد الله
لا بحمدك فقرأ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك مبرؤون
مما يقولون . هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها وإنما فيه أنها سبب النزول
دون غيرها وإن كان الحكم يعمها كغيرها ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله أعلم
وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط المراد بها أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في قوله إن الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان
ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى فإن الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة
فالتوبة تقبل والشهادة ترد وقال ابن جرير حدثنا القسم
ثنا الحسين ثنا هشيم أنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال
فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات الآية قال في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة
وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله
إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف
أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر
سورة النور فقوله وهي مبهمة أي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته
في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا في عائشة ومن صنع
مثل هذا أيضًا اليوم في المسلمات فله ما قال الله عز وجل ولكن عائشة كانت إمامًا في ذلك
وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم
حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد
عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع
الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم
الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات . أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به . وقال
الحافظ أبو القسم الطبراني حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني حدثني أبي ح وحدثنا
ابو

أبو شعيب الحراني ثنا جدي أحمد بن أبي شعيب ثنا موسى بن أعين عن ليث عن أبي إسحاق عن صلة
عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة . وقوله
يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو
سعيد الأشج ثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال إنهم يعني المشركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد
فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا . وقال ابن جرير
وابن أبي حاتم أيضا حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث
عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة
عُرّف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا
فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم وتشهد عليهم
أيديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو شيبة إبراهيم
ابن عبد الله بن أبي شيبة الكوفي ثنا منجاب بن الحرث التميمي ثنا أبو عامر الأسدي ثنا سفيان
عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو الفقيمي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله
أعلم قال من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى
فيقول لا أجيز على نفسي إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم وبالكرام عليك
شهيدا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل . وقد رواه مسلم والنسائي جميعا
عن أبي بكر بن أبي النضر عن عبيد الله الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال
وقال قتادة ابن آدم والله إن عليك لشهودا غير متهمة في بدنك فراقبهم واتق الله في
سرك وعلانيتك فإنه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية
فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله . وقوله
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق قال ابن عباس دينهم أي حسابهم وكذا قال غير واحد ثم إن قراءة
الجمهور بنصب الحق على أنه صفة لدينهم وقرأ مجاهد بالرفع على أنه نعت الجلالة وقرأها
بعض السلف في مصحف أبي بن كعب يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم . وقوله
ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون
لهم مغفرة ورزق كريم ٥

قال ابن عباس الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول قال ونزلت في عائشة وفي اهل الافك وهكذا روي عن مجاهد وعطا وسعيد ابن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن ابي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بان الكلام القبيح اولى باهل القبح من الناس والكلام الطيب اولى بالطيبين من الناس فما نسبه اهل النفاق الى عائشة هم اولى به وهي اولى بالبراءة والنزاهة منهم ولهذا قال اولئك مبرءون مما يقولون وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا ايضا يرجع الى ما قاله اولئك بالّلازم اي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسوله صلى الله عليه وسلم الا وهي طيبة لانه اطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعا ولا قدرا ولهذا قال اولئك مبرءون مما يقولون اي هم بعدا عما يقوله اهل الافك والعدوان لهم مغفرة اي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ورزق كريم اي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بان تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن مسلم ثنا ابو نعيم ثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم عن يحيى بن الجزار قال جا اسير بن جابر الى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد ابن عقبة اليوم تكلم بكلام اعجبني فقال عبد الله ان الرجل المومن يكون في قلبه الكلمة غير طايل تتجلجل في صدره حتى يخرجها فيسمعها رجل عنده مثلها فيضمها اليه وان الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره ما تستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي عنده مثلها فيضمها اليها ثم قرا عبد الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ٥ ويشبه هذا ما رواه الامام احمد في المسند مرفوعا مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كمثل رجل جا الى صاحب غنم فقال اجزرني شاة فقال اذهب فخذ باذن ايها شئت فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وفي الحديث الآخر الحكمة ضالة المومن حيث وجدها اخذها ٥

يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا

وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يوذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

وهذه عبادات شرعية ادب الله بها عباده المومنين وذلك في الاستيذان امر الله المومنين ان لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستانسوا اي يستاذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده وينبغي ان يستاذن ثلثا فان اذن له والا انصرف كما ثبت في الصحيح ان ابا موسى لما استاذن على عمر ثلثا فلم يوذن له انصرف ثم قال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس يستاذن ايذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جا بعد ذلك قال ما رجعك قال اني استاذنت ثلثا فلم يوذن لي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا استاذن احدكم ثلثا فلم يوذن له فلينصرف فقال لتاتيني على هذا ببينة والا اوجعتك ضربا فذهب الى ملا من الانصار فذكر لهم ما قال له عمر فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخبر عمر بذلك فقال الهاني عنه الصفق بالاسواق ٥ وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن ثابت عن انس او غيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن على سعد بن عبادة فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال سعد وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلثا ورد عليه سعد ثلثا ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله بابي انت وامي ما سلمت تسليمة الا وهي باذني ولقد رددت عليك ولم اسمعك احببت ان استكثر من سلامك ومن البركة ثم ادخله البيت فقرب اليه زبيبا فاكل نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال اكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة وافطر عندكم الصايمون ٥ وقد روى ابو داود والنساي من حديث ابي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عبادة قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا قال قيس فقلت الا تاذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

السلام عليكم ورحمة الله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال يا رسول الله
اني كنت اسمع تسليمك وارد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام قال فانصرف معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله ملحفة مصبوغة
بزعفران او ورس فاشتمل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة قال ثم اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا قد وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت ثم قال اما ان تركب واما ان تنصرف قال فانصرفت
وقد روي هذا من وجوه اخر فهو حديث جيد قوي والله اعلم ٥
ثم ليعلم انه ينبغي للمستاذن على اهل المنزل ان لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن
الباب ولكن ليكن الباب عن يمينه او يساره لما رواه ابو داود حدثنا مؤمل بن الفضل
الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بسر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه
الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ
ستور تفرد به ابو داود وقال ابو داود ايضا حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا
جرير ح قال ابو داود وحدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا حفص عن الاعمش عن طلحة
عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستاذن فقام
على الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك او هكذا
فانما الاستيذان من النظر ٥ وقد رواه ابو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الاعمش
عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود من
حديثه ٥ وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأ اطلع
عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح ٥ واخرج الجماعة
من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
في دين كان على ابي فدققت الباب فقال من ذا فقلت انا قال انا انا كانه كرهه ٥ وانما
كره ذلك لان هذه اللفظة لا يعرف بصاحبها حتى يفصح باسمه او كنيته التي هو مشهور
بها والا فكل احد يعبر عن نفسه بانا فلا يحصل بها المقصود من الاستيذان الذي هو الاستيناس
المامور به في الآية قال العوفي عن ابن عباس الاستيناس الاستيذان وكذا قال غير واحد

صح

وقال

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا قال انما هي خطأ
من الكاتب حتى تستاذنوا وتسلموا وهكذا رواه هشيم عن ابي بشر وهو جعفر بن اياس به
وروى معاذ بن سليمان عن جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس بمثله وزاد وكان ابن
عباس يقرا حتى تستاذنوا وتسلموا وكان يقرا على قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه وهذا
غريب جدا عن ابن عباس رضي الله عنه ٥ وقال هشيم اخبرنا مغيرة عن ابراهيم
قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وهذا ايضا رواية عن ابن
عباس وهو اختيار ابن جرير وقد قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج
اخبرني عمرو بن ابي سفيان ان عمرو بن صفوان اخبره ان كلدة بن الحنبل اخبره ان صفوان
ابن امية بعثه في الفتح بلبا وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم باعلا الوادي
قال فدخلت عليه ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام
عليكم أأدخل وذلك بعد ما اسلم صفوان ورواه ابو داود والترمذي والنسائي
من حديث ابن جريج به وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه ٥ وقال
ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو الاحوص عن منصور عن ربعي قال حدثنا رجل
من بني عامر انه استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمعه
الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ٥ وقال هشيم
اخبرنا منصور عن ابن سيرين واخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي ان
رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أألج او انلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامة
له يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه الاستيذان فانه لا يحسن الاستيذان فقولي له
السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل ٥ وقال الترمذي حدثنا
الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن محمد
ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قبل الكلام
ثم قال الترمذي عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان منكر الحديث
وقال قال المغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فاتى
فسطاط امراة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل قالت ادخل بسلام فاعاد فاعادت
وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا

عمرو بن عبد الله بن صفوان [illegible]

حاشية: قال الحافظ ابو عبد الله [illegible] ٥

ابو سعيد الاشج ثنا ابو نعيم الاحول ثنا خالد بن اياس حدثتني جدتي ام اياس قالت كنت
في اربع نسوة نستاذن على عائشة فقلت ندخل فقالت لا قلت لصاحبتكن تستاذن
فقالت السلام عليكم اندخل قالت ادخلوا ثم قالت يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها الآية وقال هشيم اخبرنا اشعث بن سوار عن
كردوس عن ابن مسعود قال عليكم ان تستاذنوا على امهاتكم واخواتكم قال اشعث عن عدي
بن ثابت ان امراة من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في منزلي على الحال التي لا
احب ان يراني احد عليها والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على
تلك الحال قال فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا
على اهلها الآية وقال ابن جريج سمعت عطاء بن ابي رباح يخبر عن ابن عباس
قال ثلاث آيات جحدهن الناس قال الله ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال ويقولون
اكرمهم عند الله اعظمهم بيتا قال والادب كله قد جحده الناس قال قلت استاذن
على اخواتي ايتام في حجري معي في بيت واحد قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فابى
قال تحب ان تراها عريانة قلت لا قال فاستاذن قال فراجعته ايضا فقال اتحب
ان تطيع الله قلت نعم قال فاستاذن قال ابن جريج واخبرني ابن طاوس عن ابيه قال
ما من امراة اكره الي ان ارى عريتها من ذات محرم قال وكان يشدد في ذلك وقال
ابن جريج عن الزهري سمعت هزيل بن شرحبيل الاودي الاعمى انه سمع ابن مسعود يقول
عليكم الاذن على امهاتكم وقال ابن جريج قلت لعطاء ايستاذن الرجل على امراته قال لا
وهذا محمول على عدم الوجوب والا فالاولى ان يعلمها بدخوله ولا يفاجئها به لاحتمال
ان تكون على هيئة لا تحب ان يراها عليها وقال ابو جعفر بن جرير حدثنا
القسم ثنا الحسين ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن اخي زينب
امراة عبد الله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة
فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهية ان يهجم منا على امر يكرهه اسناد صحيح وقال
ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الله بن نمير ثنا الاعمش عن عمرو بن
مرة عن ابي عبيدة قال كان عبد الله اذا دخل الدار استانس تكلم ورفع صوته وقال
مجاهد حتى تستانسوا قال تنحنحوا او تنخموا وعن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه
قال اذا دخل الرجل بيته استحب ان يتنحنح او يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يطرق الرجل اهله طروقا وفي رواية ليلا يتخونهم

وفي

وفي الحديث الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهارا فاناخ بظاهرها
وقال انتظروا حتى ندخل عشاء يعني آخر النهار حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الرحمن بن سليمان
عن واصل بن السائب حدثني ابو سورة ابن اخي ابي ايوب قال قلت يا رسول الله هذا
السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيوذن اهل البيت
هذا حديث غريب وقال قتادة في قوله حتى تستانسوا قال هو الاستيذان
ثلاثا من لم يوذن له منهم فليرجع اما الاولى فليسمع الحي واما الثانية فياخذوا حذرهم
واما الثالثة فان شاوا اذنوا وان شاوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن
بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله اولى بالعذر وقال مقاتل
بن حيان في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها كان الرجل في الجاهلية اذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول حييت صباحا
وحييت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان احدهم ينطلق الى صاحبه فلا يستاذن
حتى يقتحم ويقول قد دخلت فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع اهله فغير الله ذلك
كله في ستر وعفة وجعله نقيا نزها من الدنس والقذر والدرن فقال لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا
قال ذلكم خير لكم يعني الاستيذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين
للمستاذن ولاهل البيت لعلكم تذكرون وقوله فان لم تجدوا فيها احدا
فلا تدخلوها حتى يوذن لكم وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير اذنه
فان شاء اذن وان شاء لم ياذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم اي اذا
ردوكم من الباب قبل الاذن او بعده فارجعوا هو ازكى لكم اي رجوعكم ازكى
واطهر لكم والله بما تعملون عليم قال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري
كله هذه الآية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا
مغتبط وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم اي لا تقفوا على ابواب الناس
وقوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون هذه الآية اخص من التي قبلها وذلك انها تقتضي جواز الدخول
الى البيوت التي ليس فيها احد اذا كان له فيها متاع بغير اذن كالبيت المعد للضيف
اذا اذن له فيه اول مرة كفى قال ابن جريج قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ

واستثنا فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وكذا روي عن عكرمة
والحسن البصري وقال اخرون هي بيوت التجار في الخانات ومنازل الاسفار وبيوت
مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه جماعة والاول اظهر والله اعلم وقال
مالك عن زيد بن اسلم هي بيوت الشعر ٥

قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ٥

هذا امر من الله عباده المومنين ان يغضوا ابصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا الى ما
اباح لهم النظر اليه وان يغضوا ابصارهم عليهم عن المحارم فان اتفق ان وقع البصر على
محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا كما رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس
ابن عبيد عن عمرو بن سعيد عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير بن عبد الله
البجلي رضي الله عنه قال سالت رسول النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان
اصرف بصري وكذا رواه احمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به ورواه ابو داود والترمذي
والنساي من حديثه ايضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم
فقال اطرق بصرك يعني انظر الى الارض والصرف اعم فانه قد يكون الى الارض
او الى جهة اخرى والله اعلم وقال ابو داود حدثنا اسمعيل بن موسى
الفزاري ثنا شريك عن ابي ربيعة الايادي عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة ٥
ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وفي الصحيح
عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات
قالوا يا رسول الله ما بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابيتم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر
وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥ وقال ابو القسم
البغوي حدثنا طالوت بن عباد ثنا فضال بن جبير سمعت ابا امامة يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست اكفل لكم بالجنة اذا حدث
احدكم فلا يكذب واذا اوتمن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف غضوا ابصاركم
وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم ٥ وفي صحيح البخاري من يكفل لي ما بين لحييه
وما بين رجليه اكفل له الجنة ٥ وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ايوب عن ابن سيرين

عن عبيدة قال كل ما عصي الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال قل للمومنين يغضوا من ابصارهم
ولما كان النظر داعية الى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سهام سم الى القلب
ولذلك امر الله بحفظ الفروج كما امر بحفظ الابصار التي هي بواعث الى ذلك فقال قل للمومنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال
تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين وتارة
يكون بحفظه من النظر اليه كما جا في الحديث في المسند والسنن احفظ عورتك الا
من زوجتك او ما ملكت يمينك ذلك ازكى لهم اي اطهر لقلوبهم وانقى لدينهم كما قيل
من حفظ بصره اورثه الله نورا في بصيرته ويروى في قلبه ٥ وقد قال الامام احمد
حدثنا عتاب ثنا عبد الله بن المبارك انا يحيى بن ايوب عن عبيد الله بن زحر عن علي
ابن يزيد عن القسم عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ينظر الى محاسن
امراة ثم يغض بصره الا اخلف الله له عبادة يجد حلاوتها وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر
وحذيفة وعايشة رضي الله عنهم ولكن في اسانيدها ضعف الا انها في الترغيب
ومثله يتسامح فيه وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن يزيد عن علي بن يزيد عن القسم
عن ابي امامة مرفوعا لتغضن ابصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم او
لتكسفن وجوهكم وقوله ان الله خبير بما يصنعون كما قال يعلم خاينة الاعين
وما تخفي الصدور وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على
ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان المنطق وزنا الاذنين
الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطا والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق
ذلك او يكذبه رواه البخاري تعليقا ومسلم مسندا من وجه اخر بنحو ما ذكرناه وقد
قال كثير من السلف انهم كانوا ينهون ان يحد الرجل نظره الى الامرد وقد شدد
كثير من ايمة الصوفية في ذلك وحرمه طايفة من اهل العلم لما فيه من الافتتان وشدد اخرون
في ذلك كثيرا جدا وقال ابن ابي الدنيا حدثنا ابو سعيد المدني ثنا عمر بن سهل المازني
حدثني عمر بن محمد بن صهبان حدثني صفوان بن سليم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا
يخرج منها مثل راس الذباب من خشية الله ٥

وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن

على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن
أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن
أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت
أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون
لعلكم تفلحون ٥

وهذا أمر من الله للنساء المؤمنات وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثدة كانت في نخل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخيل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء ما أقبح هذا فأنزل الله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن الآية ٥ فقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن أي عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلا واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ٥ وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت ٥ ويحفظن فروجهن قال سعيد بن جبير عن الفواحش وقال قتادة عما لا يحل لهن وقال مقاتل عن الزنا وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية ويحفظن فروجهن أن لا يراها أحد ٥ وقوله ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها أي ولا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه قال ابن مسعود كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاناه نساء العرب من

المقنعة التي تجلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم ٥ وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها قال وجهها وكفيها والخاتم وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك وهذا يحتمل أن يكون تفسيرا للزينة التي نهين عن إبدائها كما قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال في قوله ولا يبدين زينتهن الزينة القرط والدملوج والخلخال والقلادة وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج الخاتم والسوار والظاهرة الثياب وقال الزهري لا تبدين لهؤلاء الذين سمى الله ممن لا تحل له إلا الأسورة والأخمرة والأقرطة من غير حسر وأما عامة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم وقال مالك عن الزهري إلا ما ظهر منها الخاتم والخلخال ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه ٥ لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هذا مرسل خالد بن دريك لم يسمع من عائشة فالله أعلم ٥ وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المقانع يعمل لها صنفات ضاربات على صدور النساء لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن كما قال تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقال تعالى في هذه الآية الكريمة وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع خمار وهو ما يخمر أي يغطى به الرأس وهي التي تسميها الناس المقانع ٥ قال سعيد بن جبير وليضربن وليشددن بخمرهن على جيوبهن يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء ٥ وقال البخاري حدثنا أحمد بن شبيب ثنا أبي عن

يونس قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن
بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن به وقال ايضا حدثنا ابو نعيم ثنا ابراهيم
ابن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة ان عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن
بخمرهن على جيوبهن أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا احمد بن عبد الله بن يونس حدثني الزنجي بن خالد ثنا عبد الله بن عثمان
ابن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت بينا نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن
فقالت عائشة ان نساء قريش لفضلا واني والله ما رأيت افضل من نساء الانصار أشد تصديقا
بكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل لقد انزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب
رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل اليهن فيها ويتلوا الرجل على امرأته وابنته واخته
وعلى ذي قرابته فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا
بما انزل الله من كتابه فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات كان على رؤسهن
الغربان وروى ابو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة وقال ابن جرير حدثنا
يونس انا ابن وهب ان قرة بن عبد الرحمن اخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة
انها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن
شققن اكثف مروطهن فاختمرن به ورواه ابو داود من حديث ابن وهب به
وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يعني ازواجهن او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن كل هولاء محارم للمرأة يجوز لها ان تظهر عليهم
بزينتها ولكن من غير اقتصاد وتبهرج قال ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هرون
ثنا ابو بكر يعني ابن ابي شيبة ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة ثنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن حتى فرغ منها قال لم يذكر العم ولا الخال
لانهما ينعتان لابنائهما ولا تضع خمارها عند العم والخال فاما الزوج فانما ذلك كله من اجله
فتتصنع له ما لا يكون بحضرة غيره وقوله او نسائهن يعني تظهر زينتها ايضا
للنساء المسلمات دون نساء اهل الذمة لئلا يصفن لرجالهن وذلك وان كان محذورا في جميع النساء
الا انه في نساء اهل الذمة اشد فانه لا يمنعهن من ذلك مانع واما المسلمة فانها تعلم ان ذلك حرام
فتنزجر عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها
كأنه ينظر اليها اخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود وقال سعيد بن منصور في سننه
حدثنا اسمعيل بن عياش عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي عن ابيه عن الحرث

ابن قيس قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة اما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المسلمين
يدخلون الحمامات مع نساء اهل الشرك فانه من قبلك فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر
ان ينظر الى عورتها الا اهل ملتها وقد قال مجاهد في قوله او نسائهن
قال نسائهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة ان تكشف بين
يدي المشركة فاما ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا ابو عمير
ثنا ضمرة قال قال ابن عطاء عن ابيه قال لما قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت
المقدس كان قوابل نسائهم اليهوديات والنصرانيات فهذا ان صح محمول على حال الضرورة
او ان ذلك من باب الامتهان ثم انه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله اعلم وقوله
او ما ملكت ايمانهن قال ابن جريج يعني من نساء المشركين فيجوز لها ان تظهر زينتها لها وان كانت
مشركة لانها امتها واليه ذهب سعيد بن المسيب وقال الاكثرون بل يجوز لها ان تظهر على
رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه ابو داود حدثنا محمد بن عيسى
ثنا ابو جميع سالم بن دينار عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد
قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها
لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك
وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة حديج الخصي مولى معوية ان عبد الله بن مسعدة الفزاري
كان اسود شديد الادمة وانه قد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهبه لابنته فاطمة فربته ثم اعتقته
ثم قد كان بعد ذلك كله مع معوية ايام صفين وكان من اشد الناس على علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وقال الامام احمد حدثنا سفين بن عيينة عن الزهري عن
نبهان عن ام سلمة ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان لاحداكن مكاتب
وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه ورواه ابو داود عن مسدد عن سفين وقوله
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال يعني كالاجراء والاتباع الذين ليسوا باكفاء وهم مع
ذلك في عقولهم وله وخوث ولا همة لهم الى النساء ولا يشتهونهن قال ابن عباس هو المغفل
الذي لا شهوة له وقال مجاهد هو الابله وقال عكرمة هو المخنث الذي لا يقوم زبه
وكذلك قال غير واحد من السلف وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن
عائشة ان مخنثا كان يدخل على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعدونه من غير اولي
الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينعت امرأة يقول انها اذا اقبلت اقبلت باربع
واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعلم ما ههنا

كاتبه
زري عنه في تفسيره
الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس او نسائهن
يعني المسلمات لا اليهوديه
ولا النصرانيه
ولا المجوس والقبط والوثنيا
وما يحل ان تراه الا محرم
وروي سعيد بن
حبيب عن ليث عن مجاهد
قال لا تضع المسلمة خمارها
عند مشركة لان الله تعالى
يقول او نسائهن فليس من نسائهن
وعن مكحول وعبادة
بن نسي انهما كرها ان تقبل
النصرانية واليهودية والمجوسية
المسلمة

لا يدخل عليكم فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة يستطعم ٥ وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها مخنث وعندها عبد الله بن أبي أمية يعني أخاها والمخنث يقول لعبد الله يا عبد الله بن أبي أمية إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأم سلمة لا يدخل هذا عليك أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فحجبوه ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به ٥ وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فأما إن كان مراهقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم والدخول على النساء قالوا يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت ٥ وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يسمع صوته ضربت برجلها الأرض ليسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ومن ذلك أيضا أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها فقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية ٥ قال وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به ٥ وقال أبو داود

حدثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة قال لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد قالت نعم قال له تطيبت قالت نعم قال إني سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة ٥ ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به وروى الترمذي أيضا من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها ٥ ومن ذلك أيضا أنهن ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج ٥ قال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن أبي اليمان عن شداد بن أبي عمرو بن حماس عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال بالنساء استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به ٥ وقوله وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي افعلوا ما أمرتكم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه والله المستعان ٥

وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم
إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم
فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا
ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم
ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا
من قبلكم وموعظة للمتقين ٥ ٥

اشتملت هذه الآيات الكريمة المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة فقوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم هذا أمر بالتزويج وقد

ذهب طايفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام يا
معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم
يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اخرجاه من حديث ابن مسعود وجاء في السنن من غير وجه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا توالدوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة
وفي رواية حتى بالسقط ه والايامى جمع ايم ويقال ذلك للمراة التي لا زوج لها وللرجل
الذي لا زوجة له وسوا كان قد تزوج ثم فارق او لم يتزوج واحد منهما حكاه الجوهري عن
اهل اللغة يقال رجل ايم وامراة ايم ايضا وقوله ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله
والله واسع عليم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رغبهم الله في التزويج وامر به الاحرار
والعبيد ووعدهم عليه الغنا فقال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابي ثنا محمود بن خالد الازرق ثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعني ابن عبد العزيز
قال بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال اطيعوا الله فيما امركم به من النكاح ينجز
لكم ما وعدكم من الغنى قال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وعن ابن مسعود قال التمسوا
الغنى في النكاح يقول الله ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله رواه ابن جرير وذكر البغوي
عن عمر نحوه ه وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد
الاداء والغازي في سبيل الله رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وقد زوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد الا ازاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا
فزوجه بتلك المراة وجعل صداقها عليه ان يعلمها ما يحفظه من القران والمعهود من كرم الله
ولطفه ان يرزقه واياها ما فيه كفاية له ولها ه فاما ما يورده كثير من الناس على انه
حديث تزوجوا فقرا يغنكم الله فلا اصل له ولم اره باسناد قوي ولا ضعيف الى الان
وفي القران غنية عنه وكذا في هذا الحديث الذي اوردناه ولله الحمد وقوله وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله هذا امر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا
بالتعفف عن الحرام كما قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وهذه الاية
مطلقة والتي في سورة النساء اخص منها وهي قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المومنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات الى ان قال ذلك لمن خشي العنت
منكم وان تصبروا خير لكم اي صبركم عن تزويج الاماء خير لان الولد يجي رقيقا والله غفور

رحيم قال عكرمة في قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا قال هو الرجل
يرى المراة فكانه يشتهي فان كانت له امراة فليذهب اليها فليقض حاجته منها وان لم يكن له
امراة فلينظر في ملكوت السماوات والارض حتى يغنيه الله وقوله والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا هذا امر من الله للسادة اذا
طلب منهم عبيدهم الكتابة ان يكاتبوهم بشرط ان يكون للعبد حيلة وكسب يودي اليه
المال الذي شرطه على اداه وقد ذهب كثير من العلماء الى ان هذا الامر امر ارشاد
واستحباب لا امر تحتيم وايجاب بل السيد مخير اذا طلب منه عبده الكتابة ان شا كاتبه
وان شا لم يكاتبه قال الثوري عن جابر عن الشعبي ان شا كاتبه وان شا لم يكاتبه
قال ابن وهب عن اسمعيل بن عياش عن رجل عن عطا بن ابي رباح ان شا كاتبه وان
شا لم يكاتبه وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري ه وذهب آخرون الى انه
يجب على السيد اذا طلب منه عبده ذلك ان يجيبه الى ما طلب اخذا بظاهر هذا الامر
قال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطا اواجب علي اذا علمت له مالا
ان اكاتبه قال ما اراه الا واجبا وقال عمرو بن دينار قلت لعطا تاثره عن احد
قال لا ثم قال اخبرني ان موسى بن انس اخبره ان سيرين سال انسا المكاتبة وكان كثير
المال فابى فانطلق الى عمر فقال كاتبه فابى فضربه بالدرة ويتلو عمر رضي الله عنه فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه هكذا ذكره البخاري معلقا ورواه عبد الرزاق اخبرنا
ابن جريج قال قلت لعطا اواجب علي اذا علمت له مالا ان اكاتبه قال ما اراه
الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطا اتاثره عن احد قال لا وقال ابن جرير
حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن بكر ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان سيرين
اراد ان يكاتب فتلكا عليه فقال له عمر لتكاتبنه ه اسناد صحيح ه وقال سعيد بن
منصور ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من
قولي الشافعي رحمه الله وذهب في الجديد الى انه لا يجب لقوله عليه السلام لا يحل
مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا ان ليس على سيد
العبد ان يكاتبه اذا ساله ذلك ولم اسمع احدا من الايمة اكره احدا على ان يكاتب عبده
قال مالك وانما ذلك امر من الله واذن منه للناس وليس بواجب وكذا قال الثوري
وابو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الاية
وقوله ان علمتم فيهم خيرا قال بعضهم امانة وقال بعضهم صدقا وقال بعضهم

ما لا وقال بعضهم حيلة وكسبا وروى ابو داود في كتاب المراسيل عن يحيى بن ابي كثير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم فيهم حرفة
ولا ترسلوهم كلا على الناس وآتوهم من مال الله الذي آتاكم اختلف المفسرون
فيه فقال قايلون معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع
وقيل الثلث وقيل النصف وقيل جزء من الكتابة من غير حد وقال
آخرون بل المراد من قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم هو النصيب الذي
فرض الله لهم من اموال الزكوات وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وابيه
ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير وقال ابراهيم النخعي في قوله وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره وكذلك قال بريدة بن الحصيب
الاسلمي وقتادة وقال ابن عباس امر الله المؤمنين ان يعينوا في الرقاب وقد
تقدم في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة حق على الله عونهم فذكر منهم
المكاتب يريد الاداء والقول الاول اشهر قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن
اسمعيل ثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر انه كاتب عبدا له يكنى
ابا امية فجاء بنجمه حين حل فقال يا ابا امية اذهب فاستعن به في مكاتبتك قال يا امير المؤمنين
لو تركته حتى يكون من آخر نجم قال اخاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ فكاتبوهم ان علمتم فيهم
خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال عكرمة فكان اول نجم ادي في الاسلام وقال ابن جرير
حدثنا ابن حميد ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير
قال كان ابن عمر اذا كاتب له مكاتبه لم يضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فيرجع
اليه صدقته ولكنه اذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما احب ٥ وقال علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يعني ضعوا عنهم من مكاتبتهم وكذلك
قال مجاهد وعطا والقاسم بن ابي بزة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي ٥ وقال
محمد بن سيرين في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم كان يعجبهم ان يدع الرجل لمكاتبه
طايفة من مكاتبته وقال ابن ابي حاتم اخبرنا الفضل بن شاذان المقري اخبرنا ابراهيم
ابن موسى انا هشام بن يوسف عن ابن جريج اخبرني عطاء بن السائب ان عبد الله بن جندب
اخبره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربع الكتابة وهذا حديث غريب ورفعه
منكر والاشبه انه موقوف على علي كما رواه عنه ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله ٥ وقوله
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا الآية كان اهل الجاهلية

اذا

اذا كان لاحدهم امة ارسلها تزني وجعل عليها ضريبة ياخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام
نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكره غير واحد من المفسرين
من السلف والخلف في شان عبد الله بن ابي بن سلول فانه كان له اماء فكان يكرههن
على البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في اولادهن ورياسة منه فيما يزعم ذكر
الآثار الواردة في ذلك قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده
حدثنا احمد بن داود الواسطي ثنا ابو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج ثنا محمد بن اسحق عن
الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن ابي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام
نزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا الى قوله فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم وقال الاعمش عن ابي سفيان عن جابر في هذه الآية ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء ان اردن تحصنا قال نزلت في امة لعبد الله بن ابي بن سلول يقال لها مسيكة كان يكرهها
على الفجور وكانت لا باس بها فتابى فانزل الله عز وجل هذه الآية الى قوله ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ٥ وروى النسائي من حديث ابن جريج عن ابي الزبير
عن جابر نحوه ٥ وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد
ثنا الاعمش حدثني ابو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن ابي بن سلول جارية يقال لها مسيكة
وكان يكرهها على البغاء فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى قوله ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ٥ صرح الاعمش بالسماع من ابي سفيان طلحة بن
نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه انما هو صحيفة حكاه البزار ٥
وقال ابو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس
ان جارية لعبد الله بن ابي كانت تزني في الجاهلية فولدت اولادا من الزنا فقال لها ما لك
لا تزنين قالت لا والله لا ازني فضربها فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان
اردن تحصنا ٥ وقال البزار حدثنا احمد بن داود الواسطي ثنا ابو عمرو اللخمي
يعني محمد بن الحجاج ثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن انس قال كانت جارية لعبد الله بن ابي يقال
لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
الى قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ٥ وقال عبد
الرزاق انا معمر عن الزهري ان رجلا من قريش اسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن ابي اسيرا
وكانت لعبد الله بن ابي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسها
وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان عبد الله بن ابي يكرهها على ذلك ويضربها

رجا ان تحمل للقرشي فيطلب فداه وليده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
وقال السدي انزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وكانت له
جارية تدعا معاذة وكان اذا نزل به ضيف ارسلها اليه ليواقعها ارادة الثواب منه والكرامة
له فاقبلت الجارية الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فشكت ذلك اليه فذكره ابو بكر للنبي
صلى الله عليه وسلم فامره بقبضها فصاح عبد الله من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا
فانزل الله فيهم هذا ٥ وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله اعلم ان هذه الآية
نزلت في رجلين كانا يكرهان امتين لهما احداهما اسمها مسيكة وكانت للانصاري وكانت
اميمة ام مسيكة لعبد الله بن ابي وكانت معاذة واروى بتلك المنزلة فاتت مسيكة وامها النبي
صلى الله عليه وسلم فذكرتا ذلك له فانزل الله في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغا يعني الزنا ٥
وقوله ان اردن تحصنا هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ٥
وقوله لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي من خراجهن ومهورهن واولادهن
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن
وفي رواية مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث وثمن الكلب خبيث وقوله
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما تقدم في الحديث
عن جابر وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فان فعلتم فان الله لهن غفور رحيم
واثمهن على من اكرههن وكذا قال مجاهد وعطا الخراساني والاعمش وقتاده ٥ قال
ابو عبيد حدثني اسحق الازرق عن عوف عن الحسن في هذه الآية فان الله من
بعد اكراههن غفور رحيم قال لهن والله لهن والله ٥ وعن الزهري قال غفور لهن
ما اكرهن عليه ٥ وعن زيد بن اسلم قال غفور رحيم للمكرهات ٥ حكاهن ابن المنذر
في تفسيره باسانيده وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة ثنا يحيى بن عبد الله
حدثني ابن لهيعة حدثني عطا عن سعيد بن جبير قال في قراءة عبد الله بن مسعود فان
الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم واثمهن على من اكرههن وفي الحديث المرفوع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
ولما فصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات
يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسرات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي خبرا عن الامم الماضية
وما حل بهم في مخالفتهم اوامر الله كما قال فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وموعظة اي
زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم للمتقين اي لمن اتقى الله وخافه ٥ قال علي بن ابي طالب

رضي الله عنه في صفة القرآن فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وهو الفصل ليس
بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ٥

الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب
دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نور
على نور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شي عليم ٥

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الله نور السماوات والارض يقول هادي
السماوات والارض وقال ابن جريج قال مجاهد وابن عباس في قول الله الله نور السماوات
والارض يدبر الامر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما وقال ابن جرير حدثنا
سليمان بن عمر بن خالد الرقي ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن انس بن مالك قال ان
الهي يقول نوري هداي واختار هذا القول ابن جرير وقال ابو جعفر الرازي
عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قول الله الله نور السماوات
والارض مثل نوره قال هو المومن الذي قد جعل الايمان والقرآن في صدره فضرب
الله مثله فقال الله نور السماوات والارض فبدا بنور نفسه ثم ذكر نور المومن فقال
مثل نوره من آمن به قال فكان ابي بن كعب يقراها مثل نور من آمن به فهو المومن
جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبير وقيس بن سعد عن ابن
عباس انه قراها كذلك مثل من آمن بالله ٥ وقرا بعضهم الله منور السماوات والارض
وعن الضحاك الله نور السماوات والارض وقال السدي في قوله الله نور السماوات
والارض فبنوره اضاءت السماوات والارض ٥ وفي الحديث الذي رواه محمد بن
اسحق في السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في دعائه يوم آذاه اهل الطايف
اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان يحل بي
غضبك او ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله ٥ وفي
الصحيحين عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يقول
اللهم لك الحمد انت قيم السماوات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت نور
السماوات والارض ومن فيهن الحديث وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال

ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه ٥ وقوله مثل نوره
في هذا الضمير قولان احدهما انه عايد الى الله عز وجل اى مثل هداه في قلب المومن
قاله ابن عباس كمشكاة والثاني ان الضمير عايد الى المومن الذى دل عليه سياق
الكلام تقديره مثل نور المومن الذى في قلبه كمشكاة فشبه قلب المومن وما هو مفطور
عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى افمن
كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فشبه القلب المومن في صفايه في نفسه
بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستمد به من القرآن والشرع بالزيت
الجيد الصافي المشرق المعتدل الذى لا كدر فيه ولا انحراف فقوله كمشكاة
قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع الفتيلة من القنديل هذا
هو المشهور ولهذا قال فيها مصباح وهو الذبالة التي تضيء وقال العوفي عن ابن عباس
في قوله الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة والمشكاة كوة البيت قال
وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها انواعا شتى وقال ابن ابي نجيح
عن مجاهد الكوة بلغة الحبشة وزاد غيره فقال المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن
مجاهد المشكاة الحدايد التي يعلق بها القنديل ٥ والقول الاول اولى وهو ان المشكاة
هي موضع الفتيلة من القنديل ولهذا قال فيها مصباح وهو النور الذي في الذبالة
قال ابي بن كعب المصباح النور وهو القرآن والايمان الذي في صدره وقال
السدي هو السراج ٥ المصباح في زجاجة اى هذا الضو مشرق في زجاجة صافية
قال ابي بن كعب وغير واحد وهي نظير قلب ٥ الزجاجة كانها كوكب دري قرا
بعضهم بضم الدال من غير همز من الدر اي كانها كوكب من در وقرا آخرون دري
ودرئ بكسر الدال وضمها مع الهمز من الدرء وهو الدفع وذلك ان النجم اذا رمي به
يكون اشد استنارة من ساير الاحوال والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري
قال ابي بن كعب كوكب مضيء وقال قتادة مضيء مبين ضخم توقد من شجرة مباركة
اي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة زيتونة بدل او عطف بيان لا شرقية ولا
غربية اى ليست في شرقي بقعتها فلا تصل اليها الشمس من اول النهار ولا في غربيها
فيتقلص عنها الفيء قبل الغروب بل هي في مكان وسط تقصرها الشمس من اول
النهار الى آخره فيجي زيتها معتدلا صافيا مشرقا قال ابن ابي حاتم حدثنا
محمد بن عمارة ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد انا عمرو بن ابي قيس عن سماك بن حرب
عن

عن عكرمة عن ابن عباس في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال شجرة بالصحرا
لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف ولا يواريها شيء هو اجود لزيتها وقال يحيى بن سعيد القطان
عن عمران بن حدير عن عكرمة في قوله لا شرقية ولا غربية قال هي بصحرا وذلك
اصفى لزيتها ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا ابو نعيم ثنا عمر بن فروخ عن حبيب
ابن الزبير عن عكرمة ساله رجل عن زيتونة لا شرقية ولا غربية فقال تلك زيتونة
بارض فلاة اذا اشرقت الشمس اشرقت عليها واذا غربت غربت عليها فذاك اصفى
ما يكون من الزيت ٥ وقال مجاهد في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية
قال ليست بشرقية لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية لا تصيبها الشمس
اذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيبها اذا طلعت واذا غربت وقال سعيد
ابن جبير في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء قال هو اجود
الزيت قال اذا طلعت الشمس اصابتها من صوب المشرق فاذا اخذت في الغروب
اصابتها الشمس فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية
وقال السدي قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية يقول ليست بشرقية
يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها على راس جبل
او في صحرا تصيبها الشمس النهار كله ٥ وقيل المراد بقوله زيتونة لا شرقية
ولا غربية انها في وسط الشجر وليست بادية للمشرق ولا للمغرب قال
ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قول الله تعالى
زيتونة لا شرقية ولا غربية قال فهي خضرا ناعمة لا تصيبها الشمس على اي حال كانت
لا اذا طلعت ولا اذا غربت قال فكذلك هذا المومن قد اجير من ان يضله شيء من الفتن
وقد ابتلي بها فيثبته الله فيها فهو بين اربع خلال ان قال صدق وان حكم عدل
وان ابتلي صبر وان اعطي شكر فهو في ساير الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات
وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا مسدد ثنا ابو عوانة عن
ابي بشر عن سعيد بن جبير في قوله زيتونة لا شرقية قال هي وسط الشجر لا تصيبها
الشمس شرقا ولا غربا وقال عطية العوفي لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة في
موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب
وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عمار ثنا عبد الرحمن الدشتكي ثنا عمرو بن ابي
قيس عن عطا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله لا شرقية ولا غربية ليست شرقية

ليس فيها غرب ولا غربيه ليس فيها شرق ولكنها شرقيه غربيه وقال محمد بن كعب القرظي
لا شرقيه ولا غربيه قال هي القبلة وقال زيد بن اسلم لا شرقيه ولا غربيه قال الشام وقال الحسن
البصري لو كانت هذه الشجرة في الارض لكانت شرقيه او غربيه ولكنه مثل ضربه الله لنوره
وقال الضحاك عن ابن عباس توقد من شجرة مباركة قال رجل صالح زيتونه لا شرقيه ولا
غربيه قال لا يهودي ولا نصراني ٥ واولى هذه الاقوال القول الاول وهو انها في مستوى
من الارض في مكان فسيح باد ضاح للشمس تقرع عليه من اول النهار الى اخره ليكون ذلك
اصفى لزيتها والطف كما قاله غير واحد ممن تقدم ولهذا قال تعالى يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يعني لضوء اشراق الزيت ٥ وقوله
نور على نور وقال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله وقال
مجاهد والسدي يعني نور النار ونور الزيت وقال ابي بن كعب نور على نور فهو يتقلب
في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى
النور يوم القيامة الى الجنة وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار
فقال حدثني عن قول الله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم
يبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت انه يضيء وقال السدي في قوله
نور على نور قال نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك
نور القران ونور الايمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما الا بصاحبه ٥ وقوله
يهدي الله لنوره من يشا اي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما في الحديث الذي رواه
الامام احمد حدثنا معويه بن عمرو ثنا ابراهيم بن محمد الفزاري ثنا الاوزاعي حدثني
ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره يومئذ فمن اصاب من نوره
يومئذ اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف القلم على علم الله عز وجل ٥ طريق
اخرى عنه قال البزار حدثنا نهار بن عثمان ثنا ايوب بن سويد عن يحيى بن ابي عمرو
السيباني عن ابيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم نورا من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن
اخطاه ضل ٥ ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم لما ذكر تعالى هذا
مثلا لنور هداه في قلب المومن ختم الاية بقوله ويضرب الله الامثال للناس والله بكل
شيء عليم اي هو اعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال وقال الامام احمد حدثنا
ابو

ابو النضر ثنا ابو معويه شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن ابي البختري عن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر
وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد
فقلب المومن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب
المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل
الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الما الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح
والدم فاي المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه اسناد جيد ولم يخرجوه ٥

في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن
ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشا بغير حساب

لما ضرب الله مثل قلب المومن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة
الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي
احب البقاع الى الله من الارض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد فقال في بيوت
اذن الله ان ترفع اي امر الله تعالى برفعها اي بتطهيرها من الدنس واللغو والافعال والاقوال
التي لا تليق فيها كما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية في بيوت اذن الله
ان ترفع قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وابو صالح والضحاك ونافع بن
جبير وابو بكر بن سليمان بن ابي حثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من علماء المفسرين ٥
وقال قتادة هي هذه المساجد امر الله ببنائها ورفعها وامر بعمارتها وتطهيرها وقد ذكر
لنا ان كعبا كان يقول ان في التورية مكتوبا ان بيوتي في الارض المساجد وانه
من توضا فاحسن وضوءه ثم زارني في بيتي اكرمته وحق على المزور كرامة الزائر ٥
رواه عبد الرحمن بن ابي حاتم في تفسيره ٥ وقد وردت احاديث كثيرة في بنا المساجد
واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزا
على حدة ولله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكر هنا منه طرفا ان شا
الله وبه الثقة وعليه التكلان فعن امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في

الجنة اخرجاه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بنا مسجدا يذكر فيه اسم الله بنا الله له بيتا في الجنة وللنسائي عن عمرو
ابن عبسة مثله والاحاديث في هذا كثيرة جدا ٥ وعن عايشة قالت امر رسول الله صلى الله
ببنا المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه احمد واهل السنن الا النسائي ولاحمد
وابي داود عن سمرة بن جندب نحوه ٥ وقال البخاري قال عمر ابن للناس ما يكنهم
واياك ان تحمر او تصفر فتفتن الناس ٥ وروى ابن ماجه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما سا عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم وفي اسناده ضعف ٥ وروى ابو داود عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها
كما زخرفت اليهود والنصارى ٥ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى يتباهى الناس في المساجد رواه احمد واهل السنن الا الترمذي ٥ وعن بريدة ان رجلا
نشد في المسجد فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت
المساجد لما بنيت له رواه مسلم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتياع وعن تناشد الاشعار في المساجد رواه احمد واهل السنن
وقال الترمذي حسن ٥ وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر
مرفوعا قال خصال لا ينبغين في المسجد لا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض
فيه بقوس ولا يتخذ سوقا وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم وشراكم وبيعكم وخصوماتكم واقامة حدودكم
وسل سيوفكم واتخذوا على ابوابها المطاهر وجمروها في الجمع رواه ابن ماجه ايضا وفي اسنادهما
ضعف اما انه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء المرور فيه لا لحاجة اذا وجد مندوحة
عنه وفي الاثر ان الملايكة لتتعجب من الرجل يمر في المسجد لا يصلي فيه ٥ واما انه
لا يشهر فيه ولا ينبض فيه بقوس ولا ينشر فيه نبل فلما يخشى من اصابة بعض الناس به
لكثرة المصلين فيه ولهذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر احد بسهام ان يقبض على
نصالها لئلا يوذي احدا كما ثبت في الصحيح واما النهي عن المرور باللحم النيء فيه
فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحايض عن المرور فيه اذا خافت التلويث واما انه
لا يضرب فيه حد او يقتص منه فلما يخشى من ايجاد نجاسة فيه من المضروب او المقطوع واما
لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فانه انما بني لذكر الله وللصلاة كما قال عليه السلام
لذلك الاعرابي الذي بال في طايفة المسجد ان المساجد لم تبن لهذا انما بنيت لذكر الله وللصلاة

ثم

[illegible]

ثم اتى بسجل من ماء فاهريق على بوله وفي الحديث الاتي جنبوا مساجدكم صبيانكم
وذلك لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا راى صبيانا
يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه
احدا ومجانينكم يعني لاجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيودي الى اللعب بها ولما يخشى
من تقذيرهم في المسجد ونحو ذلك وبيعكم وشراكم كما تقدم وخصوماتكم يعني التحاكم
بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر واللغط الذي لا يناسبه ولهذا
قال بعده ورفع اصواتكم قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله ثنا يحيى بن سعيد ثنا الجعيد بن
عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السايب بن يزيد الكندي قال كنت قايما في المسجد فحصبني
رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فاتني بهذين فجيته بهما فقال من انتما
او من اين انتما قالا من اهل الطايف قال لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ترفعان اصواتكما
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي حدثنا سويد بن نصر عن
عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن ابيه ابراهيم بن عبد الرحمن
بن عوف قال سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال اتدري اين انت وهذا ايضا
صحيح وقوله واتخذوا على ابوابها المطاهر يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضو
وقضا الحاجة وقد كانت قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابار يستقون منها
فيشربون ويتطهرون ويتوضاون وغير ذلك ٥ وقوله وجمروها في الجمع يعني
بخروها ايام الجمع لكثرة اجتماع الناس يوميذ وقد قال الحافظ ابو يعلى الموصلي
حدثنا عبيد الله ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان عمر
كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة ٥ اسناده حسن لا باس به
والله اعلم ٥ وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة
الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين درجة
ضعفا وذلك انه اذا توضا فاحسن الوضوء خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة
الا رفع له درجة وحط عنه بها خطيه فاذا صلى لم تزل الملايكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم
صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة وعند الدارقطني مرفوعا لا صلاة
لجار المسجد الا في المسجد وفي السنن بشر المشايين الى المساجد في الظلم بالنور التام
يوم القيامة ٥ والمستحب لمن دخل المسجد ان يبدا برجله اليمنى وان يقول كما ثبت
في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان

اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم ۝ وروى مسلم بسنده عن ابي
حميد او ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم
افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من فضلك ورواه النسائي
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم رواه ابن
ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ۝ وقال الامام احمد حدثنا اسمعيل بن ابرهيم
ثنا ليث بن ابي سليم عن عبد الله بن حسن عن امه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد
وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي
هذا حديث حسن واسناده ليس بمتصل لان فاطمة بنت الحسين الصغرى لم تدرك
فاطمة الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه من الاحاديث الواردة في ذلك
لحال الطول كله داخل في قوله تعالى اذن الله ان ترفع ۝ وقوله ويذكر
فيها اسمه كقوله يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ۝ وقوله واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
قال ابن عباس ويذكر فيها اسمه يعني يتلى فيها كتابه وقوله يسبح له فيها بالغدو
والاصال اي في البكرات والعشيات والاصال جمع اصيل وهو اخر النهار قال
سعيد بن جبير عن ابن عباس كل تسبيح في القران هو الصلاة وقال علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالاصال صلاة العصر وهما اول ما افترض
الله من الصلاة فاحب ان يذكرهما وان يذكر بهما عباده وكذا قال الحسن والضحاك
يسبح له فيها بالغدو والاصال يعني الصلاة ۝ ومن قرا من القراء يسبح له فيها بالغدو
والاصال بفتح الباء من يسبح على انه مبني لما لم يسم فاعله وقف على قوله والاصال
وقفا تاما وابتدا بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانه مفسر للفاعل
المحذوف كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح ۝
كانه قال من يبكيه قال هذا يبكيه وكانه قيل من يسبح له فيها قال رجال واما على قراءة من

قرا يسبح بكسر الباء فجعله فعلا وفاعله رجال فلا يحسن الوقف الا على الفاعل لانه تمام
الكلام فقوله رجال فيه اشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي صاروا
عمار المساجد التي هي بيوت الله في ارضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه كما قال
تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاما النسا فصلاتهن في بيوتهن
افضل لهن لما رواه ابو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة
المراة في بيتها افضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها
وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان ثنا رشدين حدثني عمرو عن ابي السمح عن
السايب مولى ام سلمة عن ام سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير مساجد النسا
قعر بيوتهن ۝ قال احمد ايضا حدثنا هرون اخبرني عبد الله بن وهب ثنا
داود بن قيس عن عبد الله بن سويد الانصاري عن عمته ام حميد امراة ابي حميد الساعدي
انها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني احب الصلاة معك قال
قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك
في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في
مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي قال فامرت
فبني لها مسجد في اقصى بيتها واظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل ۝ لم يخرجوه
هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط ان لا تؤذي احدا من الرجال بظهور زينة
ولا ريح طيب كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله رواه البخاري ومسلم ولاحمد ولابي داود وبيوتهن
خير لهن وفي رواية وليخرجن تفلات اي لا ريح لهن وقد ثبت في صحيح
مسلم عن زينب امراة ابن مسعود قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدت
احداكن المسجد فلا تمس طيبا ۝ وفي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
كان نسا المومنات يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات بمروطهن
ما يعرفن من الغلس ۝ وفي الصحيحين ايضا عنها انها قالت لو ادرك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما احدث النسا لمنعهن المساجد كما منعت نسا بني اسرايل ۝ وقوله
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله كقوله يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يقول تعالى

لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم
والذين يعلمون ان الذي عنده هو خير لهم وانفع مما بايديهم لان ما عندهم ينفد وما عند
الله باق ولهذا قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة اي يقدمون
طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ٥ قال هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن
مسعود انه راى قوما من اهل السوق حيث نودي بالصلاة تركوا امتعتهم ونهضوا الى الصلاة
فقال عبد الله هولاء من الذين ذكر الله في كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكذا
روي عمرو بن دينار والقهرماني عن سالم عن عبد الله بن عمر انه كان في السوق فاقيمت
الصلاة فاغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي ثنا محمد بن عبد الله
ابن بكر الصنعاني ثنا ابو سعيد مولى بني هاشم ثنا عبد الله بن بحير ثنا ابو عبد ربه قال قال ابو الدردا
اني قمت على هذا الدرج ابايع عليه اربح كل يوم ثلثماية دينار اشهد الصلاة في كل يوم في
المسجد اما اني لا اقول ان ذلك ليس بحلال ولكني احب ان اكون من الذين قال الله رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عمرو بن دينار الاعور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد
المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا الى الصلاة وخمروا امتعتهم فنظر سالم الى امتعتهم
ليس فيها احد فتلا سالم هذه الاية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم قال
هم هولاء وكذا قال سعيد بن ابي الحسن والضحاك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا تلهيهم
التجارة والبيع ان ياتوا الصلاة في وقتها وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشترون
ولكن كان احدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه واقبل الى الصلاة وقال علي بن
ابي طلحة عن ابن عباس لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وكذا
قال الربيع بن انس ومقاتل بن حيان وقال السدي عن الصلاة في جماعة وعن
مقاتل بن حيان لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وان يقيموها كما امرهم الله وان يحافظوا على مواقيتها
وما استحفظهم الله فيها ٥ وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيمه
الذي تتقلب فيه القلوب والابصار اي من شدة الفزع وعظمة الاهوال كما قال وانذرهم
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وقال تعالى انما يوخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزا ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك
اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقال هاهنا ليجزيهم الله احسن

ما عملوا ويزيدهم من فضله اي هولاء من الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله
اي هولاء من الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم وقوله ويزيدهم
من فضله اي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما وقال من جا بالحسنة فله خير منها وله
عشر امثالها وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال
والله يضاعف لمن يشا كما قال ههنا والله يرزق من يشا بغير حساب وعن ابن مسعود
انه جي بلبن فعرضه على جلسايه واحدا واحدا فكلهم لم يشربه لانه كان صايما فتناوله ابن
مسعود وكان مفطرا فشربه وتلا قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار رواه ابن ابي حاتم ٥ وقال ايضا حدثنا ابي ثنا سويد بن سعيد ثنا
علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن اسما بنت يزيد قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة جا مناد
فنادى بصوت يسمع الخلايق سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب ساير الخلايق ٥
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء
حتى اذا جاه لم يجده شيا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في
بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ٥
هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في اول البقرة
مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد
مثلين مائيا وناريا وقد تكلمنا على كل منهما في موضعه بما اغنى عن اعادته ولله الحمد والمنة
فاما الاول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة الى كفرهم الذين يحسبون
انهم على شي من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على شي فمثلهم في ذلك كالسراب
الذي يرى في القيعان من الارض عن بعد كانه بحر طام والقيعة جمع القاع كجار
وجيرة والقاع ايضا واحد القيعان كما يقال جار وجيران وهي الارض المستوية المتسعة
المنبسطة وفيه يكون السراب وانما يكون ذلك بعد نصف النهار واما الال فانما يكون

اول النهار يرى كانه ماء بين السماء والارض فاذا راى السراب من هو محتاج الى الماء حسبه
ماء فقصده ليشرب منه فلما انتهى اليه لم يجده شيئا فكذلك الكافر يحسب انه قد عمل عملا
وانه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على افعاله لم يجد
له شيئا بالكلية قد قبل اما لعدم الاخلاص او لعدم سلوك الشرع كما قال الله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ههنا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب وهكذا روي عن ابي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة
وغير واحد وفي الصحيح انه يقال يوم القيامة ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد
عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون فيقولون اي ربنا عطشنا
فاسقنا فيقال الا تردون فتمثل لهم النار كانها السراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون
فيتهافتون فيها ٥ وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب فاما اصحاب الجهل
البسيط فهم الطماطم الاغشام المقلدون لائمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم
كما قال الله تعالى او كظلمات في بحر لجي قال قتادة وهو العميق يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يكد يقارب
رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري
اين يذهب ولا يعرف حال من يقوده بل كما يقال في المثل للجاهل اين تذهب قال معهم
قيل فالى اين يذهبون قال لا ادري قال العوفي عن ابن عباس يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع
والبصر وهي كقوله ختم الله على سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم
وكقوله افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقال ابي بن كعب
في قوله ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامه
ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات
الى النار وقال الربيع بن انس والسدي نحو ذلك ايضا ٥ وقوله ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حاير باير كافر
كما قال تعالى من يضلل الله فلا هادي له وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين
يهدي الله لنوره من يشاء فنسال الله العظيم ان يجعل في قلوبنا نورا وعن
ايماننا نورا وعن شمائلنا نورا وان يعظم لنا نورا [illegible] وقال

الم تر ان الله يسبح له من في السماوات والارض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون
ولله ملك السماوات والارض والى الله المصير ٥

يخبر تعالى انه يسبحه من في السماوات والارض اي من الملائكة والاناسي
والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى تسبح له السماوات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ٥ وقوله
والطير صافات اي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح الهمها وارشدها اليه وهو
يعلم ما هي فاعلة ولهذا قال كل قد علم صلاته وتسبيحه اي كل قد ارشده الى طريقه
ومسلكه في عبادة الله عز وجل ثم اخبر تعالى انه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك
شيء ولهذا قال والله عليم بما يفعلون ثم اخبر تعالى ان له ملك السماوات والارض
فهو الحاكم المتصرف الذي لا معقب لحكمه وهو الاله المعبود الذي لا تنبغي العبادة الا له
والى الله المصير اي يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى فهو الخالق المالك الا له الحكم في الدنيا والاخرى وله الحمد في الاولى
والاخرة ٥ الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله
ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من
السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء
ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
يذكر تعالى انه بقدرته يسوق السحاب اول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الازجاء
ثم يؤلف بينه اي يجمعه بعد تفرقه ثم يجعله ركاما اي متراكما اي يركب بعضه بعضا
فترى الودق يخرج من خلاله اي المطر يخرج من خلله وكذلك قراها ابن عباس والضحاك
قال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله المثيرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله الناشئة
فتنشئ السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب
رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال
بعض النحاة من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة لبيان الجنس وهذا
انما يجيء على قول من ذهب من المفسرين الى قوله من جبال فيها من برد معناه ان في السماء
جبال برد ولهذا قال وما واهم جهنم اي في الدار الجبال بما مثالا كانه عن السحاب فان

من الثانية عند هذا لابتدا الغاية ايضا لكنها بدل من الاولى والله اعلم وقوله فيصيب به
من يشاء يحتمل ان يكون المراد بقوله اي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله فيصيب
به من يشاء رحمة لهم ويصرفه عمن يشاء اي يؤخر عنهم الغيث ويحتمل ان يكون المراد بقوله
فيصيب به اي بالبرد نقمة على من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم واتلاف زروعهم واشجارهم ويصرفه
عمن يشاء اي رحمة بهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذا اتبعته وتراءته
وقوله يقلب الله الليل والنهار اي يتصرف فيهما فياخذ من طول هذا في قصر هذا
حتى يعتدلا ثم ياخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا والله هو
المتصرف في ذلك بامره وقهره وعزته وعلمه ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اي لدليلا
على عظمته تعالى كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب وما بعدها من الايات ٥

والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم
من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله
ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ٥

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه انواع المخلوقات على اختلاف
اشكالها والوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وما شاكلها
ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشي على اربع كالانعام وسائر
الحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء اي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير ٥

لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ٥

يقرر تعالى انه انزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والامثال البينة المحكمة
ما هو كثير جدا وانه يرشد الى تفهمها وتعقلها اولي الالباب والبصائر والنهى ولهذا قال
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ٥

ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق ياتوا
اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف
الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون

اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا
واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
فاولئك هم الفائزون ٥

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون يقولون
قولا بالسنتهم امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك اي يخالفون اقوالهم
باعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى وما اولئك بالمؤمنين ٥ وفي الطبراني من
حديث روح بن عطاء بن ابي ميمونة عن ابيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا من دعي الى
سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له ٥ وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون اي اذا طلبوا الى اتباع ما انزل الله على رسوله اعرضوا
عنه واستكبروا في انفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد
امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي اذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين
مطيعين وهو معنى قوله مذعنين واذا كانت الحكومة عليه اعرض ودعا الى غير الحق
واحب ان يتحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم ليروج باطله ثم فاذعانه اولا لم يكن عن اعتقاد
منه ان ذلك هو الحق بل لانه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه الى غيره
ولهذا قال تعالى افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
يعني لا يخرج امرهم عن ان يكون في القلوب مرض لازم لها او قد عرض لها شك في
الدين او يخافون ان يجور الله ورسوله عليهم في الحكم واياما كان فهو كفر محض
والله عليم بكل منهم وما هو عليه منطو من هذه الصفات وقوله بل اولئك هم الظالمون
اي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور
تعالى الله ورسوله عن ذلك قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا موسى بن اسمعيل
حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال كان الرجل اذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو محق اذعن وعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق واذا اراد ان
يظلم فدعي الى النبي صلى الله عليه وسلم اعرض وقال انطلق الى فلان فانزل الله هذه الاية
فقال ... ولهذا قال وماواهم جهنم اي في الدار ان بينه وبين اخيه شيء فدعي الى حكم

من حكام المسلمين فاما ان يحيف فهو ظالم لا حق له ومما جاء في حديث غريب وهو مرسل ۝ ثم اخبر
تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله و
رسوله فقال انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا اي سمعا وطاعة ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من
المرهوب فقال واولئك هم المفلحون ۝ وقال قتادة في هذه الآية ان يقولوا
سمعنا واطعنا ذكر لنا ان عبادة بن الصامت وكان عقبيا بدريا احد نقباء الانصار انه لما
حضره الموت قال لابن اخيه جنادة بن ابي امية الا انبئك بماذا عليك وماذا لك قال بلى
قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك واثرة عليك
وعليك ان تقيم لسانك بالعدل وان لا تنازع الامر اهله الا ان يامروك بمعصية الله
بواحا فما امرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله ۝ قال قتادة وذكر لنا
ان ابا الدرداء قال لا اسلام الا بطاعة الله ولا خير الا في جماعة والنصيحة لله ولرسوله
وللخليفة وللمؤمنين عامة قال وذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول عروة الاسلام
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله امر المسلمين
رواه ابن ابي حاتم ۝ والاحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة
رسوله وللخلفاء الراشدين والائمة اذا امروا بطاعة الله اكثر من ان تحصر
في هذا المكان ۝ وقوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه قال
قتادة يطيع الله ورسوله فيما امراه به ويترك ما نهياه عنه ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه
ويتقه فيما يستقبل وقوله فاولئك هم الفائزون يعني الذين فازوا بكل خير
وامنوا من كل شر في الدنيا والآخرة ۝

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا
طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا
البلاغ المبين ۝

يقول تعالى مخبرا عن اهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول
صلى الله عليه وسلم لئن امرتهم بالخروج في الغ[illegible] الله تعالى قل لا تقسموا اي لا تحلفوا
وقوله طاعة معروفة [illegible] اي قد علم

يعبدونني لا يشركون بي شيئا قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن
انس ان معاذ بن جبل حدثه قال بينا انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه
الا آخرة الرحل قال يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال
يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل
قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله اعلم
قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل
قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال فهل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال قلت
الله ورسوله اعلم قال فان حق العباد على الله ان لا يعذبهم ۝ اخرجاه في الصحيحين من حديث
قتادة ۝ وقوله ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون اي فمن خرج عن طاعتي
بعد ذلك فقد فسق عن امر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالصحابة رضي الله عنهم
لما كانوا اقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم باوامر الله واطوعهم لله كان نصرهم
بحسبهم اظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وايدهم الله تاييدا عظيما وتحكموا في سائر العباد
والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الاوامر نقص ظهورهم بحسبهم ولكن قد ثبت
في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى يوم القيامة وفي رواية حتى ياتي
امر الله وهم كذلك وفي رواية حتى يقاتلوا الدجال وفي رواية حتى ينزل عيسى بن مريم
وهم ظاهرون وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها ۝

واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم
ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
ومأواهم النار ولبئس المصير ۝

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين باقام الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له
وايتاء الزكاة وهي الاحسان الى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم وان يكونوا في ذلك مطيعين للرسول
صلوات الله وسلامه عليه اي سالكين وراءه فيما امرهم وترك ما عنه زجرهم لعل الله يرحمهم
بذلك ولا شك ان من فعل ذلك ان الله سيرحمه كما قال تعالى في الآية الاخرى اولئك
سيرحمهم الله ۝ وقوله لا تحسبن يا محمد لا تظنن الذين كفروا اي الذين خالفوك
وكذبوك معجزين في الارض اي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك اشد
العذاب ولهذا قال ومأواهم جهنم اي في الدار الآخرة النار ولبئس المصير اي بئس المآل

مآل الكافرين وبئس القرار وبئس المهاد ٥
يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين
لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث
عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات
والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا
فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ٥
هذه الايات الكريمة اشتملت على استيذان الاقارب بعضهم على بعض وما تقدم
في اول السورة فهو استيذان الاجانب بعضهم على بعض فامر تعالى المومنين ان يستاذنهم
خدمهم مما ملكت ايمانهم واطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة احوال الاول من قبل
صلاة الغداة لان الناس اذ ذاك يكونون نياما في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
اي في وقت القيلولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع اهله ومن بعد صلاة العشا
لانه وقت النوم فيومر الخدم والاطفال ان لا يهجموا على اهل البيت في هذه الاحوال
لما يخشى من ان يكون الرجل على اهله او نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال ثلاث عورات
لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي اذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال
فلا جناح عليكم في تمكينكم اياهم من ذلك ولا عليهم ان راوا شيا في غير تلك الاحوال
لانه قد اذن لهم في الهجوم ولانهم طوافون عليكم اي في الخدمة وغير ذلك
ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الامام مالك واحمد
حنبل واهل السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهرة قال انها ليست بنجس انها
من الطوافين عليكم او الطوافات ولما كانت هذه الاية محكمة ولم تنسخ بشي وكان
عمل الناس بها قليلا جدا انكر ذلك عبد الله بن عباس على الناس كما قال ابن ابي حاتم
حدثنا ابو زرعة ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني
عطا بن دينار عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم
يعملوا بهن يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم
منكم الى آخر الاية والاية التي في سورة النسا واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى

والمساكين

والمساكين فارزقوهم منه والاية التي في سورة الحجرات ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ورواه ايضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطا
عن ابن عباس قال غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا ايها الذين
آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى آخر الاية وقال ابو داود حدثنا
ابن الصباح وسفين ولبن عبدة وهذا حديثه انا سفين عن عبيد الله بن ابي يزيد
سمع ابن عباس يقول لم يومن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي هذه
تستاذن علي ٥ قال ابو داود وكذلك رواه عطا عن ابن عباس يامر به ٥ وقال
الثوري عن موسى بن ابي عايشة سالت الشعبي ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
قال لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان ٥ وقال ابن ابي حاتم
حدثنا الربيع بن سليمان ثنا ابن وهب انا سليمان بن بلال عن عمرو بن ابي عمرو
عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلين سالاه عن الاستيذان في الثلاث عورات
التي امر الله بها في القران فقال ابن عباس ان الله ستير يحب الستر كان الناس ليس
لهم ستور على ابوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجا الرجل خادمه او ولده او
يتيمه في حجره وهو على اهله فامرهم الله ان يستاذنوا في تلك العورات التي سمى الله
ثم جا الله بعد بالستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال
فراى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستيذان الذي امروا به وهذا اسناد صحيح
الى ابن عباس ٥ ورواه ابو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو بن ابي عمرو به
وقال السدي كان اناس من الصحابة يحبون ان يواقعوا نساهم في هذه الساعات
ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فامرهم الله ان يامروا المملوكين والغلمان ان لا يدخلوا
عليهم في تلك الساعات الا باذن ٥ وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله اعلم ان
رجلا من الانصار وامراته اسما بنت مرثدة صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل
الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسما يا رسول الله ما اقبح هذا انه ليدخل على المراة
وزوجها وهما في ثوب غلامهما بغير اذن فانزل الله في ذلك يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم الاية ٥ ومما يدل على انها محكمة لم
تنسخ قوله كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ثم قال تعالى واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم يعني اذا بلغ الاطفال الذين انما
كانوا يستاذنون في العورات الثلاث اذا بلغوا الحلم وجب عليهم ان يستاذنوا على كل حال

يعني بالنسبة إلى أجانبهم وفي الأحوال التي يكون الرجل مع أهله وإن لم يكن في الأحوال
الثلاث قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فإنه يستأذن في العورات
على أبويه فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال وهكذا قال سعيد بن جبير وقال في قوله
كما استأذن الذين من قبلهم يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه ٥ وقوله
والقواعد من النساء قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة هن اللواتي
انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا أي لم يبق لهن تشوف إلى
التزويج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة أي ليس عليها
من الحرج في التستر كما على غيرها من النساء قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد
المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الآية فنسخ واستثنى من ذلك القواعد من النساء
اللاتي لا يرجون نكاحا الآية ٥ وقال ابن مسعود فليس عليهن جناح أن يضعن
ثيابهن قال الجلباب والرداء وكذا روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير
وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي وغيرهم وقال
أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار وقال سعيد بن جبير
وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود أن يضعن من ثيابهن وهو الجلباب من فوق الخمار فلا
بأس أن يضعن عند غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق وقال سعيد بن جبير
غير متبرجات بزينة يقول لا يتبرجن بوضع الجلباب أن يرى ما عليها من الزينة
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار
بن ميمون حدثتنا طلحة بنت عاصم عن أم المضاء عن عائشة أنها قالت دخلت عليها فقلت يا أم
المؤمنين ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب
وثياب الرقاق فقالت يا معشر النساء قصتكن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير
متبرجات أي لا يحل لكن أن يروا منكن محرما ٥ وقال السدي كان شريك لي
يقال له مسلم وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان فجاء يوما إلى السوق وأثر الحناء في يده
فسألته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك
فقال إن شئت أدخلتك عليها فقلت نعم فأدخلني عليها فإذا امرأة جليلة فقلت إن
مسلما حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا
وقد قال الله في ذلك ما سمعت وقوله وإن يستعففن خير لهن أي

١٦٤

طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتم كذبتم كما قال تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم
فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وقال تعالى اتخذوا أيمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون فهم في سجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه
كما قال تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب
لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد
إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ٥ وقيل المعنى في قوله طاعة معروفة أي ليكن
أمركم طاعة معروفة أي بالمعروف أي من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله
المؤمنون بغير حلف فكونوا أنتم مثلهم إن الله خبير بما تعملون أي هو خبير بكم وبمن
يطيع ممن يعصي فالحلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج على المخلوق
فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس بل هو خبير بضمائر
عباده وإن أظهروا خلافها ثم قال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي اتبعوا
كتاب الله وسنة رسوله وقوله فإن تولوا أي تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به فإنما
عليه ما حمل أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة وعليكم ما حملتم أي من قبول ذلك وتعظيمه
والقيام بمقتضاه وإن تطيعوه تهتدوا وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم صراط
الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور وقوله وما
على الرسول إلا البلاغ المبين كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ٥ وقوله
فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ٥ وقال وهب بن منبه
أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا أن قم في بني إسرائيل فإني
سأطلق لسانك بوحي فقام إلى بني إسرائيل فقال يا سماء اسمعي ويا أرض انصتي فإن
الله يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمرا هو منفذه إنه يريد أن يحول الريف إلى
الفلاة والآجام إلى الغيطان والأنهار في الصحاري والنعمة في الفقراء والملك في الرعاة
ويريد أن يبعث أميا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لو يمر
إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه
أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا أفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأسدده
لكل أمر جميل ... سجيه ...
ضميره وال... بيت لبس ثم قال الله تعالى البس على سكينه لباسه والبر شعاره والتقوى
... ضو والمعروف خلقه والحق شريعته

عمها

والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد
الجهالة وارفع به بعد الخمالة واعرف به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين امم متفرقة وقلوب مختلفة واهواء متشتتة واستنقذ
به فياما من الناس عظيما من الهلكة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مومنين مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي
رواه ابن ابي حاتم ٥ وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن
كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٥
هذا وعد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بانه سيجعل امته خلفا الارض ايمة الناس
والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم
وقد فعل تبارك وتعالى ذلك وله الحمد والمنة فانه لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح
الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من
مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية
وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله واكرمه
ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام
بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهي عند موته عليه
السلام واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة
خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا منها خلقا من اهلها وجيشا اخر صحبة
ابي عبيدة ومن معه من الامراء الى الشام وثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر
ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها
وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق
ان يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد
الانبياء على مثله في قوة سيرته وكمال [illegible] وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار
مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكـ [illegible] تقهقر الى اقصى
[illegible] الهواني
مملكته وقصر قيصر وانتزع يده [illegible]

ومنهن لثيابهن وان كان جايزا خير وافضل لهن والله سميع عليم ٥
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباكم او
بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او
بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تعقلون ٥
اختلف المفسرون في المعنى الذي رفع من اجله الحرج عن الاعمى والاعرج
والمريض هاهنا فقال عطا الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في
الجهاد وجعلوا هذه الاية هاهنا كالاية التي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة
اي انهم لا اثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة ليس على
الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ٥ وقيل
المراد هاهنا انهم كانوا يتحرجون من الاكل مع الاعمى لانه لا يرى الطعام وما فيه من
الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه
جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا ان يواكلوهم لئلا يظلموهم فانزل الله هذه الاية
رخصة في ذلك هذا قول سعيد بن جبير ومقسم وقال الضحاك كانوا قبل المبعث يتحرجون
من الاكل مع هولاء تقذرا وتقززا ولئلا يتفضلوا عليهم فانزل الله هذه الاية وقال
عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله ليس على الاعمى
حرج الاية قال كان الرجل يذهب بالاعمى والاعرج او المريض الى بيت ابيه او بيت اخيه
او بيت اخته او بيت عمته او بيت خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما
يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الاية رخصة لهم ٥ وقال السدي كان
الرجل يدخل بيت ابيه او اخيه او ابنه فتتحفه المراة بالشي من الطعام فلا ياكل من اجل ان
رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج

ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباىكم الى قوله ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا ٥ فقوله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
انما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليساوي به ما بعده في الحكم وتضمن
هذا بيوت الابنا لانه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب الى ان مال الولد
بمنزلة مال ابيه وقد جا في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال انت ومالك لابيك ٥ او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم الى قوله او ما ملكتم
مفاتحه هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض
كما هو مذهب ابي حنيفه والامام احمد بن حنبل في المشهور عنهما ٥ واما قوله
او ما ملكتم مفاتحه فقال سعيد بن جبير والسدي هو خادم الرجل من عبد وقهرمان
فلا باس ان ياكل مما استودعه من الطعام بالمعروف وقال الزهري عن عروه عن
عايشه قالت كان المسلمون يغزون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتحهم
الى ضمنايهم ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما احتجتم اليه فكانوا يقولون
انه لا يحل لنا ان ناكل انهم اذنوا لنا عن غير طيب انفسهم وانما نحن امنا فانزل الله او
ما ملكتم مفاتحه ٥ وقوله او صديقكم اي بيوت اصدقايكم واصحابكم
فلا جناح عليكم في الاكل منها اذا علمتم ان ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك قال قتاده
اذا دخلت بيت صديقك فلا باس ان تاكل بغير اذنه وقوله ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس في هذه الايه وذلك
لما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قد
نهانا ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل والطعام افضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد
فكف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج الى
قوله او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم وكانوا ايضا يانفون ويتحرجون ان
ياكل الرجل وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا وقال قتاده كان هذا الحي في بني كنانه يرى احدهم ان مخزاه عليه ان ياكل
وحده في الجاهليه حتى ان كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو جايع حتى يجد من يواكله
ويشاربه فانزل الله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فهذه رخصه من
الله تعالى ان ياكل الرجل وحده ومع الجماعه وان كان الاكل مع الجماعه افضل وابرك كما رواه
الامام احمد حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن ابيه عن جده

ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا ناكل ولا نشبع قال فلعلكم تاكلون متفرقين
اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك وتعالى لكم فيه ورواه ابو داود وابن ماجه
من حديث الوليد بن مسلم به وقد روى ابن ماجه ايضا من حديث عمرو بن دينار القهرماني
عن سالم عن ابيه عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا
فان البركه مع الجماعه ٥ وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال سعيد بن
جبير والحسن البصري وقتاده والزهري فليسلم بعضكم على بعض وقال ابن جريج
اخبرني ابو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم
تحيه من عند الله مباركه طيبه قال ما رايته الا يوجبه قال ابن جريج واخبرني
زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل احدكم بيته فليسلم قال ابن جريج قلت
لعطاء اواجب اذا خرجت ثم دخلت ان اسلم عليهم قال لا ولا اثر وجوبه عن احد
ولكن هو احب الي وما ادعه الا ناسيا وقال مجاهد اذا دخلت المسجد
فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على اهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس
فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ٥ وروى الثوري عن عبد الكريم
الجزري عن مجاهد اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل بسم الله والحمد لله السلام علينا
من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ٥ وقال قتاده اذا دخلت على اهلك
فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانه كان يومر بذلك وحدثنا ان الملايكه ترد عليه ٥ وقال الحافظ ابو بكر
البزار حدثنا محمد بن المثنى ثنا عوبد بن ابي عمران الجوني عن ابيه عن انس قال
اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بخمس خصال قال يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك
وسلم على من لقيك من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت يعني بيتك فسلم على اهل بيتك
يكثر خير بيتك وصل صلاه الضحى فانها صلاه الاوابين قبلك يا انس ارحم الصغير
ووقر الكبير تكن من رفقاي يوم القيامه ٥ وقوله تحيه من عند الله مباركه
طيبه ٥ قال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمه عن ابن عباس
انه كان يقول ما اخذت التشهد الا من كتاب الله سمعت الله يقول فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم تحيه من عند الله مباركه طيبه فالتشهد في الصلاه التحيات المباركات
الطيبات لله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله السلام عليك ايها النبي ورحمه
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يدعو لنفسه ويسلم هكذا رواه ابن

ابي حاتم من حديث ابن اسحق والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخالف هذا والله اعلم ٥ وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون لما ذكر تعالى
ما في هذه السورة الكريمة من الاحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة نبه تعالى انه يبين لعباده
الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها ٥

انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك
لبعض فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم

وهذا ايضا ادب ارشد الله عباده المومنين اليه فكما امرهم بالاستيذان عند الدخول
كذلك امرهم بالاستيذان عند الانصراف لا سيما اذا كانوا في امر جامع مع الرسول صلوات الله
وسلامه عليه من صلاة جمعة او عيد او جماعة او اجتماع لمشورة ونحو ذلك امرهم الله تعالى
ان لا ينصرفوا عنه والحالة هذه الا بعد استيذانه ومشاورته وان من يفعل ذلك فانه من
المومنين الكاملين ثم امر رسوله صلوات الله وسلامه عليه اذا استاذنه احد منهم في
ذلك ان ياذن له ان شا ولهذا قال فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور
رحيم وقد قال ابو داود حدثنا احمد بن حنبل ومسدد قالا ثنا بشر هو ابن المفضل
عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى
احدكم الى المجلس فليسلم فاذا اراد ان يقوم فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرة
وهكذا رواه الترمذي والنساي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حسن

لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ٥

قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا ابا القسم فنهاهم الله عز وجل
اعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد
بن جبير وقال قتادة امر الله ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يبجل وان يعظم
وان يسود وقال مقاتل بن حيان في قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم
بعضا يقول لا تسموه اذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا رسول الله
يا نبي الله وقال مالك عن زيد بن اسلم في قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم

بعضا قال امرهم ان يشرفوه ٥ هذا قول وهو الظاهر من السياق كما قال تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون الى قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم فهذا كله من باب الآداب في مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما امروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته والقول
الثاني في ذلك ان المعنى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تعتقدوا
ان دعاه على غيره كدعا غيره فان دعاه مستجاب فاحذروا ان يدعو عليكم فتهلكوا حكاه
ابن ابي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي فالله اعلم ٥ وقوله
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان يثقل
عليهم الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث الخطبة فيلوذون ببعض اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل ان يخرج من المسجد الا باذن
من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعد ما ياخذ في الخطبة وكان اذا اراد احدهم
الخروج اشار باصبعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فياذن له من غير ان يتكلم الرجل
لان الرجل منهم كان اذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بطلت جمعته وقال السدي كانوا
اذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم ٥ وقال قتادة
في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يعني عن نبي الله وعن كتابه وقال
سفيان قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال من الصف وقال مجاهد قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا قال خلافا ٥ وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره
اي عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن
الاقوال والاعمال باقواله واعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله
وفاعله كائنا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اي فليحذر وليخش من خالف شريعة
الرسول باطنا وظاهرا ان تصيبهم فتنة اي في قلوبهم من كفر او نفاق او بدعة او يصيبهم
عذاب اليم اي في الدنيا بقتل او حد او [illegible] ٥ قال الامام احمد حدثنا
عبد الرزاق ثنا معمر عن همام [illegible] حدثنا ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل [illegible] فلما اضات ما حولها جعل الفراش

ومثل الدواب اللاتي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن
قال فذلك مثلي ومثلكم انا اخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني تقتحمون
فيها اخرجاه من حديث عبد الرزاق ۝

الا ان لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم
يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شي عليم ۝

يخبر تعالى انه مالك السماوات والارض وانه عالم غيب السماوات والارض
وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال قد يعلم ما انتم عليه وقد للتحقيق كما قال
قبلها قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا وقال قد سمع الله قول التي تجادلك في
زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير وقال قد نعلم
انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
وقال قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فكل هذه الايات
فيها تحقيق الفعل بقد كقول المؤذن قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ۝
فقوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه اي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه
مثقال ذرة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في
الساجدين انه هو السميع العليم وقال وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران
ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
وقال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي هو شهيد على عباده
بما هم فاعلون من خير وشر وقال الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون
انه عليم بذات الصدور وقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار وقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا ... مبين والايات والاحاديث
في هذه كثيرة جدا وقوله ... عون اليه فينبئهم بما عملوا اي يخبرهم
بما فعلوا في الدنيا من جليل ... كما قال تعالى ينبا الانسان

يوم